

١٣٦

من المسرح العالمى

لورانزاتشو

تأليف : الفريد دى موسيه

ترجمة وتقديم : ميخائيل بشاى

مراجعة : يوسف شاهين

أول يناير ١٩٨١

تصدر عن
وزارة
الاعلام
الكويت

مسلسلة
من
المسرح العالمي

سلسلة يشرف عليها

أحمد مشاري العدواني

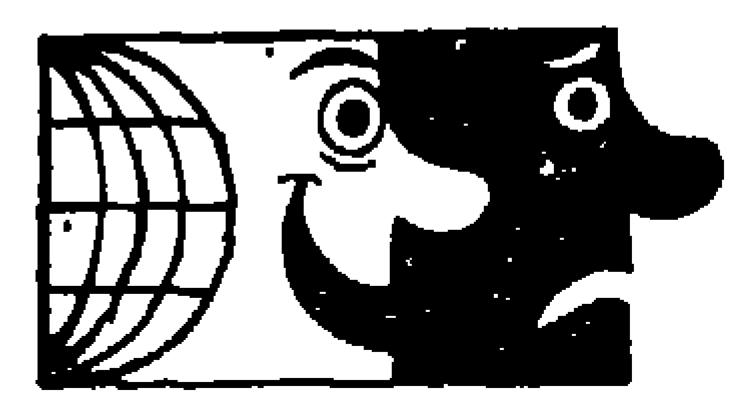
محمد يوسف الرومي
الوكيل المساعد للشئون الفنية

د. طه محمود طه
أستاذ الأدب الإنجليزي الحديث
- جامعة الكويت

المراسلات باسم :

الوكيل المساعد للشئون الفنية
وزارة الاعلام
ص.ب ١٩٣





من المسرح العالمي

لورانزاتشو

تأليف : الفريد دى موسيه
ترجمة : ميخائيل بشاى
مراجعة : يوسف شاهين

تصدر عن : وزارة الاعلام - الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة بقلم المترجم

١ ــ الفريد دى موسيه

حياته :

ولد « ألفريد فيكتوردى موسيه باتاى » بمدينة باريس فى ١١ ديسمبر عام ١٨١٠ لاب من صغار النبلاء ، يشغل منصبا حكوميا مرموقا ، ويتذوق الاداب والفنــون ، ويهتم بنشر اعمــال الكاتب والفيلسوف الاجتماعى جان جاك روسو · وكان جده لامه . وهو رجل من رجــال الحكم والتشريع ، يرتاد المحافل الادبية ، والعلمية ويصاحب الشعراء ، وينظم الشعر احيانا ، فورث ألفريد عنهما حب الادب والشعر ، الا أنه كان طفلا مدللا ، ملولا ، عصبى المزاج ، وقد بدا نضجه العــاطفى المبكر عندما احب ابنة عمه ، وشرع يقرأ روايات الحب والفروسية ، وهو غلام فى العاشرة من عمره · وعندما أدخل كلية هنرى الرابع فى عام ١٨١٩ ، لمع بين أقرانه بجمال طلعته ، وأناقة ملبسه . ونبوغــه الذى أهله لنيل الجائزة الاولى فى الفلسفة ، والجائزة الثانيــة فى اللغة اللاتينيــة · وداعبت أهله الامال عندما ترك الكليــة ، فى عام ١٨٢٧ ، وشرع فى دراسة القانون ، الا أنه هجر القانون الى الطب الذى ما لبث أن أعرض عنه بدوره ، وأخــذ يرتاد المقاهى ومحــافل الرومانسيين ، ومجتمعات أصحابــه الماجنين ، المتأنقين ، فيرقص ، ويشرب الخمر ، ويصور ، ويمثل ، ويحب ، ويكتب القصائد ! ·

وقد كان موسيه طموحا ، معتدا بنفسه وموهبتــه · كتب الى صديقه ، وزميله فى الدراسة « بول فوشيه » يقول : « أريد أن أكون شيللر أو شيكسبير أو لا أكون شيئا على الاطلاق ! ·» ولكنه كان مريض النفس ، ضائقا بالحياة ، فريسة للسأم · كتب فى احدى قصائــده وهو فى التاسعة عشرة من عمره ، يقول : « هل تعرفين كم من دموع ذرفتها لاحيا فحسب ، وكم يلتهم هذا الملل من قلبى ، عندما يفيق من سكرته ؟ » (١) ·

وكان من أولئك الذين يؤلهون « الحب » ويؤمنون بأن « الالم » هو القربان المقدس الذى يقدمونه على مذبح ذلك الاله المزعوم ! ·

---

(١) من قصيدة « السيدة الماكيزة » ١٨٢٩

فكان ــ في حياته تلك ــ عربيدا ، مطلق العنان ، عاكفا على الملذات، يرتوي جهده من كأس الحياة ، والشباب ، المترعة ، الا أن حلاوة هذه الكأس قد كانت تترسب فيأعماقه لتصبح في آخر الامر صابا، وعلقما: « لقد عرفت الالم ، أول ما عرفته ، عندما هجرتني حبيبة خائنة ! »(٢).

وكان حتى عام ١٨٣٢ يعيش بمساعدة أهله ، وما يدره عليه قلمه،فقد نشر في غضون ذلك ترجمته لرواية توماس دى كوينسي(٣): « الانجليزى آكل الافيون » ، وديوانه الشعرى : « حكايات اسبانيا وايطاليا » وثلاث قصص منظومة هي « دون باييز » و « بورشيا » و « ماردوش » ومسرحيتي **صك الشيطان** و **ليلة البندقية** وديوان « مشهد في فوتي » الذى تضمن مسرحيتي **الكأس والشفاه** و **أحلام البنات** وقصيدة « نامونا » • كما نشر في مجلة « العالمين » Les Deux Mondes

ــ ابريل ومايو ١٨٣٣ ــ مسرحيتي **أندرية دل سارتو** و **نزوات ماريان** •

وفي يونية عام ١٨٣٣ بدأت علاقته بالكاتبة الروائية أورور دوبان ، التى عرفت باسم « جورج صاند » وكانت جورج صاند (١٨٠٣ ــ ١٨٧٦) تحيا ــ بعد أن انفصلت عن زوجها البارون دوديفان ــ حياة شاذة ، متحررة ، فتعلقت بالكاتب جول صاند وتسمت باسمه بعد تحريف يسير ، وأخذت ترتاد المحافل الادبية في أزياء غريبة •• فلما جمعت مائدة الطعام بينها بين موسيه ، في مقر مجلة العالمين ، وهى ترتدى صدارا مطرزا بخيوط الذهب ، وتحمل في خاصرتها خنجرا ، لم يجدها الا امرأة سيئة الذوق ، ولم تره الا فتى مسرفا في التأنق ، ولكنه لم يلبث أن خطب ودها ، فأهدته كيسا جميلا للنقود ، ثم أصبحا عشيقين وقاما برحلة الى ايطاليا • وهناك أصيب موسيه باضطراب نفسى ، فكان يهذى ، ويرى شبحه سائرا بجانبه في حلة سوداء ! ثم مرض بالتيفوئيد فتفانت في خدمته الى أن عاده الطبيب الايطالى باجيللو فانتقلت الى ذراعيه ! وكان أن نشبت المعارك ، وتكررت المشاهد العاصفة بينها وبين الشاعر المريض الذى لم يجد بدا من العودة الى باريس ، فرجع اليها تاركا وراءه تلك المرأة الغادرة التى خاطبها بقوله في « ليلة اكتوبر » : عار عليك ! يا من كنت أول امرأة علمتنى الخيانة !

لقد خلفت هذه العلاقة جرحا عميقا في قلب الشاعر • ولكنها

---

(٢) من قصيدة « رسالة الى لامرتين » ١٨٣٦

(٣) كاتب انجليزى ولد في منشستر (١٧٨٥ ــ ١٨٥٩)

جعلته أكثر ميلا الى التأمل الرصين ، والفلسفة ، فكتب « لياليـه » الاربع (١٨٣٥ ـ ١٨٣٧) ورسالته الى لامرتين (١٨٣٦) • وكانت جورج صاند هي التي قدمت اليه موضوع آيته الكبرى **لورنزاتشو** • ولكنها لم تكن ملهمته الوحيدة ، فهنالك : لويز كوليه ، وايميه دالتون، وراشيل(٤) ، وبلجويوزو ، وأوجستين بروهان ، وبياتريس لوردانو •• ولكل منهن نصيب في حياة هذا الشاعر ، وأعماله ، ومأساته •

وفي الفترة الواقعة بين اغسطس ١٨٣٧ وفبراير ١٨٣٩ كتب موسيه عددا من القصص النثرية والقصائد • وساءت حالته المادية ، وفشلت حطبتـه ، واضطر الى الاشتغـال أمينا للمكتبـة في وزارة الداخلية • وما أن حل عام ١٨٤٣ حتى كان الشاب الجميل قد هرم قبل الاوان : لقد انتابه المرض ، واعتراه الشحوب ، واشتدت عليه وطاة الملل •• فهو يقول : « لقد فقدت قوتي ، وحياتي ، وأصحابي ، وبهجة أيامي • لقد فقد حتى تلك الكبرياء التى كانت تجعلنى أؤمن بعبقريتى (٥) ! » •

ويقول : « انك تتركنى وحيدا ، ملولا ، ولكن أملى في عودتك يمنحنى ، رغم مكاره الحياة ، شجاعة طفل يصر على أن يشيخ (٦) ! •

وعبثا كان يرتاد المسارح ، ويلعب الشطرنج في المقاهي،ويشرب الابسنت القاتل فقد كان ينحدر سريعا الى المغيب • لقد كان الهامه يهرب منه • وقد عزل من وظيفته ، وسجن لتهربه من الخدمة فى الحرس الوطنى ، كما سجن معاصراه بلزاك وجوتييه • ولكن مكانته الادبيـة قد كانت أقوى من ظروفه تلك ، فمنح وسام الليجيون دونير ، وانتخب عضوا فى الاكاديمية الفرنسية ، بعد أن فشل في دخولها مرتين ، ثم عين أمينا لمكتبة وزارة التعليم العام فى مارس ١٨٥٣ •

وفى اليوم الثانى من مايو عام ١٨٥٧ مات ألفريد دى موسيه بين يدى أخيه بول • ولم يشيعه الا ثلاثون رجلا من أصدقائه الى مقابر بير لاشيز • وفى ٢٣ مارس عام ١٨٥٨ نقل رفاته الى مقبرة أخرى قد غرست فوقها صفصافة « باكية » كما كان قد أوصى في قصيدته الجميلة « لوسى » ونقشت على شاهدها هذه الوصية • !

---

(٤) اليزا راشيل فليكس وشهرتها : مدموازيل راشيل • ممثلة فرنسية ولدت فى سويسرا • وقد أحيت المأساة الكلاسية على المسرح الفرنسى، ومثلت مسرحيات كورنى وراسين (١٨٢٠ ـ ١٨٥٨)

(٥) من قصيدة « الحزن » ١٨٤٠

(٦) من قصيدة الى الفريد تاتيه ١٨٤٣

فنه :

عندما قدم بول فوشيه صاحبه ألفريد الى فيكتور هيجو وأنصاره طربوا ، وهللوا • فقد راوا فيه خامة طيبة لرومانسى مثالى حقا : فتى فى الثامنه عشرة من عمره ، جميلا ، انيقا ، ذكيا ، متأجج العاطفة ، متحررا ، تبشر قصائده الاولى بميلاد شاعر رومانسى كبير . وقد حقق موسيه آمالهم ، فتوالت قصائده ، ومقالاته النقدية ، التى حقق فيها مفهومه لهذه الحركة الجديدة ، الثورية ، التى أرادوا ان يحتلوا بها مواقع الكلاسيين • يقول موسيه : « الرومانسية ، يا سيدى العزيز ؟ كلا ، بالتأكيد ، انها ليست رفض الوحدات(٧) او الجمع بين الكوميدى والتراجيدى ، أو أى شىء فى العالم يمكن أن تذكره • وعبثا تمسك بجناح الفراشة ، فلن يبقى فى أصابعك الا دقيقها الذى يلونها • ان الرومانسية هى النجم الباكى ، والريح الصرصر ، والليل المرتعد ، والزهرة العاطرة ، والطائر المحلق ، انها الرمية اليائسة ، والحبور الفاتر •• والامل القرمزى •• والملاك ، واللؤلؤة ، وثوب الصفصافة الابيض (٨) •• » •

ولكن موسيه سرعان ما أصبح بمثابة « الولد المزعج » عند أقطاب المذهب الجديد ! صحيح أنه كان من المبشرين بفن شخصى ، متحرر ، حافل بالعواطف • وكان يؤمن بأن الالم منشأ الجمال والفن • ولكنه كان يسخر من البهرج الزائف ، والاسراف العاطفى ، و « مدرسة النظامين » • وكان شديد الاعجاب بشعر بيرون وليوباردى ، ورواية جوته ، ومسرح شيكسبير ، وفى نفس الوقت كان راشيل تبهره وهى تقرأ له فى بيتها مسرحية **فيدر** للشاعر الكلاسى راسين (٩) • وكان ينتقل من بكائية « الصفصافة » وغنائية « قصيد الى القمر » الى الرصينة فى « الافكار الخفية » و « الليالى » و « رسالة الى لامرتين » • وكان يحترم تقاليد بلاده ، وتاريخها ، والتراث الانسانى الذى ينتقل عبر الاجيال(١٠) ، ومن ثم فقد كان يصر على أن يجمع العمل الادبى بين الطابع العالمى الذى تتسم به الاعمال الكلاسية ، والطرافة التى تميز الانتاج الرومانسى ، وكان يرفض الوصف ، والاساطير ، والرموز ، وجزالة اللفظ ، ويوفق دائما بين بساطة البناء الكلاسى ، وحرية اختيار الشكل التى تبيحها الرومانسية لاصحابها ، فكان

---

(٧) الوحدات الثلاث التى ينبغى أن تتوفر للمسرحية الكلاسية ، وهى : وحدة الزمان ، ووحدة المكان ووحدة الحدث •

(٨) الرسالة الاولى من « رسائل ديبوى وكوتونيه »

(٩) الفريد دى موسيه : « عشاء عند مدموازيل راشيل » ١٨٣٩

(١٠) « كلمة عن الفن الحديث » أول سبتمبر ١٨٣٣

لاعماله سحر خاص تستعده من نقاء اللغة ، وبساطة التركيب ،وجملة القول ان موسيه قد كان رومانسيا يجنح الى الكلاسيه ٠٠ كما كان كورني ذا ميول رومانسية ٠٠ وكلاهما قد أثرى الفن بأكثر مما فعل الاتباع الخلص للمذهبين ٠

* *

لقد ظهر موسيه في عصر كان الشعر والمسرح لا يزلان مرتبطين فيه ارتباطا وثيقا ٠ ورغم أن المذهب الرومانسى قد أباح كتابة المسرحية نثرا ، فان شعراء هذا المذهب قد كتبوا مسرحياتهم الاولى شعرا ، وكأنهم كانوا يتحدون بها شعراء المذهب الكلاسى ، قديمه وحديثه ٠

وقد كان موسيه بفطرته شاعرا مسرحيا « ففى ديوانه الاول حكايات اسبانيا وايطاليا » نجد مسرحيته الصغيرة **مخلب القط** ٠ كما **يضم ديوانه الثاني«مشهد في فوتى» قصيدة درامية هي«الكأس والشفاة»** وفي القصائد الاولى حوار بين دون باييزوكل من بليزا وجوانا ٠ وما الليالى الاربع فى ديوانه « قصائد جديدة »ـ الا حوار متصل بين ربة الشعر والشاعر ٠ ولكنه لم يكن يقيد نفسه بالدراما الرومانسية التى تمتزج فيها الملهاة بالمأساة ، بل كان ينزع الى الملهاة الخالصة احيانا ، وهذه خطيئةأخرى قد أضيفت الى رصيده من الخطايا عند الرومانسيين ــ وقد كان له مثله عند الكلاسيين ، بالطبع ٠٠ فأغفل أولئك وهؤلاء مسرحيته النثرية **ليلة البندقية أو عرس لوريت** عندما عرضت فيأول ديسمبر عام ١٨٣٠ ٠ومنيت المسرحية بفشل ذريع،فغضب موسيه ، وأقسم ألا يكتب للمسرح بعد ذلك ، فكانت مسرحياته التالية للقراءة لا للتمثيل ٠ واستمرت الجفوة بينه وبين خشية المسرح الفرنسى سبعة عشر عاما حتى مثلت له مسرحية **نزوة** على مسرح الكوميدى فرانسيز فى ٢٧ نوفمبر عام ١٨٤٧ ٠ وكانت الممثلة الفرنسية ألان ديبريو قد زارت مدينة بطرسبورج ، ووجدت هذه المسرحية تمثل هناك باللغة الروسية ، فلما عادت الى باريس اقترحت على مدير المسرح الفرنسى اخراجها ، وقامت بدور البطولة فيها، فحققت نجاحا ملحوظا ، واعتبرها الشاعر تيوفيل جوتييه حدثا أدبيا كبيرا ، وعندئذ تنبه الجمهور والنقاد الى مسرحيات موسيه ، وعرض بعضها بنجاح كبير ، فعاد يكتب للمسرح لا لمجرد القراءة ٠

ويعزى نجاح مسرحيات موسيه الى ماتمتاز به من الجدة ، والطرافة ، والتحرر من قيود المذاهب الفنية ــ فى فترة خصامه مع خشبة المسرح خاصة ــ والى سماته الشخصية الظاهرة فى أبطاله ، والى سحر الفضيلة عندما يضفيه ذلك العربيد على نساء مسرحياته،

والى ذلك المزج اللطيف بين السخرية والعاطفة ، وذلك الاسلوب الرشيق الذى يفيض شبابا وحيوية ٠

لقد أخذ موسيه من راسين تغلغله فى أعماق القلب البشرى ، ومن ماريفو براعته فى التحليل النفسى ٠ ومن شكسبير اتساع افاقه ومشاهده ٠ ومن بوكاشيو سخريته الرقيقة ٠ ولم تكن ملاهيه دامية ولكنها لم تكن تخلو من لذعة الالم ٠ يقول هنريك هاينى(١١) : لقد قبلته ربة الكوميديا على شفتيه ، وربة التراجيديا على قلبه ٠

ولقد أخذ النقاد عليه أنه لم يعن فى أعماله ـ ماخلا مسرحية **لورنزاتشو** ، وبعض القصائد الفلسفية ـ بغير الحب ٠ ولكن : أى ضير فى أن يكون الحب موضع اهتمام الشاعر ٠ كذلك وجه اليه اللوم على كثرة « اقتباساته » من غيره ٠ فهو ، مثلا ، قد استعار عنوان «مخلب القط» من حكاية لافونتين المشهورة، وموضوعها من «**أندروماك**» راسين ، واقترض شعار « ليلة البندقية » ـ خائنة كموجة البحر ـ من عطيل شكسبير وموضوعها من « تاريخ حياة جون كريسلر » لهوفمان ٠ وأخذ موضوع «مغزل باربيرين» منالقصاص الايطالى بانديللو (ولماذا لا نقول : من أسطورة بنيلوبى الاغريقية) وفكرة «الاتان وجدول الماء» من مسرحية « **العاشق رغم أنفه** » لكارمونتيل ٠٠٠

وقد رد موسيه على نقاده(١٢) ، فميز بين الاستلهام والاستيلاء وقال ان الفنان الحقيقى هو الفنان المتواضع الذى لا يجد مانعا من البحث عن كنوزه فى أقل الاثار الفنية شأنا ٠ وان رفائيل العظيم كان يقف الساعات الطوال أمام أعمال الفريسك ، المتوسطة القيمة ، فى مقابر الكامبوسانتو ، بمدينة بيزا ٠ ويقول موسيه فى اهداء قصيدته الدرامية «الكأس والشفاة» الى صديقه ألفريد تاتيه : لقد قيل لى ، فى العام الماضى ، اننى أقلد بيرون ٠ ولكنك ، وأنت تعرفنى ، تعلم أن هذا غير صحيح ، اننى أكره السرقة الادبية كما أكره الموت ٠ وكأسى ليست كبيرة ، ولكننى أشرب من كأسى ٠٠٠

---

(١١) شاعر المانى ، ولد فى دوسلدوف ، ويمتاز شعره بالغنائية ، والسخرية الحزينة ٠ عاش فى باريس بعد عام ١٨٣٠ ٠ ومن أعماله : انترمزو وكتاب الاغانى (١٧٩٧ ـ ١٨٥٦)

(١٢) مقدمة الجزء الثانى من ديوان « مشهد فى فوتى »

٣ ـ مسرحية لورانزاتشو :

عندما عرضت مسرحية «لورانزاتشو» على مسرح جاستون باتى، فى عام ١٩٤٥ ، وشاهدها الفيلسوف الوجودى جبرييل مارسيل أدهشه «أن يكتب موسيه وهو فى الرابعة والعشرين من عمره ، هذا العمل الدرامى الكبير » (١٣) الذى وصف بأنه العمل الشيكسبيرى الوحيد فى فرنسا ، وآية المسرح الرومانسى · والحق أن مسرحية **لورنزاتشو** هى مركز الثقل فى أعمال موسيه · وهى أكبر أعماله جميعا · وترجع مكانتها الفنية الى طابعها الفريد الذى يضيف الى الحرية والعاطفة والخيال والاعتراف الشخصى ـ وكلها من خصائص الرومانسية ـ رصانة وتأملا كلاسيا ، نجدهما ، مثلا ، فى منولوج لورنزو (٤ : ٩) وفى الفصل الاخير من المسرحية ·

ورغم أنها قد نشرت فى اليوم الاول من أغسطس عام ١٨٣٤ فأن التفكير الجدى فى اخراجها لم يبدأ قبل عام ١٨٦٣ عندما أعدها بول دى موسيه للتمثيل ، وقدمها الى مسرح الكوميدى فرانسيز فرفضها · ثم قدمها فى العام التالى الى مسرح الاوديون ، فمنعت الرقابة عرضها · وظلت المسرحية رهن الظلام حتى أخرجتها الممثلة الكبيرة ساره برنسار على مسرحها فى ٣ ديسمبر ١٨٩٦ ومثلت دور لورنزاتشو وهى فى الثانية والخمسين من عمرها ، فأحدثت دويا شديدا ، واستمر عرض المسرحية خمسا وثمانين ليلة متوالية · ثم أعادت عرضها فى الموسم التالى ، ثم فى شهر مايو عام ١٩١٢ وكان النجاح حليفها فى كل مرة ·

وفى عام ١٩١٨ مثلت الكوميدى فرانسيز مقتطفات منها ، ثم مثلتها كاملة فى الرابع من يونيو عام ١٩٢٧ · وفضلا عن ذلك فقد حولت لورنزاتشو الى مسرحية غنائية (١٤) ، وأعدت للسينما ، وما زالت تحمل امكانيات جديدة ···

وكانت جورج صاند هى التى أوعزت الى موسيه بكتابة هذه المسرحية عندما عرضت عليه مشاهد من مسرحية كانت تكتبها بعنوان

---

(١٣) مجلة « الآداب الجديدة » بتاريخ ١٨ اكتوبر ١٩٤٥

(١٤) وضع موسيقاها ارنست موريه ، وعرضت فى مسرح الاوبرا اكوميك عام ١٩٢٠ ·

« مؤامرة في عام ١٣٥٧ » ولكنها لم تستطع أن تمضي في كتابتها ، وفقدت الرغبة في اتمامها • فلم يكد يلم بفكرتها حتى أدرك أنه قد وقع على جوهرة ، فأمسك بها ، ورجع الى مصدرها التاريخي وخلقها هذا الخلق الجديد •

وقد كان المصدر الرئيسي لكل من صاند وموسيه ، ذلك الفصل من كتاب **تاريخ فلورنسا** للمؤرخ الايطالي بنديتو فاركي ، الذى يتناول حياة لورنزو دى مديتشي ، ومقتل الكساندر ـ دوق فلورنسا ـ بيده في عام ١٥٣٧ • وقد وضع فاركي كتابه هذا بايعاز من كوزمو ـ الدوق الجديد بعد مقتل الكساندر ـ وذكر له لورنزو بنفسه كيف ارتكب هذه الجريمة •

ونعلم مما ذكره فاركي أن لورنزو قد ولد في فلورنسا ، في الثالث والعشرين من شهر مارس ، عام ١٥١٤ ، لاب خائب ، مجنون ، هو : بيير فرانسوادى مديتشي ، وام راجحة العقل ، رائعة الجمال ، طيبة القلب ، هي : ماريا سوديريني • وقد ترملت ولورنزو صغير فكرست حياتها لتربيته ، وأظهر من ناحيته ذكاء حادا ، ولكنه لم يكد يبلغ سن الرشد ، حتى تكشفت طبيعته القلقة ، الجانحة الى الشر ، وأحاط نفسه بجماعة من أصدقاء السوء ، وراح يطارد النساء ، ويرتكب كل موبقة ولم يكن يضحك قط ، بل كان يبتسم فحسب • ولم يكن جميل الطلعة الا أنه كان رقيق الحاشية ، أسمر اللون ، سوداوى المزاج • وبينما كان في روما حطم رؤوس التماثيل التى كانت في قوس قسطنطين ، فأبعده البابا الى فلورنسا وهناك أخذ يتقرب الى الدوق الكساندر • واستطاع أن يخدعه بمظهره وأن ينفذ له كافة مآربه • وكان يتجسس لحسابه ، فيتصل بأعداء الدوق المنفيين من فلورنسا ، ويطلعه على رسائلهم • وكان يظهر الجبن ، ويزعم أنه لا يجرؤ على حمل السلاح أو لمسه أو ذكره ، فيطرب الدوق لذلك ، ويجعله مادة للهوه وسمره • وكان يدرس ، ويقرأ ، ويسير وحده كثيرا ، فيدعوه الدوق بالفيلسوف ، بينما كان الاخرون الذين يعرفون حقيقته يدعونه لورنزاتشو (١٥) • لهذا كله أولاه الدوق ثقة لا حد لها ، واتخذ منه قوادا ، ولم يصغ الى من كانوا يحذرونه من مغبة التصاقه به ، واطمئنانه اليه،رغم كثرة الشواهد التى كانت تدعوه الى التزام الحذر •

---

(١٥) ان اللغة الايطالية غنية بصيغ التصغير التى تعطى الاسم الواحد مدلولات مختلفة • وهنا يضيف خصوم لورنزو الى اسمه المقطع الاخير accio للتحقير • وفي مشهد الاغماء (١ : ٤) يؤنثه الدوق فيدعوه ساخرا باسم لورنزيتا ، بينما تدلله أمه باسم رنزو أو لورنزينو •

ولم يبعد موسيه قيد أنملة عن شخصية لورنزو التاريخية . وقد وجد من أوجه الشبه بينه وبينها ما مكنه من أن يسبر أغوارها ، ويصورها هذه الصورة الحية الاليمة . لقد كان يشرح نفسه وهو يصور لورنزو . وليس هذا كل ماتتسم به المسرحية من الواقعية . فلقد صور المؤلف مدينة فلورنسا كما شاهدها وما عرف من تاريخها. وكان الصائغ والتاجر وماريا سود يريني وكاترينا جينوى ، وغيرهم، أشخاصا من واقع الحياة ، وأشخاصا معاصرين للكاتب ، قد كانت لهم أدوارهم في المجتمع الباريسى ، وربما كانت أمه ، من بعده ، أبرز الجميع . ويحتمل ـ فيما يتعلق بالجانب السياسى من المسرحية ـ أن يكون قد أفاد من ثورة يوليوعام ١٨٣٠في فرنسا ، ومن تأسيس «ايطاليا الفتاة » عام ١٨٣١ ، ومناداة ماتسيني بالوحدة الايطالية وبالجمهورية.

وقد التزم موسيه الدقة التاريخية التزاما يكاد أن يكون تاما . فلم يبتكر من أحداث المسرحية شيئا . ولم يكن أمامه غير هدفين اساسيين هما : سلامة التركيب ، واجتلاء شخصية البطل . وقد تحقق له الهدف الاول رغم طول المسرحية . فالحدث يتطور فى سياق منتظم والمشاهد الموجزة يخدم بعضها بعضا . والحوار سلس ، دقيق . أما لورنزو فقد عرضه موسيه عرضا دراميا بالغ القوة ، يعطينا صورة متعددة الجوانب للتمزق المدمر . فهو فى بلاط الكساندر : الفاسق العربيد ، والجبان الهياب ، والمتطلق الذليل ، وفى بيت فيليب : الثائر الناقم ، الذى يتأجج فى صدره لهيب الحقد ، واليائس من اصلاح نفسه وصلاح البشر ، والبطل المأساوى الساعى الى تحقيق هدف يعلم أنه عقيم ، وأنه سيقضى عليه . وهو فى بيت أمه : الطاهر ، النقى ، الذى يقاوم عنصر الشر فيه ، والساخر اللاذع من صغار بعض الرجال . وهو ، في ذلك كله ، لا يفكر الا فى قتل الكساندر . ودافعه الى ذلك دافع مركب . فلقد اعتزم أن يقتل الكساندر ليقضى على الطغيان في شخصه ، تشبها بقاتل يوليوس قيصر . وضحى بطهارته ، وأخلاقه السوية ، حتى يصل اليه من هذا الطريق الوحيد ، ولكن صحبة ذلك الشيطان الداعر قد جعلته يدمن الرذيلة ، ويلتذ بها ، ولا يستطيع الخلاص منها . لقد كتبت عليه اللعنة الابدية ، وثأره الان ثأر شخصى يتطلب الانجاز .

قد يذكرنا لورنزو ، وهو يفكر في الثأر ، بهاملت . وهو نفسه يذكرنا ، في المشهد الثالث من الفصل الرابع ، بأوريست . ولكن ، بمن يذكرنا ، فى الفصل الخامس ، عندما يخرج رغم تحذير فيليب ، لملاقاة الموت فى يأس مرير ، واستهانة فاجعة . فى هذا الموقف الختامى ، وذروة المأساة : موقف رجل قد سعى سعيه الحثيث الى الفناء . ان لورنزو لم يكن غير الصورة الدرامية ، والوجه الحقيقى

لموسيه ، ذلك العربيد الذى يحن الى الفضيلة · والسياسى الــــذى يفسد ارتيابه فى الناس ايمانه بقدرتهم على تغيير مقدراتهم·والنابغة المريض الذى هرم فى مقتبل عمره ، ولكنه وهب مسرحياته ، واشعاره شبابا دائما ···

لورانزاتشو

تأليف : الفريد دى موسيه
ترجمة : ميخائيل بشاى
مراجعة : يوسف شاهين

BORDAS

pcb

MUSSET

Lorenzaccio

شخصيات المسرحية

الشخصية		Personnage
الكساندر دى مديتشي ، دوق فلورنسا		Alexandre de Médicis
لورنزو دى مديتشي (لورنزاتشو)	ابنا عمه	Lorenzo de Médicis
كوم دى مديتشي	ابنا عمه	Côme de Médicis
الكاردينال تشيبو		Le Cardinal Cibo
الماركيز تشيبو ، اخوه		Le Marquis Cibo
سير موريتشه ، رئيس « الثمانية »(١)		Sire Maurice
الكاردينال باتشو فالورى ، القاصد الرسولى		Le Cardinal Baccio Valori
جوليان سالفياتي		Julien Salviati
فيليب ستروتسى		Philippe Strozzi
بيير ستروتسى	اولاده	Pierre Strozzi
توماس ستروتسى	اولاده	Thomas Strozzi
ليون ستروتسى ، عمدة كابو(٢)	اولاده	Léon Strozzi
روبرتو كورسيني ، حاكم القلعة		Roberto Corsini
باللا روتشيلاى	جمهوريون	Palla Ruccellai
الامانو سالفياتي	جمهوريون	Alamanno Salviati
فرانسوا باتسى	جمهوريون	Francois Pazzi
بندو التوفيتى ، عم لورنزو		Bindo Altoviti
فنتورى ، رجل ثرى		Venturi

---

(١) مجلس قضائي ، كان يتألف من ثمانية قضاة .

(٢) prieur أو magistrat وهو منصب مدني رغم أن شاغله قد كان من رجال الدين .

تيبالديو ، مصور	Tebaldeo
سكورونكونكولو ، قاتل محترف	Scoronconcolo
الثمانية	Les Huit
جويتشياردينى	Guicciardini
جومو الهنغارى ، حامل سلاح الدوق	Giomo Le Hongrois
مافيو ، من العامة	Maffio
ماريا سوديرينى ، أم لورنزو	Marie Soderini
كاترينا جينورى ، خالته	Cathrine Ginori
الماركيزة تشيبو	La Marquise Cibo
لويزة ستروتسى	Louise Strozzi

سيدتان من البلاط ــ ضابط ألمانى ــ صائغ ــ تاجر ــ معلمان وطفلان ــ أتباع ــ جنود ــ رهبان ــ أفراد من الحاشية ــ منفيون ــ تلاميذ ــ خدم ــ عامة ــ .... الخ ، الخ .

المكان : مدينة فلورنسا ، ومدينة فينتسيا

الفصل الاول

المشهد الأول

بستان . ضوء القمر . كوخ في الصدر ، وآخر في المقدمة يدخل الدوق ولورنزو « متخفيين في معطفيهما « وجومو » يحمل مصباحا في يده »

الدوق : إذا جَعَلَتْنا ننتظر ربع ساعة آخر . سأمضي ! البرد قارس للغاية !

لورنزو : صبرا ، ياصاحب السمو . صبرا !

الدوق : كان ينبغي أن تخرج من عند أمها في منتصف الليل . وها هو الليل قد انتصف دون أن تأتي !

لورنزو : إذا لم تأت فقل انني رجل مغفل . وان أمها العجوز امرأة شريفة !

الدوق : ويحي ! إن ألف دوكا (١) قد سرقت مني ، مع كل هذا !

لورنزو : إننا لم ندفع غير نصف الأجر مقدما ، وأنا كفيل بالصغيرة ! إن عينين واسعتين ، متيمتين ، لا تخدعان . وأي شيء أهم عند الخبير من خطيئة في مهدها ؟ إنه يرى في طفلة ذات خمسة

(١) عملة ذهبية قديمة ، سكت لأول مرة بمدينة فلورنسا في القرن الثالث عشر الميلادي .

عشر عاما داهية المستقبل . ويدرس ، ويبدر البذرة ، ويدس بطريقة أبوية عرق الرذيلة الخفى ، في نصيحة صديق ، ومداعبة للذقن . . فيقول كل شيء ، ولا يقول شيئا . . وفقا لطبع الأبوين . . وفي رفق ، يُعَوِّد المخيلةَ التى تمضى في تجسيد أشباحها ، والعبث بما يخيفها ، وازدراء ما يحميها ! ويتم هذا بأسرع مما يظن . وميزته الحقيقية في أن يضرب ضربا محكما ويالها من كنز ، هذه الفتاة ! إنها كل ما يمكن أن يتيح ليلة ممتعة لسموك ! وما أشد حياءها ! إنها قطة صغيرة تشتهى الفطائر ، ولكنها لاتريد أن تلوث كفها ! إنها نظيفة كقطة فلامندية ! إنها تمثل الطبقة الدنيا من البورجوازية . ثم إنها ابنة قوم بسطاء لم تسمح لها رقة حالهم بتربية قويمة ،فلم تتأصل مبادئها ،ولم تكن سوى طلاء خفيف ، ولكن : أية موجة عارمة ، في نهر رائع ، تحت هذه القشرة من الجليد الهش الذى يتكسر في كل خطوة ! ما من شجرة مزهرة قد وعدت قط بثمار أبدع من هذه الثمرة ! وما تنشقتُ يوما ، في جوٍّ طفولى ، ألذ من ذلك عطرا للفجور !

الـدوق : ويحى ! لست أرى الاشارة . وينبغى أن أذهب إلى الحفل الراقص عند نازى ! إنه يزوج ابنته اليوم .

جـومو : هيا ، إلى الكوخ ، يامولاى ! ومادام الأمر لا يتعدى خطف فتاة قد دفع لها نصف الأجر، فنستطيع أن نقرع زجاج النافـذة .

الـدوق : تعال من هنا . الهنغارى على حق (يبتعـدون . يدخل مافيو)

مافيـو : لقد كان يبدو لى في الحلم أننى أرى أختى تعبر بستاننا ، ممسكة بمصباح مستور ، مرصـع بالاحجار الكريمة ! ولقد استيقظت فزعـا ، ويعلم الله أن ذلك ليس إلا وهما ، ولكنه وهم أقوى من أن يقاومه النوم ؛ ولا يلوذ امامه بالفرار ! شكرا للسماء ! ها هى ذى نوافـذ الكوخ الذى تنام فيه الصغيرة ، مغلقة كالعادة ، وأكاد ألمح ضوء مصباحها بين أوراق تينتنـا القديمة . الآن تتبدد مخاوفي الحمقاء . وتجعـل ضربات قلبي المتلاحقة مكانا لاطمئنان جميل . مجنون ! تمتلىء عيناى بالدموع كأن أختـى المسكينة في خطر حقيقى . . ماذا أسمع ؟ من يتحرك هناك بين الأغصان ؟ (أخت مافيو تمر من بعيد) هل أنا يقظ ؟ هذا شبح أختى ، وهى تمسك بمصباح مستور ، وعلى صدرها قـلادة لامعة تتلألأ تحت أشعة القمر ! جابربيـل ! جابرييل ! إلى أين تذهبين ؟

(يعود جومو والدوق)

جـومو : إنه بالتأكيد أخوها الأبله ، سائرا في نومه . .

سيقود لورنزو فتاتك الجميلة إلى القصر عن طريق الباب الصغير . أما نحن فماذا نخاف ؟

مافيو : من أنتما ؟ ياهذان ! قفا ! (يجرد سيفه)

جومو : إننا صديقاك ، أيها الريفي الشريف !

مافيو : أين أختى ؟ عم تبحثان هنا ؟

جومو : لقد أطلقتُ أختك من العش ، أيها الوغد الشجاع ! افتح سياج بستانك .

مافيو : جرد حسامك ، ودافع عن نفسك ،أيها السفاح !

جومو : (يثب عليه ويجرده من سلاحه) قف مكانك ! ليس بهذه السرعة أيها الأحمق !

مافيو : يا للعار ! ويالفرط الشقاء ! لوكان في فلورنسا قوانين ، ولوكان شيء من العدالة لم يزل حيا على وجه الأرض ، بفضل ما هو حقيقى ، ومقدس ، في الدنيا ، فاني ساطرح نفسى عند قدمي الدوق ، وسيأمر بشنقكما انتما الاثنين !

جومو : عند قدمى الدوق ؟

مافيو : نعم ، نعم ، إني اعلم ان الاوغاد من نوعكما يذبحون الاسر بلا عقاب ! ولكنى لومت — ولتسمعا — فلن اموت في صمت كالكثيرين واذا لم يكن الدوق يعلم ان مدينته غابة مملوءة باللصوص ، مملوة بالقاتلين بالسم ،وبالفتيات اللواتي تهتك أعراضهن ، فهذا واحد سيقول له

ذلك . آه مذبحة ! آه ! سلاح ودم ! ستقتص لي العدالة منكمــــا !

جـــومو : (والسيف في يده)هل أضرب ، ياصاحب السمو؟

الـــدوق : أوه ! تضرب هذا المسكين ! اذهـــب ونم ، ياصديقي . وسنبعث اليك غدا ببعض الدوكات (يخـــرج)

مافيـــو : إنه الكساندردي مديتشي !

جـــومو : انه هو نفسه ، ايها الريفى العزيز ، الشـــجاع ! اياك والتباهي بزيارته إذا كنت حريصا عـــلى اذنيك ! (يخـــرج)

المشهد الثانى

طريق . في مطلع النهار . أقنعة كثيرة تخرج من بيت تضيئه الانوار .

تاجر اقمشة حريرية ، وصائغ ، يفتحـــان دكانيهمـــا .

تاجر الحرير : هيه ! هيه ! ايها الأب مونديللا ، هذه ريـــح طيبة لاقمشتى (ينشر قطعه الحريرية)

الصـــائغ : (متثائبا) إنه شيء يصدع الراس ! لعنة الله على عرسهم ! إننى لم اغمض عينى طيلة الليـــل !

التاجـــر : وزوجتى ايضا ، ياعزيزى ! لقد كانت تلك الحبيبة الغالية تتقلب ، وتتقلب ، كثعبان الماء !

آه ! أجل ! عندما يكون المرء شابا ، لاينام على صخب الكمان !

الصائغ : شابا ! شابا ! هذا فضل منك ! لا يكون المرء شابا وله لحية كهذه ! ويعلم الله ان كانت موسيقاهم اللعينة هذه تثير عندى رغبة في الرقص ! (يمر طالبان)

الطالب الأول : ما من شيء يسلى أكثر من هذا . نندس أمام الباب في وسط الجنود . ونراهم(٢)وهم يهبطون الدرج في ملابسهم الملونة بجميع الألوان . انظر ؛ ها هو بيت عائلة نازى (ينفخ في أصابعه) إن لوحتى (٣) تثلج يدىّ .

الطالب الثانى : وهل يسمحون لنا بأن نقترب ؟

الطالب الأول : وبأى حق يمنعوننا ؟ إننا فلورنسيون . انظر إلى هذا الزحام كله حول الباب . خيول وأتباع وخدم ! والكل يروح ويجيء . وما علينا إلا أن نتعرف عليهم قليلا . . إنى أستطيع أن أذكر أسماء الشخصيات الكبيرة كلها ، وما هو إلا أن أتأمل الملابس كلها جيدا ، لأقول مساء في المرسم : إن عندى رغبة فظيعة في النوم ! لقد قضيت الليلة في الرقص عند الأمير ألدوبرانديني وعند الكونت سالفياتى ، وقد كان الأمير يرتدى ملابسه بهذه الطريقة أو تلك ؛ والأميرة

(٢) المدعوين ، فى ملابسهم التنكرية .

(٣) لوحة الرسم . وسوف يتضح ان المتكلم كان يتعلم هذا الفن .

ترتديها بطريقة أخرى ، ولا أكون كاذبا !
هيا ، تعلق بذيل معطفى (يقفان أمام باب
البيت)

الصـــائغ : هل تسمع الأحمقين الصغيرين ؟ وددت أن يفعل
واحد من صبيانى هكذا !

التاجـــر : لا بأس ، لا بأس ، أيها الأب مونديللا !
لايخسر الشباب شيئا عندما تكون المتعة بالمجان !
وإنى لتفـــرح قلـــبى ، من هؤلاء الصغـــار ،
كل هذه العيون التى تتسع دهشة وإعجابا ! لقد
كنت هكذا ، أتشمم الهواء ، وأتنسم الأخبار .
يبدو أن إبنة نازى فتاة طروب ، جميلة ، وأن
إبن مارتيللى ولد سعيد الحظ . هذه أسرة
فلورنسية حقا ! أى مظهر لهؤلاء السادة العظام
كافة ! أعترف بأن هذه المحافل تمتعنى عندما
أجلس هادئا في فراشى ، وركن من ســـتائره
مرفوع ، وأنظر من آن لآخر إلى الأضواء التى
تروح وتجىء في القصر ؛ وألتقط لحنـــا راقصا
صغيرا ، دون أن أدفع شيئا ؛ وأقول لنفسى ؛
حسنا ، حسنا ؛ تلك هى أقمشتى التى ترقص . .
أقمشتى الجميلة ، بفضل الله ، على الأجســـاد
الغالية لكل أولئك السادة الشجعان ! الأوفياء ،

الصـــائغ : هناك يرقص أكثر من ثوب لم يدفع له ثمن ،
ياعزيزى ! وتلك هى الثياب التى يسكبون فوقها
الخمر ، ويحكونها على الجدران ، بأقل قـــدر

من الأسف ! وأن يلهو السادة الكبار ، فشيء بسيط للغاية . لقد ولدوا لهذا . ولكن هنساك أنواعا كثيرة من اللهو ؛ هل تعرف ما أعني ؟

التاجر : نعم ، نعم ؛ كالرقص ، وركوب الخيل ، ولعب الكرة ، وأشياء أخرى كثيرة . ماذا تعرف أنت ، أيها الأب مونديللا ؟

الصائغ : يكفي هذا . إنى أعرف ما أقول . إنى أعرف أن جدران هذه القصور كلها لم تبرهن يوما على صلابتها خيرا من ذلك ، إنها — لكى تحمى الآباء من مطر السماء — قد كانت تحتاج إلى قدر من القوة أقل مما تحتاج إليه لتسندالأبناء عندما تسكرهم خمرهم !

التاجر : إن لكأس من الخمر أثرا طيبا ، أيها الأب مونديللا . ادخل إلى دكانى لأريك قطعة من المخمل .

الصائغ : نعم ؛ إن لها أثرا طيبا ، ومنظرا حسنا ،ياعزيزى إن لكأس طيبة من الخمر المعتقة منظرا حسنا في يد قد اكتسبتها بالعرق ! يرفعها المرء على مهل وهو مبتهج ؛ وتقوى قلب الرجل الشريف الذى يعمل من أجل عائلته . أما شباب البلاط المتأنقون هؤلاء فهم جميعا دنان خمر بلا حياء . ومن ذلك الذى يسرونه عندما تبلغ بهم البهيمية حدا يجعلهم كالضوارى ؟ لا أحد ، بل ولا أنفسهم ؛ فهم بالحرى لا يسرون الله !

التاجـــر : ينبغى الاعتراف بأن الكرنفال قد كان متسماً بالخشونة ، وقد أتلف لى بالونهم اللعين من البضاعة ماقيمته خمسون من الفلورينات . حمداً لله ! لقد دفعها آل ستروتسى .

الصــائغ : آل ستروتسى ! لعنة الله على أولئك الذين آتتهم الجـــرأة فاعتقلوا ابن أخيهم(٤) ! إن فيليب ستروتسى أشجع رجل في فلورنسا .

التاجـــر : ان ذلك لم يمنع بيير ستروتسى من أن يجر فوق متجرى بالونه اللعين ويلطخ لى ــ بثلاث بقـــع كبيرة ــ ذارعا من المخمل المطرز . بالمناسبة ، أيها الأب موندِيللا : هل نتلاقى في مونتوليفيه(٥) ؟

الصــائغ : إننى لا أحترف السير وراء الأسواق ، ولكننى سأذهب إلى مونتوليفيه التماسا للرحمة : إنه حج مقدس ياعزيزى ، وفيه تغتفر الخطايا جميعا .

التاجـــر : وهو محترم جدا يا جارى العزيز ؛ ويربح فيـــه التجار أكثر من أيام السنة الأخرى جميعــــا . ويبتهج المرء حين يرى أولئك السيدات الورعات وهن يلمسن ، ويختبرن الأقمشة كلها عنـــد خروجهن من القداس ! حفظ الله صـــاحب السمو ! إن البلاط شيء عظيم !

---

(٤) كانت العادة فى احتفالات المساخر هذه ان يسحبوا فى الشوارع بالونا ضخما يكتسح فى طريقه السائرين ، وواجهات المتاجر . وقد اعتقل بيير ستروتسى لهذا السبب .

(٥) كان الناس يحجون كل عام ، فى أيام الجمعة من شهر مارس ، الى كنيســة سان مينياتو التى كان يقيم فيها رهبان جبل اوليفية . وكان التجار ينتهزون هذه الفرصة ليفتحوا متاجرهم هناك .

الصـــائغ : البلاط ! ألا فاعلم انه عبء على الشعب ! لقد كانت فلورنسا ــ قبل وقت ليس ببعيد ــ بيتـــا صالحـــا ، جيد البناء ؛ أعمدته كل هذهالقصور الكبيرة التى تسكنها عائلاتنا الكبيرة . ولم يكن أى عمود من هذه الأعمدة كلها يرتفع فوق غيره قيراطا واحدا . وكانت تضم إليها جميعا قبة قديمة ، ومتينة ؛ وكنا نتجول تحتها دون أن نخشى سقوط حجر فوق رءوسنا ! ولكن هناك مهندسيْن يعوزهما ســـداد الرأى ، قد أفسدا ذلك الحال ! وأقول لك ــ فيما بيننا ــ إنهما : البـــابا ، والامبراطور شارل(٦) . لقد بـــدأ الامبراطور بأن دخل البيت المذكور من ثغـــرة ملائمه للغاية . ثم رأوا ، بالمناسبة ، أن يأخـــذوا عمودا (٧) من الأعمدة التى أحدثك عنها ؛ وأعنى به قصر مديتشى ؛ وأن يقيموا هنـــالك برجا للأجراس ــ هذا البرج الذى ارتفع فى ليلة واحدة كأنه فطر تعشش فيه التعاسة ! وبعـــد ذلك ، ياعزيزى ؟ كان البناء يهتز مع الريح ؛ فقد كان له رأس شديد الثقل وساق ناقصـــة ؛ ووضعوا مكان العمود ، الذى أصبح برجا للأجراس ، لطخة كبيرة لاشكل لها ، مصنوعة من الوحـــل والبصاق ، وأطلقوا عليها اســـم

---

(٦) الامبراطور الالمانى شارل الخامس او شارلكان (١٥٠٠ ــ ١٥٥٨) .

(٧) يعنى قصرا .

القلعة (٨) ! واستقر الألمـــان في هذه الحفـــرة اللعينة كالجرذان في قطعة من الجبن ! ومن الخير أن تعلم أنهم يراقبوننا وهم يلعبون الـنرد ، ويشربون نبيذهم الحامض (٩) ! ولقد صرخت العائلات الفلورنسية كثيرا ؛ وقال الشـعب ، والتجار ، كلاما كثيرا ؛ وآل مديتشي يحكمون بواسطة حاميتهم ، ويلتهموننا كما تلتهم القرحة السامة معدة مريضة ! وبفضل الحراب التي تتجول على الرصيف ، ينـام في أسرة بناتنا ، ويشرب زجاجات خمرنا ، ويحطم زجاج نوافذنا ، نغل نصف مديتشي ، وجلف جعلته السماء ليكون صبي جزار أو خادما يجـر المحراث ؛ وندفع له أجرا على ذلك !

التاجـــر : ويحك ! ويحك ! لشد ماتنطلق في الحـديث ! يبـدو أنك تحفظ هذا كله عن ظهر قلب ؛ وليس من الخير أن يقال هذا في جميع الآذان ، ياعزيزى مونديللا !

الصــائغ : وماذا لو نفيت كالكثيرين غيرى ؟ أعيش في روما (١٠) ، كما أعيش هنا ! فليأخذ الشيطان

---

(٨) بنيت هذه القلعة لايواء الحرس الالمانى الذى بعث به شارل الخامس لحماية آل مديتشى بعد اعادتهم الى الحكم ، وما زالت موجودة باسم فروتتسادا باســو (القلعة السفلى) .

(٩) نبيذ الرين .

(١٠) كانت روما احدى المدن التى يلجأ اليها المنفيون من فلورنسا رغم تحالف البابا وعائلة مديتشى .

حفل الزفاف ، وأولئك الذين يرقصون فيـــه ، وأولئك الذين يقيمونه ! (يعود إلى دكانه . يختلط التاجر بالمتطلعين من الناس . يمر رجل من الشعب مع زوجته)

الزوجــة : إن جيوم مارتيللى رجل مهذب وغنى ، وإنه ليسعد نيكولو نازى أن يكون له صهر مثلـــه . أنظر ! ما زال الرقص دائراً . . أنظر إلى كل

الرجــل : ونحن ، متى نزوج ابنتنا ؟

الزوجــة : كل شيء تغمره الأنوار ! ما أجمله حفــلا يستمر فيه الرقص حتى هذه الساعة ! يقولون إن الدوق هناك .

الرجــل : أن يجعلوا من النهار ليلا ، ومن الليل نهـــارا ، فهذه وسيلة ملائمة لكى لا يروا شرفاء الناس ! وإنها لبدعة جميلة حقا : هذه الحراب المشرعة أمام باب يحتفلون وراءه بالزفاف ! فليحفظ الله المدينة ! يخرج لها في كل يوم شيء جـــديد من أولئك الألمـــان الكلاب وقلعتهم اللعينة !

الزوجــة : انظر إلى القناع الجميل ! آه ! والثوب البديع ! واحسرتاه ! كلها أشياء تكلف غاليا ، ونحن فقراء نعيش عيشة الكفاف

(يخرجان)

جنــدى : (إلى التاجر) ابتعد ، أيها الوغد ! دع الخيول تمـــر .

التاجـــر : أنت الوغد ، أيها الألمــانى اللعين ! (يضربه الجندى برمحه)

التاجـــر : (وهو يتراجع) هكذا ينفذون المعاهدة ! إن أولئك الأنذال يضطهدون المواطنين ! (يعود إلى دكانه)

الطالـــب : (لزميله) هل ترى ذلك الذى يخلع قناعه هناك ؟ إنه بالـــلا روتشيلاى . رجل جرىء ومعتـــد بنفسه ! وهذا الشخص الضئيل بجانبه ، هو توماس ستروتسى . ماسانشو(١١) كما يقولون .

تابـــع : (صائحا) جـــواد صاحب السمو !

الطالب الثانى : فلنمض . ها هو الدوق يخرج .

الطالب الأول : هل تعتقد أنه سيأكلك ! (يشتد الزحام عنـــد البـــاب) .

الطالب الأول : هذا نيكولينى (١٢) . وهذا حاكم القلعـــة (يخرج الدوق مرتديا ثوب راهبة ، مع جوليان سالفياتى مرتديا نفس الزى ، وكلاهما مقنع) .

الـــدوق : (يركب الجواد) هل تجىء ياجوليان ؟

ســـالفياتى : كلا ! ليس الآن ، ياصاحب السمو (يحـــدثه فى أذنه) .

الـــدوق : حسناً ، حسناً . . تشجـــع !

---

(١١) تصغير توماس .

(١٢) حقيقة تاريخية .

سالفياتي : إنها جميلة كعرائس الجان ! دعني أتصرف . ولو استطعت أن أتخلص من زوجتي ... (يعود إلى الحفل) .

الدوق : إنك مخمور ، ياسالفياتي . ويحك ! إنك تترنح ! (يرحل مع حاشيته) .

الطالب الأول : الآن وقد رحل الدوق ، فلن يمضي وقت طويل إلا وينتهي الحفل (تخرج الأقنعة من كل جانب)

الطالب الثاني : أحمر وردي ، وأخضر ، وأزرق . لقد امتلأت بالألوان عيناي ، ورأسي يدور !

رجل من الشعب : يبدو أن وقت العشاء قد طال ، فهاهما اثنان لايستطيعان أن يتماسكا (حاكم القلعة يمتطي جواده . تسقط على كتفه زجاجة مهشمة)

الحاكم : أوه ! يا هذا ، سحقاً لك ! من السفاح هنا ؟

قناع : إيه ! ألا تراه ، ياسيد كورسيني ؟ انظر ! انظر إلى النافذة . إنه لورنزو في ثوب الراهبة !

الحاكم : خسئت يالورنزاتشو ! لقد جرحت جوادي (تغلق النافذة) لعنة الله على هذا المخمور ، وألاعيبه الصامتة ! وغد ، لم يبتسم ثلاث مرات في حياته ، ويقضي وقته في شقاوة تلميذ في إجازة ! (يرحل . تخرج لويزه ستروتسي من البيت ، وفي صحبتها جوليان سالفياتي . يمسك لها الركاب تعتلي الجواد ، ويتبعها سائس ومربية)

سالفياتي : يالها من ساق جميلة ، أيتها الفتاة العزيزة ! إنك

شعاع من أشعة الشمس ، وقد أحرقتِ النخاع
في عظامى !

لويـــزه : ليست هذه لغــة فارس ، ياسيدى !

ســالفياتى : يالعينيك ، يامهجتى الحبيبة ! ويالهــا من قــدم
جميلة خليق بها أن تعرى !

لويـــزه : دع قــدمى ، ياسالفياتى !

ســالفياتى : كلا ، وحق باخوس ! (تضرب لويزه جوادها
فيمضى خببا)

قنـــاع : (إلى سالفياتى) لقد ذهبت الصغيرة ستروتسى ،
ووجهها أحمر كاللهيب . . لقد أغضبتَها ،
ياسالفياتى !

ســالفياتى : لا يهم ! غضب الفتاة الصغيرة ، ومطر الصباح
. . . . (يخــرج)

المشهد الثالث

عند المــاركيز تشــيبو

المــاركيز « في ثياب السفر » . المــاركيزة .
أسكانيو . الكاردينال تشيبو « جالسا »

المــاركيز : (يقبل ولده) وددت ، ياصغيرى ، لو أستطيع
أن آخذك معى ، أنت والسيف الكبير الــذى
يجرك وراءه وهو بين ساقيك . اصبر ، فإن

ماسا (١٣) ليست بعيدة ، وسوف أحضر لك هـــدية حســـنة .

المــاركيزة : وداعا ، يالوران ، إلى عودة ، إلى عودة !

الكاردينـــال : هذه الدموع كثيرة جدا ، أيتها الماركيزة ! ألا يقول من يراها إن أخى راحل إلى فلسطين ؟ أعتقد أنه لايتعرض لخطر كبير في أراضيه !

المــاركيز : يا أخى ، لاتقل كلمة ســوء عن هذه العبرات الجميلة (يقبل زوجته)

الكاردينـــال : إنى أريد فقط ألا يتخذ الوفاء هذه الصـــورة الواضحة للعيان !

المــاركيزة : ألا يملك الوفاء دموعا على الاطلاق ، ياسيدى ، الكاردينال ؟ أتكون كلها موقوفة على النـــدم أو الخوف ؟

المــاركيز : كلا ، وحق السماء ! إن أفضلها للحب ! لاتجففى على وجهى هذه الدموع . لســوف يتكفل بها هواء الطريق . دعيها تجف على مهل اما هذا ! ألا تحملينى شيئا لأحبائك ، ياعزيزتى ؟ ألن أنقل عنك ــ كعادتى ــ بعض الكلمات العاطفية ، الجميلة ، إلى صخور ضيعتى القديمة ، وشلالاتها الصغيرة ؟

المــاركيزة : آه ! شلالاتى الصغيرة ، المسكينة !

---

(١٣) ماسا ــ كارارا : على بعد ٩٥ كيلو مترا شمال غرب فلورنسا .

المـــاركيز : هذه هى الحقيقة ، ياعزيزتى . إنهـــا كئيبة ، كلها ، بدونك (بصوت أكثر انخفاضا) لقد كانت بهيجة في المـــاضى ، أليس هذا صحيحا ياريتشـــياردا ؟

المـــاركيزة : خـــذنى معك !

المـــاركيز : سأفعل هذا إن كنت مجنونا ! وإنى لأكاد أن أكونه بهيئتى هذه العسكرية القديمة ! كفـــانا حديثا عن ذلك . . إنها مسألة أسبوع واحد . وسوف ترى عزيزتى ريتشياردا بساتينها وهى هادئة ، وخالية ؛ ولن تترك أقدام مـــزارعىَّ الموحلة أثرا في ممـــراتها الحبيبة . ولسوف أحصى جذوع أشجارى القديمة التى تذكرنى بأبيـــك ألبيريك ، وكافة بواكير العشب في غاباتى ، والفلاحين وثيرانهم ؛ فإن هذا كله من شأنى . وعندما أرى أول زهرة تتفتح فأننى ســـأجهز كل شيء ، وآخذك معى .

الماركيزة : لقد كنت أحب دائمـــاً أول زهـــرة تتفتح في روضتنا الجميلة ، ان الشتاء طويل ! ويلوح دائماً أن هذه الأزهار الصغيرة ، المسكينة ، لن تعود أبداً !

اسكانيـــو : أي جواد سترحل به ، يا أبي ؟

الماركيـــز : تعال معي إلى الفناء لتراه (يخـــرج ، تظـــل الماركيزة وحدها مع الكاردينال . صمت)

الكاردينـــال : أليس هذا هو اليوم الذي طلبت مني أن أسمع فيه اعترافك ، أيتها الماركيزة ؟

الماركيزة : أعفني منه ، يا كاردينال . سأعترف الليلة إذا كان صاحب النيافة خالياً ؛ أو غــداً ، إذا أراد . . إن هذه اللحظة ليست ملكاً لي (تقف عند النافذة ، وتشير إلى زوجهـــا مودعة)

الكاردينـــال : لو كان التحسر مباحاً لخادم أمين للـــرب ، لحسدت أخي على حظه ! رحلـــة قصيرة ، بسيطة ، هادئة ، كهذه ! . . زيارة لقطعـــة أرض من أراضيه ، لا تبعد إلا بضع خطوات من هنا ! . . غياب يستغرق أسبوعاً واحداً . . وحزن شديد — بل أريد أن أقول : حـــزن جميل — عند رحيله ! سعيد من يستطيع أن يحظى بحب كهذا بعد سبع سنوات مـــن الزواج ! أليست سبع سنوات ، أيتهـــــا الماركيزة ؟

الماركيـــزة : بلى ، أيها الكاردينال ؛ إن ولدي في السادسة من عمره .

الكاردينـــال : هل كنت في عرس نازي بالأمس

الماركيـــزة : نعم ، كنت هناك .

الكاردينـــال : وكان الدوق يرتدي ثوب راهبة ؟

الماركيـــزة : ولماذا يرتدي الدوق ثوب راهبـــة ؟

الكاردينـــال : لقد قالوا لي أنه كان يرتدي ذلك الثـــوب ، ولعلهم قد كذبوا علي .

المار كيـــزة : لقد كان يرتديه في الحقيقة . أواه ! ياماالاسبينا ؛ إننا في زمن مظلم بـــالنسبة إلى جميع الأشياء المقدسة !

الكاردينـــال : يستطيع امرؤ أن يحترم الأشياء المقدسة ، وأن يرتدي في يوم حماقة ، ثوب أديار معينة ، دون أي قصد عدائي تجـــاه الكنيسة الكاثـــوليكية المقدسة .

الماركيـــزة : إن ما يُخشى هو المثال وليس القصد . انني لست مثلك ، وقد أثارني ذلك . صحيح أنني لا أعرف ما يستطاع ومالا يستطاع ، وفقـــاً لقواعدكم السرية . الله يعلم إلى أين تقود ! وأولئك الذين يضعون الكلمات على سندانهـــم ويشكلونها بمطرقة ومبرد ، لا يذكرون دائماً أن هذه الكلمات تمثل أفكاراً ، وأن هـــذه الأفكار تمثل أفعالاً ! .

الكاردينـــال : حسناً ، حسناً ! الدوق شاب صغير ، أيتهـــا الماركيزة ، وأراهن على أن رداء الراهبـــات الظريف ذاك إنما كان يناسبه إلى حد يثـــير الاعجاب !

الماركيـــزة : إنه لا يستطيع أن يفعل خيراً من هذا . ولم يكن ينقصه إلا بضع قطرات من دم ابـــن عمه ، هيبوليت دي مديتشي (١٤) !

---

(١٤) رسمه كليمنت السابع كاردينالا ، وكان الثائرون على حكم الكساندر يحبونه، وقد اغتاله هذا بالسم في عام ١٥٣٤ .

الكاردينـــال : وطاقية الحرية(١٥) ! أليس هذا صحيحاً ، يا أختي العزيزة ؟ لشد ما تكرهين هذا الدوق المسكين !

الماركيـــزة : وأنت – يا ذراعه اليمنى ! – ألا يهمك أن يكون دوق فلورنسا هو الحاكم الذي عينــه شارل الخامس ؛ وهو النائب المدني للبابا ، كما أن باتشو نائبه الديني ؟ ألا يهمك ، يا أخـا زوجي لوران – أن تطلع شمسنا – نحن – على قلعة الأشباح الألمانية ؟ وأن يتكلم قيصر هنــا بجميع الأفواه ؟ أواه ! حرى بالأكليروس أن يدق عند الحاجة أجراسه جميعاً ، ليكتم صوته ، ويوقظ النسر الامبراطوري – إن كان نائماً – فوق أسطحنا الحزينة ! (تخرج)

الكاردينـــال : (وحده . يزيح الستار ، وينـادي بصــوت خفيض) أنيولو !

(يدخل خادم) هل من جديد ، اليوم ؟

أنيـــولو : هذه الرسالة ، يا سيدي .

الكاردينـــال : اعطني إياها .

أنيـــولـــو : آه ! هذه خطيئة ، يا صاحب النيافة !

الكاردينـــال : ما من شيء يكون خطيئة عندما تطيع كاهنـاً للكنيسة الرومانية (أنيولو يعطيه الرسالة) إنه

---

(١٥) طاقية حمراء تشبه ما كان يلبسه الفريجيون القدامى • وقد اتخذت بعد ذلك شعارا للحرية أيضا في فلورنسا ، مع الشارة المثلثة الالوان ، ابان الجمهورية الاولى •

لما يضحك أن أصغى إلى ثورة هذه الماركيزة الشقية ، وأن أراها منطلقة إلى موعد غرامي مع الطاغية العزيز ، وهي غارقة في دموعها ا لجهورية ! (يفض الرسالة ، ويقرأ :) « إما أن تكون لي ، أو تكوني سبباً في شقـائي ، وشقائك ، وشقا بيتينا » . إن أسلوب الدوق مختصر ، ولكن القوة لا تنقصه ، وأن تكون الماركيزة مقتنعـة أم لا ، فذلك ما تصعب معرفته . إن شهرين من التودد الذي يكاد أن يكون متصلاً لهما شيء كثير بـالقياس إلى ألكساندر ، ولا بد أن يكونا كافيين بالقياس إلى ريتشياردا تشيبو (يعيد الرسالة إلى الخادم) أعد هذه إلى غرفة سيدتك . إنك أبكم دائماً ، أليس كذلك ؛؟ أعتمد علي (يعطيه يده ليقبلها ، ويخـرج) .

المشهد الرابع

ساحة في قصر الـدوق

الدوق ألكساندر : في شرفة ، خدم يدربون خيولاً في الساحـة . يدخل فالوري وسير موريتشه .

الـدوق : (إلى فالوري) هل تلقى صاحب النيافة أنباء من بلاط روما هذا الصباح ؟

فالوري : إن بول الثالث(١٦) يرسل إلى صاحب السمو ألف بركة من بركاته ، ويعبر له عن أحر أمنيات النجاح !

الدوق : لا شيء غير الأمنيات ، يا فالوري ؟

فالوري : إن صاحب القداسة يخشى أن يخلق الدوق لنفسه متاعب جديدة بإفراطه في التسامح . إن الشعب لم يعوَّد جيداً على الحكم المطلق . وأعتقد أن قيصر قد قال شيئاً كهذا لصاحب السمو في رحلته الأخيرة .

الدوق : هذا والله جواد جميل ، يا سير موريتشه ! أوه ! يا له من كفل رائع !

سير موريتشه : بديع ، يا صاحب السمو !

الدوق : هذا لك إذن ، يا سيدي القاصد الرسولي ، بضعة أغصان رديئة لم تقتضب ! إن قيصر والبابا قد جعلا مني ملكاً ، ولكنهما قد وضعا في يدي صولجاناً كأنه فأس طولها فرسخ ! ما هذا يا فالوري ؟

فالوري : إنني قسيس ، يا صاحب السمو ؛ وإذا كانت الكلمات التي يرغمني واجبي على نقلها إليك بأمانة ، ينبغي أن تفسر بمثل هذه

---

(١٦) كان البابا بول الثالث (الكساندر فارنيز) من أسرة معادية لأسرة مديتشي. وكان يحرص دائما على تذكير الكساندر بفضله عليه ، فهو الذى جعل منه دوقا بالاتفاق مع الامبراطور الالمانى شارل الخامس .

القسوة ، فإن قلبي يمنعنى من أن أضيف إليها كلمة واحدة !

الـــدوق : نعم ، نعم ، اني اعرفك رجلا شجاعا . انك والله القسيس الأمين الوحيد الذى رأيته في حياتي

فالـــورى : يامولاى ، ان الامانة لاتفقد ولا تكتسب تحت أى رداء ، وبين الرجال اخيار اكثر مما بينهم من الاشرار .

الـــدورق : لا تفسير ، اذن ؟

سير موريتشه هل تسمح لى بالكلام يامولاى ؟ كل شيء يسهل تفســيره .

الـــدوق : حســـنا ؟

سير موريتشه : ان فوضى البلاط تغضب البابا !

الـــدوق : ماذا تقـــول ؟

سير موريتشه : لقد قلت : فوضى البلاط ، ياصاحب السمو . وليس لاعمال الدوق من يحكم عليها سواه ! ان البابا يعتبر لورنزودى مديتشى هاربا مـــن وجه عدالتـــه .

الـــدوق : من وجه عدالته ؟ انه ، فيما اعلم ، لم يغضب من الباباوات احداً قط سوى كليمنت السابع ، ابن عمى الراحل الذى يثوى الساعة في الجحيم !

سير موريتشه : لقد سمح كليمنت السابع بالخروج من ولاياته للعربيد الذى هشم ذات يوم ، وهو سكران ،

رؤس التماثيل في قوس قسطنطين . ولم يستطع بول الثالث ان يصفح عمن يدعى مثالا للدعارة الفلورنسية !

الـــدوق : آه ! بالطبع ! ان الكساندر فارنيز ولد لطيف ! واذا كانت الدعارة تغضبه ، فماذا يفعل بابنه غير الشرعى ، بيير (١٧) فارنيز العزيز ، الذى يعامل اسقف نانو (١٨) معاملة جميلة ! ان هذا التجريح يطفو على السطح دائما كلما تعلق الامر بذلك المسكين رنزو ! اما انا فاجد في قطعــه رؤوس جميع اولئك الرجال المقدودين مـــن الصخر مدعاة الى الضحك . انى احمى الفنون كغيرى . وعندى اوائل الفنانين في ايطاليـــا . والكنى لا افهم شيئا من تقدير البابا لهذه التماثيل التى سيحكم عليها بالتحريم غداً إذا صـــارت لحما وعظمـــا . ؟

سير موريتشه : ان لورنزو ملحد . انه يسخر من كل شيء ، واذا لم تكن حكومة صاحب السمو محوطـــة باحترام عميق ، فلن يمكنها ان تكون حكومة قوية ، ان الشعب يدعو لورنز باسم لورنزاتشو . وهم يعرفون انه يوفر لك ملذاتك . وهذا يكفى !

الـــدوق : اسكت ! انك تنسى ان لورنزودى مديتـــشى

(١٧) ابن بول الثالث ، وحاكم بارم ويليزانس ، كان داعرا ، قاسى القلب ، وكان الاسقف المذكور يعانى من مباذله الكثير . وقد مات مقتولا (١٤٩٠ ـ ١٥٣٧) .

(١٨) مدينة على نهر الادرياتيك ، بين بيسارو وانكون .

هو ابن عم الكساندر (يدخل الكاردينال تشيبو)
انصت قليلا ياكاردينال الى هذين السيدين الذين
يقولان ان البابا مستاء من حماقات ذلك المسكين
رنزو ، ويزعمان انها تسييء الى حكومتى .

الكاردينال : لقد القى الاستاذ فرانشيسكو مولترا في الاكاديمية
الرومانية خطابا مملا باللغة اللاتينية ، وهاجم فيه
من شوه قوس قسطنطين .

الدوق : اسمعوا ، انكم تثيرون غضبي ! رنزو ، رجل
يخشى منه ! اكثر الناس جبنا وتشردا ! الفدم ،
شبح القواد ، الخائر العزيمة ! الحالم الذى يسير
ليلا ونهارا بلاسيف ، مخافة ان يلمح ظله
بجانبه ! الفيلسوف والكاتب والشاعر الردىء
الذى لا يستطيع ان ينظم قصيدة واحدة
فحسب ! كلا ، كلا ، انني لا اخاف الاشباح
. . حسنا ! فيم تؤذيني من الوغد العزيز أحاديثه
اللاتينية ، واقواله الغليظة ! انني احب لورنزو ،
وسيبقى هنا !

الكاردينال : اذا كنت أخاف هذا الرجل ، فليس خوفي على
بلاطك أو على فلورنسا ، ولكنه عليك أيها
الدوق !

الدوق : هل تمزح ياكاردينال ؟ وهل تريد أن أقول لك
الحقيقة ؟ (يحدثه بصوت خفيض) كلما أعرفه
عن أولئك الجمهوريين المشاغبين الذين يتآمرون
حولى ، إنما أعرفه من لورنزو . إنه زلق كثعبان

المساء ! وهو يندس في كل مكان ، ويقول لى كل شيء . ألم يجد وسيلة لعقد الصلة بينه وبين كل أهل الجحيم من آل ستروتسى هؤلاء ؟ نعم : بالتأكيد ؛ إنه وسيطى . ولكن ثق أن وساطته هذه إن أضرت بأحد فلن تضرَّ بى . انظر ! (يظهر لورنزو في نهاية ردهة سفلى) انظر إلى هذا الجسد الصغير ، الهزيل ، في غداة ليلة حمراء ! انظر إلى هاتين العينين الثقيلتين كالرصاص ، وهاتين اليدين النحيلتين ، العليلتين اللتين تكادان ألا تقويا على حمل مروحة ، وهذا الوجه الحزين الذى يبتسم أحيانا ولكنه لا يقوى على الضحك ! أهذا رجل يخشى منه ؟ هراء ! إنك تسخر منه ! حسنا ! تعال إلى هنا إذن ، يارنزو ، هذا سير موريتشه يريد أن يتحدث إليك .

لورنزو : (يصعد درج الشرفة) صباح الخير أيها السادة ، أصدقاء ابن عمى !

الدوق : اسمع الآن ، يالورنزو ؛ إننا نتحدث عنك منذ ساعة من الزمن . هل تعرف النبأ ؟ إنهم يهاجمونك باللاتينية ، ياصديقى ! وسير موريتشه يدعوك رجلا خطرا ، والكاردينال أيضا ! أما الرجل الطيب فالورى ، فهو أعف من أن ينطق باسمك !

لورنزو : خطرا على من ، ياصاحب السمو ؟ على فتيات

المتعه أم على القديسين في الفردوس ؟

الكاردينـال : إن كلاب البلاط يمكن أن يصيبها السعار كغيرها من الكلاب !

لورنـزو : إن إهانة يوجهها قسيس ، ينبغي أن تكـون باللاتينية .

سير موريتشه : إنه يوجهها باللغة التوسكانية إلى من يستطيع ردها !

لورنـزو : إنني لم أكن أراك ياسير موريتشه . معـذرة ؛ لقد كانت الشمس في عينيّ . ولكنك تبـدو في صحة جيدة ، ورداؤك يبدو لى جديدا .

سير موريتشه : كذكائك ! لقـد صنعته من عبـاءة قديمة لجـدى(١٩) !

لورنـزو : يا ابن عمى ؛ عندما تنال كفايتك ، من إحدى غانيات الضواحى ، فابعث بها إلى سير موريتشه. إن الحياة بغير امرأة تؤذى رجلا مثله ، قصير العنق ، أشعر اليدين !

سير موريتشه : إن من يعتقد أن له الحق في السخرية ، ينبغي أن يعرف كيف يدافع عن نفسه ، ولو كنت في مكانك لحملت سيفا !

لورنـزو : لو كانوا قد قالوا لك انني جندى ، فقد أخطأوا. إننى عاشق مسكين للمعرفة .

---

(١٩) اى ان ذكاء لورنزو ليس الا اثرا باهتا لذكاء جده « لوران المحبـوب » الذى كان رجل دولة لامعا ، وكان سفيرا في بلاط كل من البابا وشارل الثامن ملك فرنسا .

سير موريتشه : إن ذهنك سيف من الفولاذ إلا أنه لين ! إنه سلاح حقير للغاية ! وكل يستخدم أسلحته (يستل سيفه)

فالوري : السيف مجرد أمام الدوق !

الدوق : (ضاحكا) دعهما ، دعهما ! هلم ، يارنزو ؛ أريد أن أكون شاهدك . اعطوه سيفا .

لورنزو : ماذا تقول ، يامولاى ؟

الدوق : عجبا ! هل يتبدد انشراحك سريعا هكذا ؟ هل ترتعد ، يا بن العم ؟ تبا لك ! إنك تلحق العار باسم مديتشي ! إنى لست إلا نغلا ، ولكنى أجدر بالحفاظ عليه منك ، وأنت الولد الشرعى ! سيفا ! سيفا ! إن أحدا من آل مديتشي لا يسمح مطلقا بأن يستثار هكذا . اصعدوا إلى هنا ، أيها الخدم ! سيراه البلاط كله ، وقد كنت أتمنى أن تراه فلورنسا كلها !

لورنزو : إن صاحب السمو يسخر منى .

الدوق : لقد كنت أسخر منذ قليل ، ولكنى الآن أشعر بالخجل ! سيفا ! (يأخذ سيف واحد من الأتباع ويقدمه إلى لورنزو)

فالوري : يامولاى ، إن هذا دفع للأشياء إلى أبعد مما ينبغى ! إن تجريد سيف أمام سموك جريمة يعاقب عليها ، في داخل القصر .

الـــدوق : من يتكلم هنا عندما أتكلم ؟

فالـــورى : لا يمكن أن يكون صاحب السمو قد أراد إلا أن يمزح قليلا ؛ ولم يكن سير موريتشه نفسه يفكر في شيء آخـــر .

الـــدوق : أفلا ترى أنني مازلت أمزح ؟ ومن يفكر في شيء جدى هنا ؟ أرجوك أن تنظر إلى رنـــزو . إن فرائصه ترتعد ! وقد كان حريا بأن يشحب لونه لو استطاع ذلك . أى مظهر ، يا إلهى ! أعتقد أنه سيقع (يترنح لورنزو . يعتمد على السياج ثم يسقط فجأة على الأرض) .

الـــدوق : (ينفجر ضاحكا) وأنا أقول لكم ذلك ! إن أحدا لايعرفه خيرا منى . إن منظر السيف وحده يصيبه بالمرض ! هيا ، ياعزيزتى لورنزيتـــا ؛ دعيهم يحملوكِ إلى أمك ! (يرفع الخـــدم لورنـــزو) .

سير موريتشه : جبان مضاعف ! ابن فاجـــرة !

الـــدوق : اسكت ! ولتزن ماتقوله ياسير موريتشه . إنه أنا من يقولها لك الآن ؛ لا أريد أن تقال كلمات كهذه أمامى !

فالـــورى : الشاب المسكين ! (سير موريتشه وفالـــورى يخرجان)

الـــدوق : لقد أردت أن أعرف كيف لم أكن أصدقه .

الكاردينـــال : هم ! شيء غريب جدا !

الـــدوق : ولهذا بالضبط أصدقه . هل تتصور أن واحدا من آل مديتشي يجلب العار على نفسه علانيـــة بقصد المتعة ؟ ثم إنها ليست أول مرة يصيبه فيها ما أصابه . إنه لم يستطع أن يرى سيفا قط !

الكاردينـــال : غريب جدا ! غريب جدا ! (يخرجان)

المشهد الخامس

أمام كنيسة سان مانياتـــــو في مونتوليفية

الجمهـــور يخرج من الكنيسة

إمـــــرأة : (إلى رفيقتها) هلى تعودين إلى فلورنسا هـــذا المساء ؟

رفيقتهـــــا : إنني لا أبقى هنا أبداً أكثر من ساعة واحدة . ولا أجيء إلى هنا أبداً غير يوم جمعة واحد . إنني لست غنية بالقدر الذي يسمح لي بأن أتوقف في السوق . والمسألة عندي مسألة إيمان لا غـــير . وكل ما أحتاج إليه أن يكون هذا كافياً لخلاصي

سيدة من البلاط : (لأخرى) لكم كان وعظه حسناً ! إنه هـــو الذي تعترف ابنتي على يديه (تدنو من أحـــد المتاجر) اللون الأبيض واللون الذهبي يناسبان المساء ، ولكن ؛ هل يصلحان بالنهار ؟

(التاجـــر والصائغ أمام دكانيهما ، مـــــع بعض الفرسان)

الصـــائغ : القلعة ! لن يحتمل الشعب أبداً أن يرى فجأة

برج بابل الجديد هذا يرتفع فوق المدينة بين أشنع رطانة في الوجود ! ولن يورق غصن للألمان في فلورنسا أبداً . ولسوف يحتاج تطعيمها بهم إلى رباط قوى !

التاجـر : هيا ، أيها السيدات . فلتأخذن مقعداً تحت ظلتي . يا صاحبات العصمة .

فـارس : إنك تنتسب إلى الدم الفلورنسي القديم ، أيها الأب مونديالا ! إن كراهية الطغيان ما زالت ترعش أصابعك فوق نقوشك الثمينة ، في باطن مشغلك !

الصـائغ : هذا حق ، يا صاحب السعادة ، ولو أنني كنت فناناً كبيراً لأحببت الأمراء لأنهم ، وحدهم ، يستطيعون أن يباشروا الأعمال الكبيرة . إن كبار الفنانين لا وطن لهم . وأنا أصنع علب القربان المقدس ، ومقابض السيوف

فارس آخـر : ألا ترى ، على ذكر الفنانين ، ذلك المهزار الكبير الذي يكثر من حركاته أمام بعض المغفلين ، في تلك الحانة الصغيرة ؟ إنه يدق على المنضدة بكأسه . وإذا لم أكن مخطئاً ، فهو ذلك المدعي تشيلليني(٢٠) .

الفارس الأول : هيا بنا إلى هناك ، إذن ، ولندخل . إنه يغرى بالانصات إليه ، مع كأس من الخمر مشعشعة

---

(٢٠) بنفينيتو تشيلليني ، الصائغ الفلورنسي المشهور (١٥٠٠ ـ ١٥٧١) وقد سبقت الاشارة اليه • وقد كان نابغا بقدر ما كان متهوسا • كما كانت له مغامرات عاطفية كثيرة تضمنها كتاب اعترافاته •

في الرأس ؛ ولعل حكاية طريفة تروى الآن
(يخرجان . يجلس رجلان)

الأول : هل كانت هناك ثورة ، في فلورنسا ؟

الثاني : لا شيء تقريباً ، لقد قتل بعض الشباب المساكين في « السوق القديم » .

الأول : يا له من حزن يصيب العائلات !

الثاني : إنها محن لا بد منها ! ماذا تريد أن يفعل الشباب بحكومة كحكومتنا ؟ يرتفع الهتاف على صوت النفير بأن قيصر في بولونيا ، ويردد الأغرار أن « قيصر في بولونيا » وهم يلمزون بعيونهم في إهتمام ظاهري ، دون أن يكفروا فيما يفعلون ! وتزداد سعادتهم في اليوم التالي عندما يعلمون ، ويرددون ، أن البابا في بولونيا مع قيصر . ثم ماذا ؟ أفراح شاملة ! ولا يرون أكثر من هذا وذات صباح يستيقظون وقد خدرت أعصابهم تماماً أبخرة الخمر الامبراطورية ؛ فيرون وجها مشئوماً بالنافذة الكبرى في قصر آل باتسي ! ويسألون عمن يكون هذا الشخص ، فيقال لهم إنه الملك(٢١) ! لقد أنجب البابا

---

(٢١) كان الفلورنسيون قد طردوا عائلة مديتشى من الحكم فى عام ١٥٢٧ ولكن البابا وشارل الخامس فرضا عليهم الكساندر دى مديتشى بالقوة ، بعد أن احتشد الجيش فى بولونيا ، وحاصر فلورنسا التى ارغمتها الفتن الداخلية والخيانات على الرضوخ • ويشبه هذا الحديث خطاب ديموستين الذى عاب فيه على الاثينيين اكتفاءهم بترديد مثالب فيليب المقدونى الذى غزا بلادهم فى عام ٣٣٨ ق • م دون اتخاذ اى شىء ايجابى ضده •

والامبراطور نغلاً يملك حوق الحياة والموت على أبنائنا ، وهو لا يستطيع أن يذكر اسم أمه !

الصـــــائغ : (يقترب) إنك تتكلم بدافع من وطنيتك ، يا صديقي ؛ وأنصحك بأن تحتـــرس من ذلك الأعجف ! (يمر ضابط ألماني) .

الضابـــط : اخرجوا من هنا أيها السادة . إن سيدات يردن الجلوس

(تدخل سيدتان من سيدات البلاط ، وتجلسان)

السيدة الأولى : أهذا من فينتسيا(٢٢) ؟

التاجـــــر : نعم ، يا سيدتي العظيمة ، هل أقطع لك بضعة أذرع منه ؟

السيدة الأولى : إذا سمحت . أعتقـــد أنني رأيت جوليـــان سالفياتي يعبر الطريق .

الضابـــط : إنه يروح ويجيء عند باب الكنيسة . إنه شخص ظريف .

السيدة الثانيـــة : إنه شخص وقح ! أرني جوارب من الحرير .

الضابـــط : لن تجدي عنده جوارب صغيرة تناسبك .

السيدة الأولى : أسكت ، أنت . إنك لا تعرف غير الكلام ! ما دمت ترى جوليان فاذهب واخبره بأن عندي ما أقوله له .

الضابـــط : سأذهب إليه وأحضره (يخرج)

---

(٢٢) قماش « الدانتيل » الدقيق الذى تشتهر به مدينة البندقية .

السيدة الأولى : ضابطك هذا غبي ، لا يرضى ، ماذا تفعلين به ؟

السيدة الثانية : ستعرفين أنه لا يوجد خير من هذا الرجل ! (تبتعدان . يدخل عمدة كابو) .

العمدة : أعطني كوباً من شراب الليمون ، أيها الرجل الطيب (يجلس)

أحد الرجلين : ها هو عمدة كابو . إنه رجل وطني ! (يعود الرجلان إلى الجلوس) .

العمدة : أنتما قادمان من الكنيسة أيها السيدان ؟ ما رأيكما في العظة ؟

الرجل : كانت جميلة ، يا سيدي العمدة .

الرجل الثاني : (إلى الصائغ) إن هذا النبل الذي يتميز به آل ستروتسي عزيز عند الشعب لأنه لا يتسم بالكبرياء . أليس شيئاً جميلاً أن نرى سيداً عظيماً يوجه الحديث إلى جيرانه بأسلوب لطيف ؟ إن لهذا كله أثراً أكبر مما نظن .

العمدة : إن كانت الصراحة في القول واجبة ، فقد وجدتُ العظة أجمل مما ينبغي !
لقد كنت أعظ أحياناً ، ولم أكن أبالي كثيراً باهتزاز زجاج النوافذ ؛ ولكن دمعة صغيرة على خد رجل طيب قد كان لها عندي قيمة كبيرة على الدوام !

(يدخل سالفياتي)

سالفياتي : قيل لي إن هنا سيدات يطلبنني توآ . ولكنني لا أرى هنا رداء سوى ردائك أيها العمدة ! هل تراني خدعت ؟

التاجر : إنك لم تخدع ، يا صاحب السعادة ؛ لقد انصرفن ، ولكننى أعتقد أنهن سيرجعن بعد قليل . هذه عشرة أذرع من القماش ، وأربعة أزواج من الجوارب ، لهن .

سالفياتي : (يجلس) ها هي إمرأة جميلة تمر . . أين رأيتها يا ترى ؟ آه ! في فراشي بالطبع !

العمدة : (إلى الرجل) اعتقد أنني رأيت توقيعك على خطاب موجه إلى الدوق .

الرجل : إنني أقولها بصوت عال : إنه الملتمس الموجه من المنفيين(٢٣) .

العمدة : أبينهم أحد من عائلتك ؟

الرجل : إثنان ، يا صاحب السعادة . أبي وعمي . ولم يعد هناك رجل غيري في البيت !

الرجل الثاني : (إلى الصائغ) يا له من لسان بذيء يملكه هذا السالفياتي !

الصائغ : لا عجب في ذلك . إنه رجل نصف ضائع ، يعيش عالة على آل مديتشي هؤلاء ؛ وهو متزوج ، بوضعه هذا ، من إمرأة سيئة السمعة في كل مكان ! ويريد أن يقال عن جميع النساء

---

(٢٣) كان الكساندر قد نفى من المدينة من اتهموا بالاشتراك فى ثورة عام ١٥٢٧ .

اللواتي يستطيع تجريحهن ، ما يقال عن إمرأته !.

سالفياتي : أليست هذه لويزه ستروتسي التي تمر على هذه الربوة ؟

التاجر : هي نفسها ، يا سيدى ؛ إنني لا أجهل من سيداتنا النبيلات غير القليل . إنها تعطى يدها لأختها الصغرى إذا لم أكن مخطئاً .

سالفياتي : لقد إلتقيت بلويزه هذه ليلة الأمس ، في حفل عائلة نازي . إن لها ساقاً جميلة حقاً ، ولا بد أن ننام معاً في أول فرصة !

العمدة : (يلتفت إليه) ماذا تعنى ؟

سالفياتي : إنه شيء واضح ؛ لقد قالته لي ، لقد كنت أمسك لها بالركاب ، ولا أكاد أفكر في شيء رديء . ولا أدري كيف أمسكت بساقها سهواً ، وهكذا حدث كل شيء .

العمدة : يا جوليان ، لا أدري إذا كنت تعرف أنك تتكلم عن أختى !

سالفياتي : أعرف هذا جيداً جداً ! إن جميع النساء قد جعلن لينمن مع الرجال ، ويمكن حقاً أن تنام أختك معي .

العمدة : (ينهض) هل أدين لك بشيء أيها الرجل الطيب ؟ (يلقى بقطعة من النقد على المنضدة ويخرج) .

سالفياتي : أحب كثيراً هذا العمدة الطيب الذي أنساه

حديث عن أخته بقية نقوده ! ألا يقال إن كل فضيلة فلورنسا قد هاجرت إلى بيت عائلة ستروتسي ؟ ها هو ذا يعود . حملق بعينيك ما شئت فإنك لن تخيفني ! (يخرج)

المشهد السادس

شاطىء الأرنو

ماري سوديريني . كاترينا

كاترينا : ها هي الشمس تبدأ في المغيب . إن سحابات كبيرة ، أرجوانية ، تتخلل أوراق الشجر . والضفدع يدق تحت أعواد البوص جرسه البلوري الصغير . ما أبدع آيات السماء المتآلفة كلها ، والضجيج البعيد لهذه المدينة !

ماري : لقد حان وقت العودة ،فاعقدى وشاحك حول عنقك .

كاترينا : لم يحن بعد ، إلا ان تكوني قد ابتردت. انظرى، يا اماه (٢٤) الحبيبة ، كم السماء جميلة ! وكم هذا كله رحيب وهادىء ، وكيف ان الله في كل مكان ! ولكنك تحنين راسك . انك قلقة منذ الصباح .

ماري : انى لست قلقة ولكننى حزينة . ألم تسمعيهم

---

(٢٤) ان كاترينا جينورى هى اخت مارى فى الحقيقة ، وقد كانت متزوجة من ليوناردو جينورى . وهى تدعوها بامها لفارق السن بينهما .

يرددون تلك الحكاية المشئومة عن لورنـزو ؟
هذا هو حديث فلورنسا !

كاترينـا : أوه ، يا أمي ! ليس الجبن جريمة أبدا ،وليست الشجاعة فضيلة . ولماذا نؤاخذ الضعفاء عـلى ضعفهم ؟ ان مسئولية المرء عن ضربات قلبـه امتياز مؤسف . ولماذا لايكون لهذا الغلام مالنا جميعا من حق ، نحن النساء ؟ يقال ان المرأة التى لا تهاب شيئا لا تستحب !

مـارى : هل تحبين رجلا هيابا ؟ ان حمرة الخجل تعلو وجهك، ياكاترينا ان لورنزو هو ابن اختك، ولكن ، تصورى انه ينتمى الى عائلة أخـرى فكيف كنت ستحكمين عليه ؟ اية امرأة يمكنها ان تعتمد على ذراعه لتمتطى جوادا ؟ وأى رجل يصافحـه ؟

كاترينـا : انه شيء مؤلم ، ولكنه ليس بالشيء الذى الومه عليه . قد لا يكون قلبه قلب رجل من عائلـة مديتشي ، ولكن ، واحسرتاه ! انه ليس قلب رجل شريف كذلك !

مـارى : دعينا لا نتحدث عنه أكثر من ذلك ، ياكاترينا، انها لقسوة كافية بالنسبة الى الام ألا تستطيـع التحدث عن ابنها !

كاترينـا :أواه ! من فلورنسا هذه ! لقد فقد ناههنـاك ! ألم اكن ارى في عينيه احيانا نار طموحشريف ! الم يكن شبابه فجر شمس مشرقة ! واليـوم ،

لا يزال يلوح لى في اوقات كثيرة ان وميضــا سريعا . . . إنني اقول لنفسي ، رغما عني ، ان كل شيء لم يمت فيه . !

مــارى : أواه ! ان هذا كله لغز محير ! وداعة شديدة ، وحب جميل للوحدة ! لقد كنت أقول عندما اراه عائدا من كليته (٢٥) ، متأبطا اســفاره الضخمة ، ان عزيزى رنزو لن يكون محاربــا أبدا . ولكن حبا مقدسا للحقيقة كان يلتمع على شفتيه ، وفي عينيه السوداوين . وكان يهتم بكل شيء ، ويقول بغير انقطاع : «إن هذا فقير ، وهذا معــوز ، فماذا اعمــل ؟» ..وذلــك الاعجاب بعظماء كاتبه المفضل بلوتارك (٢٦) كاترينا ، كاترينا ، كم من مرة قبلته فيها على جبينه وانا افكر في ابي الوطــن (٢٧) ؟

كاترينــا : لا تحــزني .

مــارى : اقول اني لا اريد ان اتحدث عنه ، ولكنــني اتحدث بغير انقطاع . ان هناك اشياء معينــــة لا تكف الامهات عن ترديدها إلا في الصمت الأبدى ! ولئن كان ولدى دنيئا ، فاســقا ، وكان دم آل سود يريني باهتا في هذه القطرة

---

(٢٥) ان لورنزو لم يلتحق باية كلية . وهذه لمحة من حياة دى موسيه فى باريس .

(٢٦) مؤلف كتاب « حياة مشاهير اليونان وروما » وقد عاش فى القرن الاول الميلادى .

(٢٧) كوزمودى مديتشى . وقد كان وطنيا صادقــا ، وحاميا للفنــون (١٣٨٩ ـ ١٤٦٤) .

الواهية ، الساقطة من احشائي ، فانني لم أيأس بل تعلقت بأهداب الامل ، وكنت محقة في ذلك . اواه ! ياكاترينا ، انه لم يعد يمتاز حتى بالجمال . وقد تصاعد الى وجهه دنس قلبه كلفحة مؤذيه ! والابتسامة — هذه الاشراقة الحلوة التى تجعل الشباب اشبه بالازهار — قد هربت من وجنتيه اللتين في لون الكبريت ، وتركت عليهما سخرية بغيضة ، مدمدمة ، واحتقارا لكل شيء !

كاترينا : انه يكون جميلا احيانا ، في كآبته الغربية .

مارى : الم يكن مولده يدعوه الى العرش ؟ الم يكن يستطيع ان يرفع معه يوما الى هذا معرفة عالم ، واجمل شباب في الدنيا ، وان يتوج احلامى الغالية كلها بأكليل من الذهب ؟ الم يكن ينبغى أن اتوقع هذا ؟ اواه ! ياكاترينا ، هناك احلام معينة ينبغى الا يراها المرء ابدا ، لكى ينام نوما هادئا . وما أقسى ان تعيشى في قصر سحرى تتردد فيه أناشيد الملائكة ، وان تنامى فيه وولدك يهدهدك ، ثم تستيقظى في مكان خرب (٢٨) ، مخضب بالدم ، غاص بآثار القصف والخلاعة ، وبالحطام البشرى ، بين ذراعي شبح رهيب يقتلك وهو لا يزال يدعوك امه !

(٢٨) كانت ماريا سوديرينى قد هاجرت من فلورنسا خوفا من الغزو الفرنسى • وبعد عودتها ترك لها آل مديتشى بيتا حقيرا خلف قصرهم لتعيش فيه مع اولادها واقارب آخرين •

كاترينــا : ان ظلالا صامته قد شرعت تمشى في الطريق . فلنرجع ياماريا ، فان أولئك المنفيين جميعــا يخيفونني .

مـــارى : المساكين ! انهم لا ينبغي ان يثيروا غير اشفاقنا عليهم ! اواه ! الا استطيع ان ارى شيئا واحدا لا يغرس شوكة في قلبي ؟ الا استطيع ان افتح عيني بعد ؟ واحسرتاه ! ياعزيزتي كاترينــا ، ان هذه ايضا فعله لورنزو . لقد وضع اولئك المواطنون التعساء جميعا ثقتهم فيه . وليس هناك واحد من بين جميع ارباب العائلات : اولئك المطرودين من وطنهم ، لم يخنه ولـــدى ! ان رسائلهم ، الموقعة باسمائهم ، تعرض عـــلى الدوق ! وهكذا يحول حتى ذكرى اسلافــه المجيدة الى استغلال حقير ! ان الجمهوريـــين يتوجهون اليه باعتباره السليل العريق لحاميهم . ان بيته مفتوح لهم ، وآل ستروتسى انفسهـــم يجيئون اليه . اى فيليب المسكين ! انها ستكون خاتمة سيئة لشعرك الابيض ! اواه ! الا أستطيع ان ارى فتاة قد عدمت حياءها ، وبائسا محروما من اسرته ، دون ان يصرخ ذلك في وجهـــى قائلا : انت ام مصائبنا ! متى اكون هناك(٢٩)
(تضرب الارض بقدميهــا)

(٢٩) تعني : متى اموت وادفن في هذا التراب !

كاترينــا : اماه المسكينة ، ان الدموع تملأ عينيك (تبتعدان. لقد غابت الشمس . جماعة من المنفيين تلتقى في وسط حقل) .

احد المنفيين : الى اين تذهب ؟

آخــر : الى بــيزا (٣٠) . وانت ؟

الاول : الى رومــا .

آخــر : وانا الى فينتسيا . وهاهما اثنان في طريقهما الى فيرارا . ماذا يكون مصيرنا ونحن مبعدون ، بعضنا عن بعض ، هكذا ؟

رابــع : وداعاً ، ياعزيزى ، الى اوقات احسن (يمضى)

الثــانى : وداعا . أما نحن فنستطيع أن نسير معا حتى صليب العذراء (يخرج مع آخر . يصل مافيو) .

المنفى الأول : هذا أنت ، يامافيو ! أية مصادفة جاءت بك إلى هنا ؟

مافيــو : إنى معكم . اعلموا أن الدوق قد خطف أختى . وقد سللت سيفى فأطبق على عنقى نمــر ذو أطراف حديدية ، وجردنى من سلاحى ثم تلقيت الأمر بمغادرة المدينة ، وكيسا مملــوءا بالدوكات .

المنفى الثانى : وأختك ، أين هى ؟

مافيــو : لقد أشاروا لى إليها هذا المساء ، وهى خارجة

---

(٣٠) كان حاكم بيزا هو : جاك دى لازاردى مديتشى ، وكان الجمهوريون يتوهمون انه يعطف على قضيتهم .

من المسرح في ثوب لم يكن عند الامبراطورة ثوب مثله . سامحها الله ! لقد كانت ترافقها امرأة عجوز ، وقد تركَتْ ثلاثا من أسنانها عند باب الخروج . إنني لم أسدد في حياتي لكمة أرضتني الى هذه الدرجة !

المنفي الثالث : إنهم يتمرغون جميعا في وحولهم وأقذارهم ، ونحن نموت قانعين !

الرابع : سيكتب إلينا فيليب ستروتسي من فينتسيا ، وسندهش جميعا ذات يوم ، عندما نجد جيشاً تحت إمرتنا !

الثالث : عاش فيليب ! لن تموت حرية إيطاليا مابقيت شعرة واحدة في رأسه (ينفصل جزء من الجماعة . يتعانق المنفيون جميعا)

صوت : إلى أوقات أحسن !

آخر : إلى أوقات أحسن ! (منفيان يعتليان جسرا تستكشف منه المدينة)

الأول : وداعا ، يا فلورنسا ، ياطاعون إيطاليا ! وداعا ، أيتها الأم العقيم التي لم تعد تملك لأطفالها لبنا !

الثاني : وداعا ، يا فلورنسا الفاسدة ، والشبح الرهيب لفلورنسا القديمة ! وداعا ، ياحمأة لاتسمى !

المنفيون جميعا : وداعا ، يا فلورنسا ! ملعونة أثداء نسائك ! ملعونة زفراتك ! ملعونة صلواتك ، وخبز حنطتك ، وهواء شوارعك ! اللعنة على آخر قطرة من دمك الفاسد !

الفصل الثاني

المشهد الأول

عند عائلة ستروتسي

فيليب : (في مكتبه) عشرة من المواطنين المنفيين ، في هذا الحى فقط ! الشيخ جالياتسو ، ومافيو الصغير ، منفيان ! وأخته (١) تفسد ، وتصبح بغيا ، في ليلة واحدة ! يا للصغيرة المسكينة ! متى تكون تربية الطبقات الدنيا قويمة بالقدر الذى يمنع الفتيات الصغيرات من أن يضحكن وآباؤهن يبكون ؟ أيكون الفساد قانونا من قوانين الطبيعة ، إذن ؟ وهذا الذى يسمى بالفضيلة ؟ أيكون ثوب الأحد ، الذى يلبسنه للذهاب للصلاة ؟ وبقية الأسبوع يلزمن النافذة ، وينظرن — وهن يطرزن الثياب — إلى الشباب العابرين ! أيتها الانسانية التعسة ! أى اسم تحملينه ، إذن ؟ أهو اسم جنسك أم عمادك ؟ ونحن — الحالمين العجائز — أية خطيئة أصلية غسلناها على وجه الانسانية منذ أربعة أو خمسة آلاف عام أصاب الاصفرار فيها وجوهنا وأسفارنا ؟ سهل عليك في سكون مكتبك ، أن تخط بيد خفيفة خطا دقيقا ، واضحا ، كشعرة الرأس ، على هذه

(١) أخت مافيو (١ : ١ ، ١ : ٦) .

الورقة البيضاء ! سهل عليك أن تشيد قصـــورا ومدائن بهذا الفرجار الصغير ، وشيء من المداد ! ولكن المهندس الذى يملك في مكتبه ألوفا من الرسوم البديعة لا يستطيع أن يرفع من الأرض أول حجر في بنائه ، عندما يشرع في العمـــل بظهوره المقوس وأفكاره الجامدة ! ولكنه شيء مرير ، مع ذلك ، ألا تكون سعادة البشر إلا حلما ! أما أن يكون الشر محتوما ، وأبديا ، وتغييره مستحيل ، فلا ! لمـــاذا يتلفت حـــوله الفيلسوف الذى يعمل من أجل الجميع ؟ هـــذا هو الخطأ ! إن أصغر حشرة تمـــر أمام عينيه تحجب عنه الشمس ! هيا ، إذن ، بمزيد من الجرأه ! الجمهورية ! هذه هى الكلمة التى نحتاج إليها ! وإذا لم تكن سوى كلمة فإنها شيء له قيمته ، مادامت الشعوب تنهض عندما تشـــق الهواء ! . . آه ! صباح الخير ، ياليون (يدخل عمدة كابو)

العمـــــدة : إنني قادم من « مولد » مونتوليفيه .

فيليـــــب : هل كان جميلاً ؟ هذا أنت أيضاً ، يا بيير ؟ اجلس ، إذن . عندي ما أقوله لك (يدخل بيير ستروتسي)

العمـــــدة : كان جميلاً جداً ، وقضيت فيه وقتاً طيباً إلا أن حادثة قد عرضت لي ، وأجد صعوبة في تقبلها .

بيـــــير : حقاً ؟ ما هي ، إذن ؟

العمـــــدة : تصور أنني دخلت دكاناً لكي آخذ كوباً من الليمون ، ولكن ؛ لا . إنه شيء لا يجـدى ومن الحمق أن أذكره .

فيليـــــب : أي شيء يجثم على صدرك ؟ إنك تتكلم كمن يعاني ألماً !

العمـــــدة : لا شيء . لا أكثر من كلمة مؤذية . ما مـن أهمية تعلق على كل هــذا .

بيـــــير : كلمة مؤذية ؟ عمن ؟ عنك ؟

العمـــــدة : ليس عني بالتحديد . إني حرى بـأن أهتم جيداً بما يقال عني .

بيـــــير : عمن ، إذن ؟ تكلم ، إذا سمحت .

العمـــــدة : أنا مخطىء . والمرء لا يتذكر أشياء كهـذه عندما يعرف الفرق بين رجـل شريف ، وسالفيـاتي ما !

بيـــــير : سالفياتي ؟ ماذا قال ذلك الوغد ؟

العمـــــدة : الحق معك . إنه وغد حقير ! أية أهمية لما يقول؟ رجل لا يستحى ، وخادم للبلاط ، وامرأتـه أكبر عاهرة فيما يقال ! لقد حدث ما حـدث ولن أذكره بعد الآن !

بيـــــير : أذكره ، وتكلم ، ياليون ، إنه يؤجج رغبتي في قطع أذنيه ! عمن كان يتقول ؟ عنـا ؟ عن أبي ؟ آه ! قسماً بدم المسيح ! إني لا أحبه

مطلقاً هذا السالفياتي ، ولا بد أن أعـــرف ! هل تسمعنى ؟

العمـــدة : سأقول لك إذا كنت مصراً على ذلك . لقد تحدث أمامي ، في دكان ، عن أختنـــا ، بطريقة مهينة حقاً !

بيـــير : يا إلهى ! وبأية ألفاظ ! هيا ، تكلم !

العمـــدة : بأقبـــح الألفاظ !

بيـــير : يالك من قسيس شيطان ! تراني نافذ الصـــبر ، وتتلمس الكلمات ! قل الأشياء كما هـــي ، فالكلمة كلمة ، بالطبع ، والله لا يمنـــع !

فيليـــب : بيير ، بيير ! إنك تسيء إلى أخيك !

العمـــدة : لقد قال انه سينام معها ! هذه هي الكلمـــة التي قالها : وانها قد وعدته بذلك !

بيـــير : انها ستنام . . . آه ! الموت له ! كم الساعـــة الآن ؟

فيليـــب : إلى أين تذهب ؟ هل جبلت من ملح البارود ؟ أي شيء ستفعله بهذا السيف ؟ إنك تحمـــل جنبك سيفاً(٢) !

بيـــير : لن أفعل شيئاً ، ولنذهب للعشاء . لقد أعـــد الطعام (يخرجون) .

---

(٢) لا بد ان بيير قد انتزع سيفا معلقا على احد الجدران ، ونسى انه يحمـل سيفا آخر .

المشهد الثانى

مدخــــل كنيســـة

يدخــــل لورنـــزو وفالــــورى

فالــورى : كيف لا يجىء الدوق إلى هنا ؟ آه ! ياسيدى ، لكم تسر هذه الروائع التى تزخـــر بها الكنيسة الرومانية رجلا مسيحيا ! وأى رجل يمكن أن يكون هنا جامد الأحساس ؟ ألا يجد الفنان هنـــا نعيم قلبه ؟ والمحارب ، والقس ، والتاجـــر ، ألا يلتقون هنا بكل مايحبون ؟ هذا التوافق الرائع بين آلات الأرغن ، وهذا الرياش النضير من المخمل ، والستائر المزركشة ، وهذه اللوحات عمل الأساتذة الأوائل ، والعطور الهادئة ، الجميلة ، التى تؤرجحها المباخر ، والأناشـــيد العذبة التى تنشد بهذه الأصوات الفضية . . . إن هذا كله يمكن أن يصدم باجتماعه الدنيوى مشاعر الراهب الصارم ، عدو المتعة ، ولكن ؛ لا أجمل عندى من ديانة تستحب بمثل هذه الوسائل(٣) . ليست الديانة طيرا جارحا ، ولكنها حمـــامة حانية ، تبسط جناحيها في رفق على كل مايحلم به الناس وما يحبونه !

لورنـــزو : مامن شك في أن ماتقوله صحيح تماما ، وزائف تماما ، ككل شىء في الدنيا . !

---

(٣) سبق ان ابدى شاتوبريان مثل هذا الراى فى كتابه « عبقرية المسيحية » (١٨٠٢) .

تيبالد يوفريتشا : (يدنو من فالورى) آه ! ياسيدى ، ما أجمل أن أرى رجلا كنيافتك يتحدث هكذا عن التسامح والحماسة المقدسة ! اغفر لمواطن مغمور، يحترق بهذه النار الألهية ، أن يشكرك على هذه الكلمات القليلة التى سمعها الآن . إن أعظم سعادة يمكن أن يشتهيها المرء ، هى أن يجد مابقلبه على شفتى رجل نبيل !

فالورى : ألست فريتشا الصغير ؟

تيبالديو : إن لأعمالى أهمية قليلة ، فإنى أعرف كيف أحب الفنون أكثر مما أعرف كيف أمارسها . ولكن شبابى قد انقضى كله في الكنائس ؛ ويلوح لى أننى لا أستطيع أن أعجب بغير رفائيل (٤) وفناننا الإلهى بوناروتى (٥) . إنى أقف أياما أمام أعمالهما ، وأنا في دهشة ليس لها نظير ! إن ألحان الأرغن تكشف لى عن فكرهما وتجعلنى أنفذ إلى أعماقهما ! إنى أنظر إلى أشخاص لوحاتهما وهم راكعون في قداسة ، وأصغى كما لو كانت أناشيد الجوقة خارجة من أفواههم المنفرجة . وتمر نفحات البخور العطرى بينهم وبينى في سحابة خفيفة ، وأعتقد

---

(٤) من أبرز فنانى عصر النهضة ، كان يعمل فى بيروز وفلورنسا قبل ان يصبح كبير المهندسين ، والمشرف على عمائر الفاتيكان (١٤٨٣ ـ ١٥٢٠) .

(٥) ميكل انجلو ، الفنان الاشهر ، صاحب تمثال موسى وقبة القديس بطرس فى الفاتيكان واعمال الفريسك فى كنيسة سلستين ومقبرة عائلة مديتشى (١٤٧٥ ـ ١٥٦٤) .

أنني أرى فيه مجـــد الفنان . إنه ــ هو أيضا ــ دخان حزين ، رقيق ، لا يكون إلا عطرا عديم الجدوى إذا لم يصعد إلى الرب !

فالــورى : إنك فنان حقيقى . تعال إلى قصرى . وليكن معك شيء تحت معطفك . عندما تجيء . إنى أريد أن تشتغل لحسابى .

تيبالديــو : إن صاحب النيافة يسبغ علىّ شرفا أكبر ممـــا أستحق . وأنا خادم جد متواضع لديانةالعصور المقدســة .

لورنــزو : لمــاذا تستّرد ماتعرضه من خدمة ؟ يلوح لى أنك تحمل رسما بين يديك .

تيبالديــو : هذا صحيح ، ولكننى لا أجروء على إظهـــاره لأمثالكما من كبار العارفين . إنه تخطيط ركيك لحلم رائع !

لورنــزو : هل تصور أحلامك ؟ سأعرض عليك بعض أحلامى .

تيبالديــو : إن تحقيق الأحلام هو حياة المصور . لقد أعاد أكبر المصورين أحلامهم إلى الحياة بكل قوتّها ، ودون أن يغيروا شيئا منها . لقد كان خيـــالهم شجرة مملؤة بالعصارة . وكانت براعمها تتحول دون مشقة إلى أزهار ، والأزهار إلى ثمـــار ، وسرعان ماتنضج هذه الثمار في شمس محسنة ، وعند نضجها تنفصل من تلقاء نفسها ، وتسقط على الأرض ، دون أن تفقد ذرة واحدة من

غبار بكوريتها . وا أسفاه ! إن أحلام الفنانين الصغار نباتات يصعب تغذيتها ، وهم يروونها بالدموع المريرة لكي تثمر ثمـــرا قليلا ! (يظهر لوحته)

فالـــورى : رسم جميل ، دون مجاملة ، وإن لم يكن من الدرجة الأولى حقيقة . ولمـــاذا أجامل رجـــلا لا يفتخر هو نفسه بمـــا يعمل ؟ واكن لحيتك لم تنبت بعد ، أيها الشاب .

لورنـــزو : أهو منظر ريفى ، أم صورة شخصية ؟ ومن أى جانب ينبغى أن ننظر إليه ؛ أبالطول أم بالعرض؟

تيبالديـــو : سيادتك تسخر منى ! إنه مشهد الكامبوسانتو(٦)

لورنـــزو : كم تبلغ المسافة من هنا إلى الأبد ؟

فالـــورى : لايجمل بك أن تسخر من هذا الغلام ! انظـــر كيف يبـــدو الحزن في عينيه الواسعتين ، مع كل كلمة من كلماتك !

تيبالديـــو : الأبد هو الايمان . وأولئك الذين وهبهـــم الله أجنحة يبلغونه باسمين .

فالـــورى : إنك تتكلم كتلميذ لرفائيل (٧) .

تيبالديـــو : ياسيدى ، لقد كان أستاذى ، ومنه تعلمت .

لورنـــزو : تعال إلى بيتى . سأجعلك تصور الماتسافيرا (٨)

---

(٦) احدى مقابر فلورنسا ، وهى مقامة فوق ربوة عالية .

(٧) كان رفائيل يصور العذراء والملائكة باسمين دائما .

(٨) بغى فلورنسية .

وهى عارية .

تيبالديــو : إننى لا أقــدر ريشتى ، ولكننى أحترم فنى !

لورنــزو : لقد خلقها ربك وتستطيع أن تصورها ! هــل تصور من أجلى منظرا لفلورنسا ؟

تيبالديــو : نعم ، ياسيدى .

لورنــزو : كيف تصورها ؟

تيبالديــو : أقف ناحية الشرق . على الشاطىء الأيسر من الآرنو . إن المشهد يكون أكثر اتساعا وملاءمة في ذلك الموضع (٩) .

لورنــزو : وتصور فلورنسا بميادينها وبيوتها وشوارعها ؟

تيبالديــو : نعم ، ياسيدى .

لورنــزو : لمــاذا إذن لاتستطيع أن تصور عاهرة ، إذا كنت تستطيع أن تصور مكانا رديئا ؟

تيبالديــو : لم يعلمونى قط أن أتكلم هكذا عن أمى .

لورنــزو : ماذا تسمى أمك ؟

تيبالديــو : فلورنســا ، ياسيدى .

لورنــزو : فما أنت الا نغل ، لأن أمك ليست إلا بغيا !

تيبالديــو : إن جرحا داميا يمكن أن يخلف الفساد في أصح الأبدان . غير أنه من القطرات الثمينة ، من دم أمى ، يخرج نبات عطرى يشفى جميع الأمراض !

---

(٩) فوق المرتفعات التى تهيمن على فلورنسا .

إن الفن ــ هذه الزهرة القدسية ــ يحتــاج أحيانا إلى قمامة تسمد التربة ، وتخصبها !

لورنــزو : ماذا تعنى بذلك ؟

تيبالديــو : لقد كانت الشــعوب المسالمــة ، والسعيدة ، تستضيىء أحيانا بنور نقى ولكنه ضعيف. وهنالك أوتار كثيرة في قيثارة الملائكة ، ويستطيع النسيم أن يهمس على أضعفها ، وأن يخرج منها مجتمعة إيقاع جميل ، عذب ؛ ولكن الوتر الفضى لا يهزه إلا ريح الشمال . إنه أجمل الأوتــار وأنبلها . ولكن لمسة يد خشنة هى التى تناسبه . إن الحماســة أخت الألم !

لورنــزو : تعنى أن الشعب البائس يصنع الفنانين الكبار ! يجــدر بى أن أكون الكيميائى الذى يســتخدم إنبيقك عن طيب خاطر ، فإن دموع الشعوب تسقط فيه لآلىء ! قسما . إنك تعجبنى ! تستطيع الأسر أن تحزن ، والشعوب أن تقتلها التعاسة ، لكى يخصب هذا خيال السيد ! أيها الشــاعر المدهش ! كيف توفق بين هذا كله بتقواك ؟ !

تيبالديــو : إننى لا أسخر أبداً من شقاء الأسر . إننى أقول إن الشعر أعذب أنواع الألم ، وانه يحب إخوته . إننى أشفق على الشعوب المعذبة . ولكننى أعتقد حقا أنها تصنع الفنانين الكبار . إن ميادين القتال تخرج المحاصيل . والأرض التالفة تنتج القمح الذى تنعم علينا به السماء !

لورنـــزو : إن معطفك مهلهل . فهل تريد معطفا يحمـــل شارتى (١٠) ؟

تيبالديـــو : إننى لا أنتسب إلى أحد . وعندما يريد الفكر أن يكون حرا ، ينبغى أن يكون الجسد حرا كذلك.

لورنـــزو : أريد أن آمـــر خادمى بأن يضربك بضـــع ضربات بالعصا !

تيبالديـــو : لمـــاذا ، ياسيدى ؟

لورنـــزو : لأن هذا يخطر لى ! هل أنت أعرج منذ مولدك ، أم نتيجة لحادث ؟

تيبالديـــو : إننى لست أعرج . ماذا تعنى بذلك ؟

لورنـــزو : إنك أعرج أو مجنون !

تيبالديـــو : لمـــاذا ، ياسيدى ؟ إنك تسخر منى .

لورنـــزو : إذا لم تكن أعرج ، فكيف تبقى — إلا أن تكون مجنونا — في مدينة يستطيع فيها أول خادم عند واحد من آل مديتشى أن يقتلك مصـــداقا لأفكارك عن الحرية ، دون أن يجدوا في ذلك عيبـــا ؟

تيبالديـــو : إننى أحب أمى فلورنسا ، ولهذا أبقى على أرضها. إننى أعرف أن أى مواطن يمكن أن يغتـــال في وضح النهار ، وفي عرض الطريق ، بنـــاء على نزوة أولئك الذين يحكمونها ، ولذلك أحمـــل هذا الخنجر في حزامى .

---

(١٠) أى : أن تكون من اتباعى .

لورنـــزو	: هل تطعن الدوق بالخنجر إذا طعنك الدوق ، مثلما ارتكب الكثير من جرائم القتل ، في حفلاته الماجنة ، ليلهـــو ؟
تيبالديـــو	: ســـأقتله ، إذا هاجمنى .
لورنـــزو	: هل تقول هذا لى ، أنا ؟
تيبالديـــو	: لمـــاذا يحقد علىّ أحد من الناس ؟ إننى لا أؤذى أحدا . إننى أقضى أيامى في المرسم . وفي يوم الأحد أذهب إلى « كنيسة البشارة » أو « سانت مارى » . ولمـــا كان الرهبان يعتقدون أن لى صوتا حسنا ، فإنهم يلبسوننى رداءً أبيض ، وطاقية حمراء ، وأقوم بدورى في جـــوقات المنشدين ، وأؤدى في بعض الأحيان دورا مفردا صغيرا ، وتلك هى المناسبات الوحيدة التى أواجه فيها الناس . وفي المساء أذهب إلى بيت خطيبتى ، وعندما تكون الليلة جميلة أقضيها في شرفتها . إن أحدا لايعرفنى ، وأنا لا أعرف أحدا ، فمن ذا يفيده حياتى أو موتى ؟
لورنـــزو	: هل أنت جمهورى ؟ هل تحب الأمراء ؟
تيبالديـــو	: إننى فنان . إننى أحب أمى وخطيبتى .
لورنـــزو	: تعال غدا إلى قصرى . إنى أريد أن أكلفك بتصوير لوحة قيمة ليوم عرسى (١١) (يخرجون)

---

(١١) انه يعنى دائما بيوم عرسه ذلك اليوم الذى سيقتل فيه الكساندر (انظـر : ٣ ، ١)

المشهد الثالث

عند المـــاركيزة تشـــيبو

الكاردينـــال : (وحده) نعم ؛ سأطيع أوامرك ، يافارنيز(١٢) فليحبس قاصدك الرسولى(١٣) نفسه ، باستقامته ، في دائرة وظيفته الضيقة . وبيد ثابتة سأهـــز الأرض الزلقة التى لا يجرؤ على السير فوقهـــا ! إنك تنتظر ذلك منى . لقد فهمت هذا . وسأعمل دون أن أتكلم ، كما أمرت . لقد كنت تعرف من أنا عندما وضعتنى بالقرب من ألكساندر دون أن تقلدنى منصبا يجعل لى سلطانا عليه . لسوف يأخذ حـــذره من غيرى ، وهو يطيعنى في غفلته ! فليستنفذ قوته ضد أشباح رجال ، ينفخها ظل من القوة ! وسوف أكون الحلقـــة الخفية التى تربطه — وهو مقيد الرجلين واليدين — بالسلسلة الحديدية التى يمسك بطرفيها رومـــا وقيصر ! وإذا لم تكن عيناى تخدعاننى فإنه ، في هذا البيت ، توجد المطرقة التى سأستخدمها ! إن ألكساندر يحب زوجة أخى (١٤) ، وأستطيع أن أصدق أن هذا الحب قد أرضى غرورها ، ولكننى لست على يقين ممـــا يمكن أن يترتب

---

(١٢) البابا بول الثالث .

(١٣) الكاردينال باتشو فالورى (انظر : ١ ، ٤)

(١٤) لم يكن هذا الكاردينال اخا لزوج ريتشاردا . وقد جعل له المؤلف هـذه القرابة لكى يضاعف من قسوة ذلك الاسلوب الميكافيللى فى معالجة الامور .

عليه من نتائج ، إلا أنني متأكد ممـــا تريده منه .
ومن يدرى إلى أى مدى يمكن أن يصل تأثـــير
امرأة متحمسة حتى على ذلك الرجل الغليظ ،
على ذلك الدرع الحى (١٥) ؟ إن خطيئة عـــذبة
كهذه ، في سبيل غرض بديع كهذا ، لهى شيء
مغـــر ؛ أليس كذلك ، ياريتشياردا ؟ وأن
تضمى قلب الأسد ، هذا ، إلى قلبك الضعيف
الذى اخترقته السهام الدامية ، كقلب ســان
سيباستيان (١٦) ، وتتحدثي وعيناك دامعتان ،
عما يعانيه الوطن من آلام ، بينما يدس الطاغية
المعبود يديه الخشنتين في شعرك المرسل ،وتعملى
على إطلاق الشرارة المقدسة من صخرة ، فذلك
شيء يستحق التضحية بالأمانة الزوجيه ،وبعض
التفاهات الأخرى ! إن فلورنسا تستفيد من هذا
كثيرا ، ولا يفقد أولئك الأزواج الطيبـــون
شيئا ! ولكنه لم يكن ينبغى أن تجعلنى كاهـــن
اعترافها !

هاهى ذى مقبلة وكتاب صلواتها في يدها .
اليوم ، إذن ، يتضح كل شيء . دعى سرك
يسقط في أذن الكاهن فحسب . ولسوف يستطيع

---

(١٥) كان الكساندر يرتدى تحت ملابسه درعا متينا سيكون له دوره فى المأساة .

(١٦) توجد لوحات كثيرة من عصر النهضة فى ايطاليا تمثل استشهاد القديس سيباستيان ، وخاصة لوحة المصور مانيتينيا (١٤٣١ ـ ١٥٠٦) الموجودة فى متحف اللوفر بباريس .

النديم أن يستفيد منه ، إلا أنه ، يقينا ، لن يبوح بشيء ! (تدخل المـــاركيزة)

الكاردينـــال : (يجلس) ها أنذا مستعد (تركع الماركيزة بالقرب منه على كرسى اعترافها)

المـــاركيزة : اغفر لى يا أبى ، فقد أخطأت .

الكاردينـــال : هل قلت « أعترف »(١٧) ؟ نستطيع أن نبدأ ، أيتها الماركيزة .

المـــاركيزة : إنى أعترف بنوبات غضب ، وشكوك تتنـــافى مع الدين ، وتسيىء إلى البابا أبينا المقدس .

الكاردينـــال : استمرى .

المـــاركيزة : لقد قلت بالأمس في جماعة من الناس ، بمناسبة الحديث عن أسقف فانو ، إن الكنيسة الكاثوليكية المقدسة قد كانت مبـــاءة .

الكاردينـــال : استمرى .

المـــاركيزة : لقد أصغيت إلى أقوال تتعارض مع الأمانة التى أقسمت عليها لزوجى .

الكاردينـــال : من وجه إليك هذه الأقوال ؟

المـــاركيزة : لقد قرأت رسالة مكتوبة بنفس المعنى .

الكاردينـــال : من كتب إليك هذه الرسالة ؟

المـــاركيزة : إنى أعترف بما فعلت وليس بما يفعله الآخرون .

الكاردينـــال : يا ابنتى ، يجب أن تجيبى عن سؤالى إذا أردت

---

(١٧) Confiteor وهى صلاة تسبق الاعتراف عند الكاثوليك وتبدأ بهذه الكلمة.

أن يكون في مقدورى أن أمنحك الغفران وأنا مطمئن كل الاطمئنان . أخبريني قبل كل شيء ، إذا كنت قد أجبت على تلك الرسالة .

المـــاركيزة : لقد أجبت عليها بصوتى ، ولكننى لم أجـــب بالكتابة .

الكاردينـــال : ماذا قلت في إجابتك ؟

المـــاركيزة : لقد سمحت للشخص الذى كتب إلىّ بأن يلقانى كما أراد .

الكاردينـــال : كيف تم هذا اللقـــاء ؟

المـــاركيزة : لقد اعترفت الآن بالأصغاء إلى أقوال تتعارض مع شرفي .

الكاردينـــال : كيف أجبت عنها ؟

المـــاركيزة : لقد أجبت بما يناسب امرأة تحترم نفسها .

الكاردينـــال : ألم تظهرى شيئا يفهم منه أنه قد أقنعك أخيرا ؟

المـــاركيزة : لم أفعل ، يا أبى .

الكاردينـــال : هل أظهرت للشخص المعنى عزمك على عـــدم الأصغاء إلى أقوال كهذه في المستقبل ؟

المـــاركيزة : نعم ، يا أبى .

الكاردينـــال : هل يعجبك هذا الشخص ؟

المـــاركيزة : إن قلبي لا يعرف شيئا من ذلك ، فيما أرجو .

الكاردينـــال : هل أخبرت زوجك ؟

المـاركيزة : كلا ، يا أبى . إن الزوجة الشريفة لا ينبغى أن تثير الاضطراب في بيتها بحكايات من هذا النوع

الكاردينـال : ألا تخفين عنى شيئا ؟ ألم يقع بينك وبين الشخص المعنى شيء تترددين في الافضاء به إلى ؟

المـاركيزة : لا شيء ، يا أبى .

الكاردينـال : مامن نظرة رقيقة ؟ مامن قبلة مختلسة ؟

الماركيـزة : كلا ، كلا ، يا أبي .

الكاردينـال : يقيناً ، يا ابنتى ؟

الماركيـزة : يا أخا زوجي ؛ يلوح لي أنني لم أعتد أن أكذب أمام الله !

الكاردينـال : لقد رفضت أن تخبرني بالاسم الذي طلبته منك الآن . ولا أستطيع أن أمنحك الغفران دون أن أعرفه !

الماركيـزة : لماذا ؟ قد تكون قراءة خطاب ، لا قراءة توقيع ، هي الخطيئة . ما أهمية الاسم في المسألة؟

الكاردينـال : إنـه يهم أكثر مما تظنين !

الماركيـزة : ياماالاسبينا ؛ إنك تريد أن تعرف أكثر مما ينبغى ! لا تمنحنى العفران إذا شئت ، وسأتخذ لي كان اعتراف من أول قسيس قـادم ، وسيمنحنى إياه ! (تنهض)

الكاردينـال : ما هـذا العنف ، أيتها الماركيزة ! ألست أعرف أنه هو الدوق الذي تريدين أن تتحدثي عنه ؟

المارکیــــزة : الدوق ! . حسناً ! إذا كنت تعرف ذلك ، فلماذا تريد أن ترغمني على ذكره ؟

الكاردينـــال : لماذا ترفضين أن تذكريه لي ؟ إن هذا يدهشني !

المارکیــــزة : وماذا تريد أن تفعل به ، يا كاهن اعترافي ؟ هل تصر على معرفته بهذه القوة لكي تعيده على مسامع زوجي ؟ نعم ؛ يقيناً ! يخطىء المــرء عندما يتخذ كاهن اعترافه من بين أقربائه . إن السماء تشهد على أنني ـ وأنا راكعة أمامك ـ أنسى أنني زوجة أخيك . ولكنك تهتم بــأن تذكرني بهذا ؛ فكن حريصاً ، يا تشيبو ، كن حريصاً على خلاصك الأبدي ، أيها الكاردينال

الكاردينـــال : عودي إذن إلى هذا المكان ، أيتها الماركيزة ، فليس هناك ضرر كبير كما تعتقدين .

المارکیــــزة :ماذا تعنى ؟

الكاردينـــال : أعنى أن كاهن الاعتراف ينبغى أن يعـــرف كل شيء لأنه يستطيع أن يوجه كل شيء ؛ وأن أخاً الزوج لا ينبغى أن يقــول شيئاً . . بشروط معينة .

المارکیــــزة : أية شروط ؟

الكاردينـــال : كلا ، كلا ؛ إنني مخطىء . لم تكن هذه هي الكلمة التي أردت أن استخدمها . لقد أردت أن أقول ان الدوق . رجل ذو سلطان ، وإن شقاقاً معه يمكن أن يلحق الأذى بأكثر العائلات غنى وجاها ؛ ولكن سراً كبيراً إذا ما وضع

بين يدين متمرستين ، يمكن أن يصبح مصدر خير وفير .

المار كيزة : مصدر خير ! . . ويدان متمرستان ! . . إنني أقف جامدة كتمثال ، حقاً ! ماذا تضمر أيها الكاهن تحت هذا الكلام الذي يحمل أكثر من معنى ؟ إن هنالك عبارات معينة تمر سريعاً على شفاهكم ، ولا نعرف كنهها !

الكاردينال : عودي إذن ، واجلسى ، يا ريتشياردا . إنني لم أمنحك الغفران بعد .

المار كيزة : تكلم أنت دائماً ، فانه ما من دليل على أنني أريده .

الكاردينال : احترسي أيتها الماركيزة ! عندما يريد أحد أن يواجهنى متحدياً ، فلا بد أن يكون له درع درع متين ولا عيب فيه ! إننى لا أريد أن أهدد على الاطلاق ، ولا أملك إلا كلمة واحدة أقولها لك : اتخذى كاهن اعتراف آخر ! (يخرج)

المار كيزة : (وحدها) هذا شيء لم يسمع به من قبل ! يمضى وهو يعصر كفيه ، وعيناه تشتعلان غضباً ويتحدث عن يدين متمرستين ، وعن التوجيه إلى أشياء معينة ! ما الحكاية إذن ؟ لئن كان يريد أن يعرف سري ليخبر به زوجي ، فهذا شيء أفهمه . ولكن : إذا لم يكن ذلك ما يرمى إليه ، فماذا يريد أن يجعل منى ؟ عشيقة الدوق؟

أن يعرف كل شيء — هكذا يقول — وأن يوجه كل شيء ! ولكن هذا مستحيل ! . . إن هناك سراً آخر ، هذا مؤكد . إنني أعرفه . تلك حرفة خليق بها لورنزاتشو ! أما هو ! . . لا بد أن لديه فكرة خفية أكبر من هذا ، وأعمق . أواه ! كيف يخرج الرجال من ذواتهم فجأة ، بعد عشر سنوات من الصمت ! إنه شيء مخيف ! والآن ، ماذا أفعل ؟ هل أحب ألكساندر ؟ كلا ؛ إنني لا أحبه . كلا ؛ يقيناً ! لقد قلت : « كلا » في اعترافي ، ولم أكذب . لماذا يكون لوران في ماسا ،؟ ولماذا يلاحقني الدوق ؟ لماذا أجبت بأنني لا أريد أن ألقاه ثانية ؟ لماذا ؟ . . أواه ! لماذا يكون في ذلك كله مغناطيسية ، وسحر غامض يجذبني ؟ (تفتح نافذتها) ما أجملك يا فلورنسا ، ولكن : ما أشد حزنك أيضاً ! هنالك أكثر من بيت قد دخله ألكساندر ليلاً ، متخفياً تحت معطفه ! إنه فاسق ، كما أعلم ! ولماذا تختلطين بهذا كله ، يا فلورنسا ؟ من الذي أحبه إذن ؟ أنت ؟ أم هو ؟

أنيولو : (يدخل) سيدتي ؛ إن صاحب السمو قد دخل الفناء .

الماركيزة : شيء غريب ! لقد تركني مالاسبينا وأوصالي كلها ترتعد !

المشهد الرابع

في قصر سوديريني

ماري سوديريني . كاترينـــا . لورنزو « جالسين »

كاترينـــــا : (ممسكة بكتاب) أي تاريخ أقرأ لك ، يا أمي ؟

مـــــاري : إن عزيزتي كاتينا(١٨) تسخر من أمها المسكينة ! هل أفهم شيئاً من كتبك اللاتينية ؟

كاترينـــــا : ليس هذا الكتاب باللاتينية ولكنه مترجم عنها . إنه التاريخ الروماني .

لورنـــــزو : إنني متبحر في التاريخ الروماني . لقد كـــان يوجد ذات يوم نبيل شاب اسمه تاركـــــان الابن(١٩) .

كاترينـــــا : آه ! هذه قصة دامية !

لورنـــــزو : آه ! هذه قصة خرافية ! لقد كان بروتس(٢٠) مخبولاً ، يعتريه جنون الفكرة الثابتة ، ولا أكثر من ذلك . وكان تاركان دوقاً حكيماً ،

---

(١٨) تصغير لاسم كاترينا .

(١٩) هو سكستوس (أبوه تاركان ، آخر ملوك روما ، وقد مات فى عام ٤٩٤ ق.م) وقد تسلل الى خيمة لوكريس – زوجة احد قواد أبيه ، فى حصار مدينة آرديا – واغتصبها قهرا ، فانتحرت . وكان هذا الحادث سببا فى اشتعال الثورة والاطاحة بتاركان ، واقامة النظام الجمهورى . وقد قتل سكستوس فى عام ٤٩٦ ق.م .

(٢٠) لوشيوس جونيوس بروتوس : قـاد الثـورة على حـكم تاركـان ، وأسس الجمهورية . وكان تاركان قد قتل أباه واخوته ، ولم ينج هو من الموت الا باصطناع الجنون ، فسمى (بروتس) أى العبيط .

يذهب خفية ليرى إن كانت الفتيات الصغيرات ينمن جيداً !

كاترينـــــا : هل تتحدث بالسوء عن لوكريس أيضاً ؟

لـــــورنزو : لقد استمتعَتْ بلذة الخطيئة ، وعظمة الموت ! لقد تركت نفسها تؤخذ حية ، كعصفورة في المصيدة ، ثم غيبت سكينها الصغيرة برفـــق في بطنهـــا !

مـــــاري : إذا كنت تحتقر النساء ، فلماذا تتعمد تحقيرهن أمام أُمك وأُختك ؟

لـــــورنزو : إنني أحترمكما ، أنت وهي . وفيما عـــــدا ذلك ، يثير العالم كله تقززي !

مـــــاري : هل تعرف الحلم الذي حلمته الليلة ، يا بني ؟

لـــــورنزو : أي حلم ؟

مـــــاري : إنه آلم يكن حلماً قط ، لأني لم أكن نائمـــة . لقد كنت وحدي في هذه القاعة الكبيرة . وكان مصباحي بعيداً عني ، على هذه المنضدة المجاورة للنافذة . وكنت أحلم بالأيام التي كنت فيهـــا سعيدة ؛ أيام طفولتك يا عزيزي لورنزينو ! وكنت أنظر إلى هذا الليل المظلم ، وأقـــول لنفسي : إنه لن يعود إلا نهاراً ، وهو الذي كان فيما مضى ،، يقضى الليالي في الدروس والتحصيل ، وكانت الدموع تملأ عيني ، وكنت أهز رأسي وأنا أشعر بتساقطها ! وسمعت فجأة

خطوات بطيئة في الردهة . واستدرت ، وكان رجلاً مقبلاً نحوى في حلة سوداء . وتحت ذراعه كتاب(٢١) . . . لقد كان إياك يا رنزو وهتفت قائلة : « لكم تبكر في عودتك » ! . . ولكن الشبح اتخذ مجلسه بجوار المصباح دون أن يجيبنى ، وفتح كتابه . وعرفت فيه عزيزي لورنزينو ، كما كان في الماضي ! .

لـــــورنزو : هل رأيته ؟

مـــــاري : كما أراك .

لـــــورنزو : ومتى ذهب ؟

مـــــاري : عندما جذبت الجرس في عودتك هذا الصباح

لـــــورنزو : شبحى ، أنا ! وذهب عندما رجعت ؟

مـــــاري : لقد نهض والكآبة بادية عليه . واختفى كبخار المصباح !

لـــــورنزو : كاترينا ، كاترينا ! اقرئي لي حكاية بروتس !

كاترينـــــا : ماذا ألم بك ؟ إنك ترتعد من رأسك حتـــى قدميك !

لـــــورنزو : فلتجلسي يا أماه مساء اليوم في المكان الذي كنت تجلسين فيه الليلة . وإذا عـــاد شبحى ،

---

(٢١) لقد كان موسيه يعانى من ظاهرة مرضية وهو فى مدينة فينتسيا ، فكان يرى شبحا شبيها به ، فى حلة سوداء ، يسير بجانبه فى الطريق • وفى « ليلة ديسمبر » يقول موسيه : كنت وانا تلميذ اسهر الليل فى قاعتنا المنعزلة • وكان يجيء ويجلس الى منضدتى غلام شاحب الوجه ـ فى حلة سوداء ـ يشبهنى كاخ لى •••

فقولي له انه سيرى شيئاً يذهله عما قـريب !
(طرق على الباب) .

كاترينـــا : إنه عمي بندو ، وبابتستافنتوري (يدخـل بندو وفنتوري) .

بنـــدو : (إلى ماري بصوت خفيض) سأبذل محاولة أخيرة .

مـــاري : سنترككم . وأرجو أن توفق ! (تخـرج مع كاترينا)

بنـــدو : لورنزو ؛ لماذا لا تكذب الرواية الفاضحـة التى تروى عنك ؟

لـــورنزو : أية رواية ؟

بنـــدو : يقولون إنلك قد أغمى غليك عندما رأيت سيفاً !

لـــورنزو :هل تصدق ذلك ، يا عمي ؟

بنـــدو : لقد رأيتك تتدرب على استخدام السلاح فـى روما ، ولكنه لا يدهشنى أن تصبح أحقـر من كلب ، في حرفتك التى تمارسها هنا !

لـــورنزو : الرواية حقيقية ؛ لقد أغمى علي . صبـاح الخير ، يا فنتوري . بأي سعر تبيع اليـوم ؟ كيف حال التجارة ؟

فنتـــوري : يا سيدي ؛ إنني أقف على رأس مصنع للحرير ؛ أما أن أدعى تاجراً ، فهذه إهانة لي !

لـــورنزو : هذا صحيح . لقد أردت أن أقول فقط ، إنلك

قد اعتدت في الكلية هذه العادة البريئـــة ، ألا وهي بيع الحرير(٢٢) .

بنـــدو : لقد افضيت الى السيد فنتورى بالمسائل التى تهم الآن عددا كبيرا من الاسر ، في فلورنسا . انه صديق فاضل للحرية . وأنتظر ، يالورنـــزو ، ان تعامله باعتباره كذلك . لقد مضى وقـــت المزاح ، وقد كنت تقول لنا احيانا ان هذه الثقة المتناهية التى يضعها فيك الدوق ليست ســـوى فخ من جانبك . أهذا حق ام كذب ؟ هل انت من انصارنا ام لست كذلك ؟ هذا ما يجب ان نعرفه . ان العائلات الكبيرة كلها ترى انالحكم الاستبدادى الذى يمارسه آل مديتشى ليـــس حكما عادلا ولا محتملا . فبأى حق نترك هذا البيت المتعجرف يرتفع على اطلال امتيازاتنا في سكون ؟ ان معاهدة التسليم لاتراعى ، ونفوذ الألمان يبدو مطلقا ، يوما بعد يوم ، وقد حان الوقت لانهائه ، وحشد الغيورين على الوطن . هل تلبى هذا النداء ؟

لورنـــزو : ما رأيك ، ياسيد فنتورى ؟ تكلم ، تكلم ، فها

---

(٢٢) فى مسرحية السيد البورجوازى لموليير (٤ : ٥) يقول الخادم : « هـــو ، تاجر ؟ محض افتراء ! انه لم يكن تاجرا قط ! كل ما فى الأمر انه كـــان مفضـــالا للغاية ، خدوما للنهاية ، ولأنه كان يعرف كل شيء عن الاقمشة ، فقد كان يتخيرها من هنا ومن هناك ، ويحضرها الى بيته ، لم يعطيها لأصدقائه بالثمن » ! وهنا يشير موسيه الى ازدراء رجال الصناعة الذين كانت لهم السيطرة ابان حكومة يوليو الملكية فى فرنسا (١٨٣٠) لطائفة التجار فى ذلك العهد .

هو عمى يسترد أنفاسه . انتهز هذه الفرصة اذا كنت تحب بلدك !

فنتوری : ياسيدى ، انى افكر نفس التفكير ، وليس عندى كلمة واحدة اضيفها .

لورنزو : مامن كلمة واحدة ؟ مامن كلمة واحدةصغيرة ، رنانة ؟ فأنت لا تعرف البلاغة الحقيقية ! انهم يدورون دورة كبيرة حول كلمة صغيرة ، لا هي بالقصيرة جدا ولا بالطويلة جدا ، ولكنها كروية كالنحلة . ويطوحون بالذراع الايسر الى الوراء بطريقة تطوى معاطفهم طيات ملؤها وقار وتخفف من وطأته الرشاقة . انهم يطيلون دورتها التى تتسع كوتر جهير . وتنطلق النحلة الصغيرة في طنين ممتع ، ويكاد يكون فيمقدورنا ان نلتقطها في راحة اليد كأطفال الشوارع !

بندو : انت وقح ! اجب او اخرج من هنا !

لورنزو : انى من انصاركم ،ياعمى . الا ترى من تصفيف شعرى انى جمهورى بقلبي ؟ انظر الى الطريقة التى اسوى بها لحيتى ، ولاتداخلك الريبة في ذلك لحظة واحدة ، فان حب الوطن يتنفس تحت ثيابي التى تلامس جلدى(طرق على الباب الخارجى . تمتلىء الساحة بالخدم وبالجياد) .

خادم : (داخلا) الدوق ! (يدخل الكساندر)

لورنــزو : ياله من عطف زائد ، ياسيدى الامير ! تتنازل وتزور بنفسك خادما مسكينا ؟

الــدوق : من هذان الرجلان ؟ ان عندى ما اقوله لك .

لورنــزو : يشرفنى ان اقدم الى سموك عمى بندو التوفيّى ، الذى يأسف لان رحلة طويلة الى نابولى لم تمكنه من ان يرتمى على قدميك في فرصة اقرب من هذه ! وهذا السيد الآخــر هو بابتستافنتورى الشهير الذى يصنع الحرير حقيقة ولكنه لايتاجر فيه ابدا ! ارجو الا يثير اضطرابك حضــور الامير العظيم ، غير المتوقع ، الى هذا البيــت المتواضع ، ياعمى العزيز ، وانت ايضا ياسيدى المحترم فنتورى . ان ماتطلبانه سيستجاب أويحق لكما ان تقولا ان توسلاتي لا قيمة لها عند مولاى الجليــل !

الــدوق : ماذا تطلب يابنــدو ؟

بنــدو : ياصاحب السمو ، يؤسفنى ان ابن اخى . . . .

لورنــزو : ان لقب سفير في روما لا يحمله أحد في اللحظة الحاضرة . وقد كان عمى يطمع في الحصول عليه من مكارمكم ، وليس في فلورنسا رجل واحــد يمكن ان يقارن بــه في ولائــه واحترامه الواجبين لآل مديتشى !

الــدوق : حقا ، يارنزو ؟ حسنا ! ليكن ذلك ياعزيــزى بندو . تعال الى القصر في صبيحة الغــد .

بنـــدو : يا صاحب السمو ، انى مضطرب . كيــف اعترف بفضل . . ؟

لورنـــزو : ولما كان السيد فنتورى لا يبيع الحرير مطلقا ، فانه يطلب امتيازا لمصانعـــه .

الـــدوق : أى امتيـــاز ؟

لورنـــزو : شعاراتك على الباب مع البراءة . اسمح له بها يامولاى ، اذا كنت تحب من يحبونك .

الـــدوق : حسنا ! هـــل انتهينا ؟ اذهبا ايهـــا الســـيدان. صحبتكما السلامة !

فنتـــورى : ياصاحب السمو ! . . انك تملؤني غبطـــــــة وسرورا . . انى لا استطيع ان اعبر . . .

الـــدوق : (الى حراسه) دعوا هذين الشخصين ينصرفان .

بنـــدو : (إلى فنتورى بصوت خفيض ، وهو يخرج) هذه خدعة دنيئة !

فنتـــورى : (بنفس اللهجة) ماذا تعتزم ان تفعـــل ؟

بنـــدو : (بنفس اللهجة) ماذا تريدني ان افعل ؟ انـــى معين .

فنتـــورى : (بنفس اللهجة) شيء فظيع ! (يخرجان)

الـــدوق : لقد ملكتُ تشـــيبو .

لورنـــزو : اني مستاء لذلك .

الـــدوق : لمـــــاذا ؟

لورنـــزو : لانه سيكون ظلما للاخريات .

الـــدوق : كلا ، في الحقيقة ، انها تضايقنى الآن ! قل لى اذن ، ياندیمی ، من هذه المرأة الجميلة الـتى تنسق ازهارها على هذه النافذة ؟ اني اراهـــا دائما عند مروری ، منذ وقت طويل .

لورنـــزو : اين هـــى ؟

الـــدوق : هناك امامنا ، في القصر .

لورنـــزو : اوه ! لا شيء هناك .

الـــدوق : لا شيء ؟ اتدعو هاتين الذراعين لا شيء ؟ اية فينـــوس هذه !

لورنـــزو : انها جارة لنـــا .

الـــدوق : اريد ان اكلم هذه الجارة . اوه ، حقا ! انهـــا كاترينا جينورى ، اذا لم اكن مخطئا .

لورنـــزو : كـــلا !

الـــدوق : اني اعرفها جيدا ، انها خالتلك . ويحى ! لقـــد كنت نسيت هذا الوجه ، هاتها اذن على العشاء .

لورنـــزو : ذلك شيء عسير للغاية ! انها الفضيلة بعينهـــا .

الـــدوق : هراء ! هل يعسر علينا مثل ذلك ؟

لورنـــزو : سأطلب ذلك منها ، اذا شئت . ولكننى انذرك بانها متحذلقة ! انها تتحدث باللاتينيـــة .

الـــدوق : حسنا ! إنها لاتمارس الحب باللاتينية ! تعال من هنا إذن . سنراها أحسن ، من هذا الرواق .

لورنـــزو : مرة أخرى ، ياحبيبي . إنى لا أملك وقتا لكى

أضيعه في هذه الساعة . يجب أن أذهب الى بيت ستروتسى .

الـــدوق : ماذا ! إلى بيت ذلك المجنون العجوز ؟

لورنـــزو : نعم ؛ إلى بيت ذلك الشقى العجوز ! إلى بيت ذلك الرجل البغيض ! يبدو أنه لا يستطيع أن يبرأ من تلك النزوة الغريبة ، فهو يفتح كيس نقوده دائما لكل هذه المخلوقات الدنيئة التى تدعى بالمنفيين ! ويجتمع عنده كل يوم أولئك المتضورون جوعا ، قبل أن ينتعلوا أحذيتهم ، ويأخذوا عصيهم ! وأعتزم الآن أن أمضى إلى هناك بأسرع ما أستطيع ، فآكل عشاء ذلك المجرم العجوز ، وأوكد له صداقتى القلبية من جديد ! وسوف تكون عندى الليلة حكاية طيبة أحكيها لك ، وفعلة صغيرة ، رائعة ، تستطيع أن توقظ في ساعة مبكرة من صباح الغد بعض أولئك الأوغاد !

الـــدوق : ما أسعدنى بك ، ياندیمی ! أعترف بأنی لا أفهم كيف يستقبلونك .

لورنـــزو : لا بأس ! تستطيع ذلك لو عرفت كيف يسهل الكذب بوقاحة على جلف ، غليظ ! إن هـــذا يدل على أنك لم تحاول قط . بالمناسبة ، ألم تقل لى إنك تريد أن تعطى صورتك لا أذكر لمن ؟ إن عندى مصورا سأجيئك به . إنه محسوب .

الـــدوق : حسنا ، حسنا ! ولكن ؛ تذكر خالتك ! لقـــد

جئت أزورك من أجلها . عليّ اللعنة ! إن لك خالة تعجبنى !

لورنـــزو : وتشـــيبو ؟

الـــدوق : أقول لك حدث عنى خالتك ! (يخرجان)

المشهد الخامس

بهـــو في قصر آل ســـتروتسى

فيليب ستروتسى : العمدة . لويزه (تطرز) . لورنزو « مضطجع على أريكة »

فيليـــب : أسأل الله ألا يكون شيء من ذلك ! فكم من عداوات دائمة ، لا يخمد لها أوار ، لم تبدأ بعد . على نحو آخر ! كلمة تقال . بخار أكلة يتصاعد هذيانا على شفتى فاجرٍ ، غليظتين ! هذه هى حروب العائلات . وهكذا تنسحب الخناجر ! يهـــان امروء فيقتل . وكما قتل يقتل . وسرعان ما تتأصل العداوات ؛ ويهـــدهد الناس أبناءهم في توابيت جدودهم ؛ وتخرج أجيال بأسرها من باطن الأرض وسيوفها في أيديها . !

العمـــدة : ربما أكون قد أخطأت بتذكر هذه الكلمـــة الخبيثة ، وهذه الرحلة اللعينة إلى مونتوليفيه . ولكن ؛ ما الوسيلة إلى احتمال أبنـــاء سالفياتى هؤلاء ؟

فيليـــب : آه ! ياليون ، إنى أسألك : أى شيء كان يتغير

بالنسبة إلى لويزه ، وإلينا ، إذا لم تقل شيئا
لأولادى ؟ ألا تستطيع الفضيلة التى تتحلى بها
واحدة من آل ستروتسى أن تنسى كلمة قالها
سالفياتى ما ؟ هل ينبغى على ساكن قصر من
الرخام أن يعرف الكلمات البذيئة التى يكتبها
العامة على جدرانه ؟ ماذا تهم كلمة قالها جوليان
ما ؟ ستقل فرصة ابنتى في العثور على زوج
كريم ؟ سيقل ما يحمله لها أبناؤها من احترام ؟
سأذكرها أنا ، أبوها ، عندما أمنحها قبلة
المساء ؟ أين نحن ، إذن ، إذا كانت سفاهة
أول قادم تجرد من أغمادها سيوفا كسيوفنا ؟
لقد ضاع الآن كل شىء ؛ فها هو بيير قد
تملكه الغضب لكل ما قصصته علينا . لقد هجر
البيت ومضى إلى بيت عائلة باستى ؛ والله يعلم
ما يمكن أن يحدث ! ولو التقى بسالفياتى فسوف
يراق الدم ؛ دمى ، دمى ، على أرض فلورنسا !
أواه ! لماذا كنت أبا ؟ !

العمدة : لو كان أحد قد نقل إلىّ كلاما قيل عن أختى ،
أيا كان ، لكنت أدرت له ظهرى ، وانتهى
كل شىء ! ولكن ذلك الرجل قد كان يوجه
حديثه إلىّ ، وكان من البذاءة بحيث تصورت
أن السفيه لم يكن يعرف عمن يتحدث . ولكنه
كان يعرف جيدا !

فيليب : نعم ؛ إنهم يعرفون ، أولئك الأرذال ! إنهم
يعرفون جيدا أين يضربون ! إن جذع الشجرة

القديم إنما هو من خشب صلب للغاية ، ولـــن يقطعوه ! ولكنهم يعرفون العرق الدقيق الذى يختلج في باطنه عندما يهاجمون أضعف أغصانه ! عزيزتى لويزه ! أواه ! ماذا يكون العقل ، إذن ؟ إن هذه الفكرة تجعل يدى ترتعدان . يا أيها الأله العادل ! أيكون العقل هو الشيخوخة؟

العمـــدة : إن بيير عنيف أكثر ممـــا ينبغي .

فيليـــب : بيير المسكين ! كيف تصاعد الدم إلى وجهه ! وكيف كان يرتعد وهو يسمعك وأنت تذكـــر الاهانة التى ألحقت بأخته ! إننى ــ أنا ــ المجنون لأننى تركتك تتكلم ! لقد كان بيير يـــذرع الغرفة بخطوات سريعة وهو مضطرب ، غاضب ، فاقد الصواب ! لقد كان يذهب ويجيء كمـــا أفعل الآن . وكنت أنظر اليه في صمت . وإنه لمشهد جميل ، أن يتصاعد الدم النقى إلى وجه لاعيب فيه ! وكنت أقول في خاطرى : إيه ، يا وطنى ! ها هو ذا واحد ، وهو أكبر أبنائى ! إيه ! ياليون ؛ هذه فرصتى الجميلة ، فأنا واحد من آل ستروتسى !

العمـــدة : قد لا يكون هناك خطر كبير كما تظن . . فمن غير المحتمل أن يلتقى بسالفياتى هذا المســـاء . وغدا ، سنرى كل شيء ونحن أكثر هدوءا .

فيليـــب : لا يكن عندك شك في هذا : إن بيير ســـيقتله أو يقتل نفسه (يفتح النافذة) أين هما الآن ؟

هذا هو الليل ، والمدينة يلفها ظلام عميق . إن هذه الشوارع المظلمة تخيفنى . . إن الدم يهـــرق في مكان ما ! إنى على يقين من ذلك !

العمـــدة : اهـــدأ !

فيليـــب : إن الطريقة التى خرج بها ولدى بيير تؤكد لى أننى لن أراه إلا منتقما أو قتيلا . لقد رأيتـــه ينتزع سيفه مقطب الجبين . وكان يعض شفتيه ، وكانت عضلات ذراعه مشدودة كالأقواس ! نعم ، نعم ؛ إنه الآن قد مات أو انتقم لنفسه ؛ ولا شك في هذا !

العمـــدة : هدىء من روعك ، واغلق هذه النافذة .

فيليـــب : حسنا ، يا فلورنسا ! فلتعرفى إذن لون دمـــى النبيل على أرض شوارعك ! إن أربعين من أبنائك يحملونه في عروقهم . وأنا ، رب هذه الأسرة الكبيرة ، سينحنى رأسى الأبيض أكثر من مرة فوق هذه النوافذ ؛ وأنا أعانى أحزان الأبوة ! أكثر من مرة ، سيجف في شمس ميادينك هذا الدم الذى ربما كنت ترتوين به الساعة دون مبالاة ! ولكن : لا تسخرى في هذه الليلة من ستروتسى العجوز الذى يخاف على ولده ! كونى ضنينة بأسرته ، فلسوف يجىء اليوم الذى تحصين فيه أفرادها ، وتقفين في النافذة معه ، ويخفق قلبك أيضا عندما تسمعين صليل سيوفنا !

لويــزه : أبى ! أبى ! إنك تخيفنى

العمــدة : (إلى لويزه بصوت خفيض) أليس هذا توماس الذى يتجول تحت هذه المصابيح ؟ لقد بدا لى أننى عرفته بقامته القصيرة . ها هو قد رحل .

فيليــب : أيتها المدينة المسكينة ! التى ينتظر الآباء فيهــا عودة أبنائهم هكذا ! أيها الوطن المسكين ! أيها الوطن المسكين ! كثيرون ، في هذه الساعة ، قد أخذوا معاطفهم ، وسيوفهم ، وأوغلوا في هذا الليل المــد لهم (٢٣) . وأولئك الــذين ينتظرونهم لا يشعرون بالقلق ، فهم يعلمون أنهم سيموتون غدا بفعل الشقاء ، إذا لم يقتلهم البرد في هذه الليلة ! ونحن ، في هذه القصور الفاخرة ، ننتظر حتى نهان لكى نجرد سيوفنا ! إن لغو رجل مخمور يثيرنا ، ويشرد في هــذه الشوارع المظلمــة أبناءنا وأصدقاءنا ، ولكن المصائب العامة لاتزيل الغبار عن أسلحتنا ! ويعتقد الناس أن فيليب ستروتسى رجل شريف لأنه يفعل الخير دون أن يمنع الشر . والآن : أى شيء لا أعطيه أنا الأب ليكون في هــذه الدنيا واحد يستطيع أن يعيد إلىّ ولدى ، ويقتص بقوة القانون للاهانة التى وُجهت إلى ابنتى ! ولكن : لمــاذا يمنعون الشر الــذى يصيبنى ، وأنا لم أمنع ذلك الشر الذى يصيب

---

(٢٣) يقصد المنفيين الذين كانوا يعيشون فى احوال صعبة .

الآخرين ، وقد كنت أستطيع ذلك ؟ لقد عكفت على الكتب ، وحلمت لوطني بما كان يعجبني في العصور القديمة ، وكانت الجدران تصرخ مطالبة بالثأر حولى ؛ وكنت أغلق أذنى في تأملاتى ! وكان ينبغي أن يجيء الطغيان ويلطمني على وجهى ليرغمنى على أن أقول : فلنعمل ! وقد شابت ناصية انتقامى ! (يدخل بيير ، مع توماس وفرنسوا باتسى)

بيير : انتهى الأمر ! لقد مات سالفياتى ! (يعانق أخته)

لويزه : يالفظاعة ! إنك مخضب بالدم !

بيير : لقد انتظرناه على ناصية شارع القواسين ، وأوقف فرنسوا جواده ، ثم طعنه توماس في ساقه ، أما أنا . . .

لويزه : اسكت ! اسكت ! إنك تجعلنى أرتعد . إن عينيك تبرزان من محجريهما ، ويداك بشعتان ، وجسمك كله يهتز ، وأنت شاحب كالموت !

لورنزو : (ينهض) أنت جميل يابيير ! أنت عظيم كالانتقام !

بيير : من يقول هذا ؟ أنت هنا ، يالورنزاتشو ؟ (يدنو من أبيه) متى إذن تغلق بابك في وجه هذا التعس ؟ ألا تعلم من يكون هذا ، فضلا عن حكاية مبارزته مع موريتشه ؟

فيليب : هون عليك ؛ إننى أعرف هذا كله . وإذا كان

لورنزو هنا فلأن عندي أسبابا وجيهة لاستقباله .
سوف نتحدث عن ذلك في وقت مناسب .

بيير : (بين أسنانه) هم ؟ ! أسباب لاستقبال هذا الوغد ! وددت أن أجد ذات صباح سببا وجيها حدا كذلك لارغامه على القفز من النوافذ ! قل ماشئت . فإنني أختنق في هذه الغرفة عندما أرى جذاما كهذا يتسرغ على مقاعدنا !

فيليب : اسكت ! إنك طائش ! وأسأل الله ألا تجر علينا فعلتك التي فعلتها الليلة وخيم العواقب ! يجب أن تختبىء أولاً .

بيير : أختبىء ! ولماذا أختبىء . بحق جميع القديسين ؟

لورنزو : (إلى توماس) وهكذا طعنته في ساقه ؟ . . . حدثني قليلاً ، إذن . . . (يقوده إلى نافذة مفتوحة ، ويتبادلان الحديث بصوت خفيض)

بيير : كلا . يا أبي ، لن أختبىء . لقد كانت الاهانة علانية ، وقد وجهها إلينا في وسط ميدان ، وقتلته في وسط شارع ، ويجدر بي أن أقول هذا للمدينة كلها في صبيحة الغد ! منذ متى يختبىء الناس لأنهم قد ثأروا لكرامتهم خليق بي أن أتجول كما أشاء ، وسيفي مجرد ، ودون أن أزيل عنه قطرة واحدة من الدم !

فيليب : تعال من هنا . يجب أن أتحدث إليك . ألم تجرح

يا بني ؟ ألم يصبك شيء في كل هذا ؟
(يخرجان) .

المشهد السادس

في قصر الدوق

الدوق « نصف عار » . تيبالدو « يصوره » . جومو يعزف على الجيتار » .

جومو : (مغنياً) عندما أموت فانشودتي
ستحمل قلبى إلى حبيبتى
فتبعث إلى جهنم بالصلاة
وبالكهانة ، والعظات . . .
ما كانت الدموع إلا ماء قراحاً
فقل لها أن تفرغ دنا مستباحاً
وأن تغنى جوقة وهي تشرب خمري
وسوف أجيبها من باطن قبري

الدوق : كنت أعرف أن عندي شيئاً أريد أن أسألك عنه. قل لي أيها الهنغاري . أى شيء فعله بك ذلك الغلام الذي رأيتك تضربه بالعصا ، بطريقة تبعث على السرور ؟

جومو : لا أستطيع أن أقول ، حقيقة ، ولم يعد هو يستطيع !

الدوق : لماذا ؟ هل مات ؟

جومو : إنه ولد شقى ، من بيت مجاور ، يبدا لي — وأنه

مار – أنهم يوارونه التّراب

الـــدوق : عندما يضرب عزيزي جومو ، فضربتـــه قاضيـــة !

جـــومو : هذا فضل منك . ولكنني رأيتك أكثر مـــن مرة تقتل رجلاً بضربة واحدة !

الـــدوق : حقاً ؟ وهل كنت ثملاً ، إذن ؟ إنني متـــى سررت كانت أصغر ضرباتي ، جميعها ، قاتلة (إلى تيبالديو) ماذا بك ، يا عزيزي ؟ هل ترتعد يدك ؟ إنك تُحوِّلُ عينيك بفظاعة !

تيبالديـــو : لا شيء ، يا مولاي ، شكراً لسموك !

(يدخل لـــورنزو)

لـــورنزو : أهناك تقدم ؟ هل أنت راض عن محسوبي ؟ (يأخذ درع الدوق من فوق الأريكة) إن لك درعاً جميلاً ، يا حبيبي ! ولكنه يسخن على جسدك حتماً .

الـــدوق : الحقيقة أنه لو كان يضايقني ما أرتديته . ولكنه سلك من الفولاذ ، ولا يستطيع أحدٌ مـــبرد أن يقطع منه عقدة واحدة ؛ وهو ، في الوقت نفسه ، خفيف كالحرير ، ولعله لا يوجـــد له نظير في أوروبا كلها ، ولهذا لا أتركـــه إلا نادراً ، بل إنني لا أتركه أبداً ، عـــلى الأصـــح .

لـــورنزو : إنه خفيف جداً ، ولكنه متين جداً كذلك . هل

تعتقــد أنه يقاوم الخنجـــر ؟

الـــدوق : مؤكـــد !

لـــورنزو : الواقع أننى أفكر في ذلك الآن . إنك ترتديه تحت صدارك دائماً . وقد كنت بالأمس فـى المؤخرة ، وراءك ، أثناء الصيد ، وكنت أحس به جيداً عندما أمسكت بك من خاصرتك . هذه عاده حكيمة .

الـــدوق : ليس لأننى أحترس من أحد . انها عادة كمـا تقول . مجرد عادة تعودها جندي .

لـــورنزو : إن ثوبك رائع ! ويالعطر هذين القفازين ! لماذا تقف نصف عار ، إذن ؟ إن هذا الدرع خليق بأن يكون له أثره في صورتك ، وقـد أخطأت عندما تركته .

الـــدوق : إن المصور هو الذي أراد ذلك . ثم إنه يحس دائماً أن يكون العنق مكشوفاً . أنظر إلـــى الصورة القديمة .

لـــورنزو : أين جيتاري ؟ يجب أن أصاحب جومـــو بلحن مرتفع (يخرج)

تيبالديـــو : لن أزيد اليوم ، يا صاحب السمو .

جـــومو : (عند النافذة) ماذا يفعل لورنزو ! ها هو يقف متأمـلاً أمـام البئر التى في منتصف الحديقة . يخيل إلي أنه لا ينبغى أن يبحث عن جيتاره هناك !

الـــــدوق : أعطني ثيابي . أين درعي ، إذن ؟

جـــــومو : لست أجده ! لقد بحثت عنه جيداً ! لقد سرق!

الـــــدوق : لقد كان لورنزينو ممسكاً به منذ أقل مـــــن خمس دقائق ، ولا بد أنه قد ألقى به في ركن وهو خارج ، فالكسل عادته الحميدة !

جـــــومو : انه شيء لا يصدق . فلم يعد للدرع وجود أكثر من وجوده في يدي !

الـــــدوق : انك تحلم ! هذا مستحيل !

جـــــومو : أنظر بنفسك ، يا صاحب السمو . ليست القاعة واسعة إلى هذا الحـــــد !

الـــــدوق : لقد كان رنزو ممسكاً به هناك ، على هـــــذه الأريكة (يعود لورنزو) ماذا فعلت بدرعي ؟ إننا لا نجده .

لـــــورنزو : لقد أعدته إلى مكانه الذي كان فيه . انتظر . . كلا ؛ لقد وضعته على هذا الفوتى ؛ كلا ، على الفراش . . إنني لا أعرف شيئاً عنـــه ، ولكنني وجدت جيتارى (يغنى وهو يعزف) صباح الخير ، يا سيدتي الرئيسة . . .

جـــــومو : في بئر الحديقة ، كما يبدو ؟ لقد كنت تنحنى فوقها الآن باهتمام شديد !

لـــــورنزو : إن البصق في بئر لصنع دوائر هو متعتى الكبرى. وليس لي بعد الشراب ، اوالنوم ، شاغل آخر (يستمر في العزف والغناء :)

صباح الخير ، يا رئيسة قلبى . . .

الـــــدوق : إن ضياع هذا الدرع شيء لم يسمع به مــــن قبل ! أعتقد أننى لم أخلعه مرتين في حياتي ، إذا لم يكن ذلك لكى أنام .

لــــورنزو : خل عنك إذن ، خل عنك إذن ! سيجـــده خدمك .

الـــــدوق : عليك اللعنة ! أنت الذي ضيعه !

لـــــورنزو : لوأنني كنت دوق فلورنسا لشعرت بالقلــق على شيء آخر سوى دروعي . بالمناسبة ؛ لقد تحدثت عنك مع الخالة العزيزة ، وكل شيء على خير ما يكون . تعال إذن ، واجلس هنـــا قليلاً حتى أحدثك في أذنك .

جـــــومو : (إلى الدوق ، بصوت خفيض) إنــه شيء غريب على الأقل . لقد سرق الدرع !

الـــــدوق : سنهتدي إليه (يجلس بجانب لورنزو)

جـــــومو : (جانبـــاً) ليس بـــالشيء الطبيعى أن يترك الجماعة ليبصق في البئر ! اني أريد أن أهتدى إلى ذلك الدرع لكى أنتزع من رأسي فكرة قديمة تدور فيه من آن لآخر . حقاً ! يا له من لورنزاتشو ! الدرع فوق فوتي ! !

المشهد السابع

أمـــام القصـــر

يدخل سالفياتي مخضباً بالـــدم ، وهو يعرج ، ورجـلان يسندانـه

سالفيـــاتي : (يصرخ) ألكساندر دى مديتشي ! افتـــح نافذتك وانظر قليلاً كيف يعاملون خدمك !

الـــدوق : (بالنافذة) من هناك ، في الطين ؟ من يتمرغ عند جدران قصري ، ويصرخ هذا الصراخ الشنيـــع ؟

سالفيـــاتي : لقد ذبحني آل ستروتسي ، وسأموت عنـــد بابك !

الـــدوق : من يكونون آل ستروتسي ، ولماذا ؟

سالفيـــاتي : لأنني قلت إن شقيقتهم تحبك ، يا سيـــدي الدوق الشريف ! لقد وجد آل ستروتسي أن شقيقتهم قد أهينت عندما قلت انك تعجبها ، فاغتالني ثلاثة منهم ! ولقد تعرفت على بيـــير وتوماس ، ولا أعرف الثالث !

الـــدوق : دع أحداً يساعدك للصعود إلى هنا ؛ وقسمـــاً بهرقل ، سيقضى القتلة الليلـــة في السجن ، ويشنقون في صباح الغـــد ! (سالفيـــاتي يدخل القصر) .

الفصل الثالث

المشهد الأول

غرفة نوم لورنزو

لورنزو . سكورونكونكولو(١) « يلعبان بالسيف »

سكورونكونكولو : سيدي ؛ هل أخذت كفايتك من اللعبة ؟

لورنزو : كلا : اصرخ أشد من ذلك . هيا ؛ ادفع هذه الضربة ! مت ! خذ ، أيها التعس !

سكورونكونكولو : أنقذوني من السفاح ! إنه يقتلنى ! إنه يقطع عنقى !

لورنزو : مت ! مت ! مت ! . . اضرب بالقدم .

سكورونكونكولو : إلي ، يا حاملي أقواسي ! النجدة ! إنه يقتلني ! لورنزو الجهنمى !

لورنزو : مت ، أيها الحقير ! سأسفك دمك ، أيها الخنزير ، سأسفك دمك ! في القلب ، في القلب . لقد تمزقت أحشاؤه . . اصرخ ، اضرب أقتل ! افتح بطنه ! فلنقطعه إرباً ، ونأكل ، نأكل منه حتى المرفق ! إنبش في حلقه ! إقلبه ، إقلب ! فلننهض ! فلننهض ونأكل ! (يسقط منهكاً) .

---

(١) اسم الشهرة لقاتل بالأجر كان يدعى ميشيل دى توفالاتشينو .

سكورونكونكولو : (يجفف جبينه) لقد ابتكرت لعبة خشنة ، يا سيدي . وإنك لتمضى فيها كنمر حقيقى ، وألف مليون من الرعود القواصف ! إنك تزأر مثل كهف تملؤه الفهود والأسود !

لـــورنزو : يا يوم الدم ، يا يوم عرسي(٢) ! أيتها الشمس ! الشمس ! مضى زمان طويل وأنت جافة كالرصاص . إنك تموتين عطشاً ، أيتها الشمس ! لسوف يسكرك دمه ! إيه ، يا ثأري ! إن أظافرك تنمو منذ وقت طويل ! يا أسنان أوجولين(٣) ! لا بد لك من الجمجمة !

سكورونكونكولو : هل تهذي ؟ هل أنت محموم ؟

لـــورنزو : الجبان . الجبان . الفاجر . الضئيل . . الآباء والبنات . . الوداع ، الوداع الذي لاينتهى(٤) إن شواطىء الأرنو تملؤها مشاهد الوداع ! إن الصبية يكتبونها(٥) على الجدران . . اضحك ايها العجوز (٦) ، اضحك في طاقيتك البيضاء ! ألا ترى أن أظافري تنمو ؟ . . آه ! الجمجمة ! الجمجمة ! (يغشى عليه)

---

(٢) انظر آخر ما قاله لونزو للمصور فى المشهد الثانى من الفصل الثانى ٠

(٣) طاغية ايطالى عاش فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر ٠ وقد صوره دانتى فى النشيد الثالث والثلاثين من « الجحيم » وهو ينهش رأس عدوه رود جيرى ، تعبيرا عن الحقد المميت !

(٤) انه يتخيل المنفيين فى هذيانه ٠

(٥) يكتبون ان لورنزو جبان وفاجر ٠٠ الى آخر هذه الصفات ٠

(٦) اوجولين السابق ذكره ٠ وقد كانت الطاقية البيضاء شعار حزب الجبليين الذى كان ينتمى اليه ٠

سكورونكونكولو : سيدى ؛ إن لك عدوا (يصب ماء على وجهه)
سيدى ؛ ليس هذا بالشيء الذى يثيرك . قد تكون لى مشاعر سامية أو لا تكون ، ولكنى لن أنسى أبدا أنك حصلت لى على عفو معين ، وبغيره كنت أصبح في مكان بعيد (٧) ! سيدى ؛ إن كان لك عدو فاذكره ، وسوف أخلصك منه دون أن يظهر على نحو ما !

لورنزو : لاشيء هناك . أقول لك إن متعتى الوحيدة هى أن أخيف جيرانى !

سكورونكونكولو : إنهم يتعودون ضوضاءنا حتما ، ونحن ندب في هذه الغرفة ، ونقلب كل شيء فيها رأسا على عقب ! وأعتقد أنك تستطيع أن تذبح ثلاثين رجلا في هذا الرواق ، وأن تدحرجهم على أرضيتك ، دون أن يلحظ أحدٌ أن شيئا جديدا يحدث فيه ! وإذا كنت تريد أن تخيف الجيران فأنت مخطىء باتباع هذه الوسيلة . صحيح أنهم قد خافوا أول مرة ، ولكنهم يقنعون الآن بغيظهم ، ولا يكلفون أنفسهم عناء ترك مقاعدهم أو فتح نوافذهم !

لورنزو : هل تعتقد ؟

سكورونكونكولو : إن لك عدوا ، ياسيدى ! ألم أرك تضرب بقدمك الأرض ، وتلعن يوم مولدك ؟ أليس لى أذنان ؟

---

(٧) يذكر فاركى ان لورنزو كان قد طلب العفو عن سكورونكونكولو ، بعد الحكم عليه بالاعدام في جريمة قتل ، ونجح فى مسعاه .

ألم أسمع كلمة صغيرة ، جلية ، تـتردد في
ثورتك بوضوح : الانتقام ؟ صدقني ياسيدى .
لقد هزل جسمك ، ولم تعد تمزح كما كنت من
قبل . . صدقني ، ما من شيء يسـوء هضمه
كالكراهية الشديدة ! ألا يوجد دائما ، بين كل
رجلين تحت الشمس ، واحد يزعج ظله الآخر ؟
إن طبيبك في جرابي فدعني أبرئك (يستل سيفه)

لورنـزو : هل أبرأك هذا الطبيب يوما ؟

سكورونكونكولو : أربع مرات أو خمسا ! كان في بادوا ، ذات
يوم ، آنسـة صغيرة ، وكانت تقول لى . . .

لورنـزو : أرنى هذا السيف . آه ! سلاح طيب ، يافتى !

سكورونكونكولو : جـربه ، وسترى !

لورنـزو : لقد خمنت علىّ . إن لى عدوا . ولكننى لـن
أستخدم له سيفا سبق استخدامه للآخرين . إن
ذلك السيف الذى سيقتله لن يجد هنا إلا تدشينا ،
وسيحتفظ باسمه !

سكورونكونكولو : ما اسم الرجل ؟

لورنـزو : ماذا يهم ؟ هل أنت مخلص لى ؟

سكورونكونكولو : إننى من أجلك . . .

لورنـزو : إننى أقولها لك فيما بيننا . سأضرب الضربة في
هذه الغرفة . ولهذا السبب عينه أعود جـيرانى
الأعزاء ، كل يوم ، على هذا الضجيج حتّى
لا تأخذهم الدهشة آنذاك . اسمع جيـدا ،

ولا تخطىء . إذا أنا قتلته من أول طعنة ، فلا تفكر في لمسه . ولكننى لست أكبر من برغوث ، وهو سفاك للدماء ! وإن دافع عن نفسه فإننى أعتمد عليك في الامساك بيديه ، ولا أكثر من ذلك ، أتسمع ؟ إنه يخصنى أنا . سأخطرك في الوقت المناسب .

سكورونكونكولو : فليكن !

المشهد الثانى

في قصر ستروتسى

يدخل فيليب وبيير

بيير : عندما أفكر في ذلك أود أن أقطع يدى اليمنى ! ينجو منى ذلك الوغد ! ضربة محكمة كهذه ، وينجو منى ! من لا أقدم إليه خدمة عندما أقول للناس : هناك سالفياتى واحد ، على الأقل ، ملقى في الشوارع ؟ ولكن الهزأة قد فعل ماتفعله العناكب . . لقد تهاوى على الأرض ، وهو يثنى أطرافه المعقوفة ، واصطنع الموت مخافة أن يقتل !

فيليب : فيم يهمك أن يعيش ؟ لقد كان انتقامك منه كاملا . ويقال إنه قد جرح بطريقة تجعله يذكره مدى حياته !

بيير : نعم ؛ أعرف هذا جيدا . وهذه طريقتك في النظر إلى الأشياء ! اسمع ، يا أبى ؛ إنك رجل

وطنى حقا ، ولكنك رب عائلة أكثر من ذلك ، فلا تزج بنفسك في كل هذا .

فيليب : ماذا يدور في رأسك أيضا ؟ ألا تستطيع أن تحيا ربع ساعة دون أن تفكر في الأذى ؟

بيير : نعم ؛ إننى لا أستطيع أن أحيا ربع ساعة هادئا في هذا الجو المسموم ! إن السماء ثقيلة فوق رأسى كأنها قبة سجن ، ويبدو لى أننى أستنشق في الشوارع سخريات قاسية ، وفواق السكارى ! وداعا . هناك مايشغلنى الآن .

فيليب : إلى أين تذهب ؟

بيير : لماذا تريد أن تعرف ؟ سأذهب إلى بيت عائلة باتسى .

فيليب : انتظرنى ، إذن . سأذهب الى هناك أيضا .

بيير : ليس الآن ، يا أبى ، فالوقت لايناسبك .

فيليب : حدثنى بصراحة !

بيير : هذا سر بيننا . إننا خمسون رجلا هناك ـ آل روتشيلاى وآخرون ـ قد ضاقوا ذرعا بابن الحرام !

فيليب : هكذا ؟

بيير : هكذا تحدث الانهيارات أحيانا بفعل حصاة في حجم عقلة الأصبع !

فيليب : ولكن ؛ ألم تتفقوا على شيء ؟ ما من خطة ؟

ما من احتياطات قد اتخذت ؟ أيها الأطفال ،
أيها الأطفال ! إنه لعب بالحياة وبالموت ! إنها
أسئلة قد هزت العالم ! وأفكار قد شيبت آلاف
الرؤوس ، ودحرجتها كحبات الرمل عند
قدمي الجلاد ! مشروعات تنظر إليها الأقدار
في صمت وفزع ، وتترك للانسان أن يتمهها
دون أن تجرؤ على لمسها ! إنكم تتحدثون عن
هذا كله وأنتم تلعبون بالسلاح ، وتشربون
كأسا من نبيذ أسبانيا ، كأنما هي مسألة جواد
أو كرنفال ! هل تعرفون ماذا تكون جمهورية
ما ؟ وماذا يكون الصبي في قلب مشغله ، والعامل
في حقله ، والمواطن في موقعه ، وحياة مملكة
بأسرها ؟ إنها سعادة البشر ، ورب العدالة !
أيها الأطفال ، أيها الأطفال ! هل تعرفونّ العد
على أصابعكم ؟

بيير : إن ضربة مبضع ، سديدةً ، تشفي من جميع
الآلام .

فيليب : تشفي ! تشفي ! هل تعرف أن أصغر ضربة
بالمبضع ينبغي أن يسددها الطبيب ؟ هل تعرف
أنك تحتاج إلى خبرة طويلة كالحياة ، وعلم
واسع كالدنيا ، لكي تسحب من ذراع مريض
قطرة واحدة من الدم ؟ أما أُهنتُ أنا أيضا ،
في الليلة الماضية ، عندما وضعتَ سيفك
المجرد تحت معطفك ؟ ألست أبا عزيزتي لويزه ،

كما أنك أخوها ؟ ألم يكن ذلك انتقاما عادلا ؟ ومع ذلك : هل تعرف ماكلفني إياه ؟ آه ! الآباء يعرفون ذلك ، وليس الأبناء ! سنتحدث عن ذلك يوم تصير أبا . !

بيير : ينبغي أن تعرف كيف تكره ، أنت يامن يعرف كيف يحب !

فيليب : وأى شيء عمله لله آل باتسى هؤلاء ؟ إنهم يدعون أصدقاء هم للمجيء إلى دارهم للتآمر كما يدعون للعب النرد . وعندما يدخل أصدقاؤهم ساحتهم ينزلقون في دم جدودهم(٨) فأى عطش تعانيه سيوفهم ، إذن ؟ ماذاتريدون؟ ماذا تريدون ؟

بيير : ولماذا تناقض نفسك ؟ ألم أسمعك مائة مرة تقول مانقوله نحن ؟ ألا نعرف مايشغلك عندما يرى خدمك حال استيقاظهم نوافذك مضاءة بمصابيح الأمس ؟ إن من يقضون الليالى بلا نوم لا يموتون صامتين !

فيليب : إلى أى شيء تقصدون ؟ أجبنى .

بيير : إن آل مديتشى طاعون ! ومن لدغه ثعبان لا شأن له بطبيب ، فما عليه إلا أن يكوى جرحه !

فيليب : وعندما تسقطون هذا الحاكم الحالى ، فمن تريدون أن تضعوا في مكانه ؟

---

(٨) جدود آل باتسى ، وقد اعدموا ، أو قتلوا غيلة ، فى اعقاب مؤامرتهم التى انتهت بمقتل جوليان دى مديتشى فى عام ١٤٧٨ .

بيـــير : إننا واثقون دائما بأننا لن نجد أســـوأ منه !

فيليـــب : إنى أقولها لكم . عدوا على أصابعكم .

بيـــير : إن رؤس الهيدرا يسهل عدها .

فيليـــب : وهل تريدون أن تعملوا ؟ هل تقرر ذلك ؟

بيـــير : إننا نريد ألا تقوم قائمة لسفاحى فلورنسا ؟

فيليـــب : أهو شيء لامحيد عنه ؟ هل تريدون أن تعملوا ؟

بيـــير : وداعا ، يا أبى . دعنى أذهب وحدى .

فيليـــب : منذ متى يظل النسر العجوز في العش عنـــدما تذهب أفراخه لتنقض على الفريسة ؟ يا أولادى ! ياشبابى الشجاع ، الجميل ! يامن يملكون القوة التى فقدتها ، وهم اليوم ماكانه فيليب الصغير بالأمس ! دعوه يكن قد هـــرم من أجلكم ! خذنى معك ، يابنى ! إنى أراكم على وشـــك العمل ، ولن أطيل في حديثى إليكم . لن أقول إلا كلمات قليلة . وربما كنت أحمل شيئا طيبا في هذا الرأس الذى علاه المشيب . . كلمتـــان وينتهى حديثى . إنى لا أهذى أيضا ، ولـــن أكون عبئا عليكم ؛ فلا ترحل بدونى ، يابنى . انتظر حتى آخـــذ معطفى .

بيـــير : تعال ، يا أبى الجليل . إننا سنُقبِّلُ طـــرفَ ردائك . إنك حَبْرُنا ، فتعال لكى ترى أحلام حياتك وهى تمشى تحت الشمس ! لقد نضجت

الحرية ، فتعال يابستاني فلورنسا العجوز ، لكى
ترى ذلك الغرس الذى تحبه خارجا من الأرض !
(يخـــرجان)

المشهد الثالث

طـــريق

ضابط المانى وجنـــود ، توماس ستروتسى في
وســـطهم

الضـــابط : إذا لم نجده في بيته ، وجدناه عند عائلة باتسى .

تومـــاس : سر في طريقك ، ولا تتعب ذهنك ! ستعرف
ماذا يكلفك ذلك !

الضـــابط : لا أريد تهديدا ! إننى انفذ اوامر الـــدوق ،
ولا اخشى احـــدا !

تومـــاس : غبى ! من يعتقل واحدا من آل ستروتسى بناء
على امر واحد من آل مديتشى ! (يتجمـــع
الناس حولهما)

رجل من العامة : لماذا تعتقل هذا السيد ؟ نحن نعرفه جيدا . انـــه
ابن فيليب .

آخـــر : اطلق سراحه ونحن نضمنـــه .

الأول : نعم ، نعم ، إننا نضمن آل ستروتسى . دعه
يمض أو احرص على اذنيك

الضـــابط : ابتعد ، ايها الوغد ! افسحوا طريقا لعدالـــة

الدوق ، اذا لم تكونوا تحبون ضربات الحراب !
(يصل بيير وفيليب)

بيـــير : ماذا حدث ؟ ماهذه الضوضاء ؟ ماذا تفعـل عندك ، ياتوماس ؟

الرجـــل : امنعه ، يافيليب ، امنعه من اقتياد ولـدك الى السجن !

فيليـــب : الى السجن ؟ وبأمر من ؟

بيـــير : الى السجن ؟ هل تعرف من الذى تتعرض له ؟

الضـــابط : اقبضوا على هذا الرجل ! (الجنود يعتقلون بيير)

بيـــير : دعوني ، ايها الاشقياء ، او اشق بطونكـــم كالخنازير !

فيليـــب : بأمر من تعمل ، ياسيدى ؟

الضـــابط : (يظهر امر الدوق) هذا هو التفويض الـذى احمله . ان معى امرا باعتقال بيير وتومـــاس ستروتسى (الجنود يدفعون الشعب الذى يقذفهم بالحجارة)

بيـــير : بأى شيء يتهموننا ؟ ماذا فعلنا ؟ ساعدوني ، ايها الاصدقاء . فلنضرب هذا الوغد (يجـــرد سيفه . تصل فرقة اخرى من الجنود) .

الضـــابط : تعالوا الى هنا . ساعدوني (بيير قد جرد مـــن من سلاحه) تقدموا ! ومن يقترب اكثر من اللازم ، سددوا اليه طعنة رمح في بطنـــه !

سيعلمهم هذا كيف يتدخلون في شئونهم فحسب !

بيير : انكم لا تملكون حق اعتقالى دون امر من الثمانية. انى اتوجس من اوامر الكساندر ! اين امر الثمانية ؟

الضابط : إننا نقتادكما اليهم .

بيير : ان كان اليهم فليس عندى ما أقوله . ما التهمة الموجهة الىّ ؟

رجل من الشعب : كيف يافيليب تترك اولادك يقتاون الى محكمة الثمانيـة ؟

بيير : اجب ! ما التهمة الموجهة الىّ ؟

الضابط : ليس هذا من شأني (يخرج الجنود مع بييروتوماس

بيير : (وهو يخرج) لا يهمك أى شيء ، يا ابي . سيعيدني الثمانية لأتعشى في البيت ، وسيدفع النغل مصروفات القضيـة !

فيليب : (وحده ، وهو يجلس على دكة) ان لى أولاداً كثيرين ، ولكن ليس الى وقت طويل ، اذا سارت الامور بهذه السرعة ! اين نحن اذن ، اذا كان انتقام – هو في عدالته كصفاء هذه السماء – يعاقب كأنه جريمة !.ماذا ! اكبر ابنين لأسرة قديمة قدم المدينة ، يسجنان كقطاع الطريق ! وتنال افظع اهانة جزاءها ، ويضرب سالفياتي ، فتتحرك الرماح ! اخرج من الغمد

اذن ، ياحسامى ! واذا اصبح الجهاز التنفيذى
القضائي ، المقدس ، درعا للفاسقين ، والسكارى
فليقم كل مـــن البلطـــة والخنجر ـــ ســـلاح
السفاحين ـــ بحماية الرجل الصالح ! يا ايهـــــا
المسيح ! يصفع شرف آل ستروتسى في مكان
عام ، وتنعقد محكمة لتحمى سفاهات شخص
بذىء ! يلقى سالفياتي مابقفازه الملطخ بالخمر
والدم في وجه انبل اسرة في فلورنسا ، وعندما
ينال جزاءه يستل للدفاع عن نفسه سيف الجلاد !
يانو الشمس ! لقد كنت اهاجم الافـــــكار
الثورية قبل اقل من ربع الساعة ، وهذا هـــو
الخبز الذى يعطوننى اياه لآكله وكلمات السلام
على شفتيّ ! هلما ! تحركا ياذراعيّ ! واستقم
لتعمل ايها الجسد الهرم الذى احنته الشيخوخـــة
والدراسة ! (يدخل لورنزو)

لورنـــزو : هل تطلب الصدقة يافيليب ، وانت جالس على
قارعة هذا الطريق ؟

فيليـــب : انى اطلب الصدقة من عدالة البشر ! انى شحاذ
جائع الى العدل ، وشرفي مهلهل !

لورنـــزو : أى تغيير سيحدث في العالم إذن ، واى ثـــوب
جديد سيكسو الطبيعة إذا علا قناع الغضـــب ،
من فيليب الشيخ ، وجهه الجليل ، الهادىء ؟
ايه ، يا ابي ! ماهذه الشكايات ؟ ومن أجل من
تنثر على الارض اثمن اللآلىء التى وجدت تحت

الشمس : دموع رجل لا يخشى من شيء ،
ولا يعيبه شيء ؟

فيليب : يجب ان نتخلص من عائلة مديتشي ، يالورنزو !
انك مديتشي ، انت نفسك ، ولكن باسمك
فقط . واذا كنت قد عرفتك جيدا ، واذا
كانت الملهاة الشنيعة التي تمثلها قد وجدت
متفرجا محايدا ، وامينا ، فليخرج الرجل من
اهاب المهرج ! إذا كنتَ قد اتصفتَ بشي
من الاخلاص يوما ، فلتكن كذلك اليوم !
لقد سجن بيير وتوماس !

لورنزو : نعم ، نعم ، اعرف ذلك .

فيليب : اهذا جوابك ؟ اهذا وجهك ، يارجلابلاسيف ؟

لورنزو : ماذا تريد ؟ قل ماتريده ، وسأجيبك .

فيليب : العمل ! كيف ؟ لااعرف ! اية وسيلةتستخدم ،
وأية رافعة توضع تحت قلعة الموت هذهلاقتلاعها
والالقاء بها في النهر ؟ ما العمل ،وما الحل ،
وأى رجال يجب البحث عنهم ؟ . . ذلك ما لا
أعرفه ايضا . ولكن : الى العمل ! العمل !
العمل ! لقد حان الوقت يالورنزو ! الستَ
رجلا مقذوفاً في حقه ، يعاملونه مثل كلب ،
ومخلوق حقير ، خاثر العزيمة ؟ فاذا كنتُ قد
ابقيت بابي ، ويدى ، وقلبي مفتوحة لك رغم
كل شيء ، فتكلم لأرى ان كنتُ قد اخطأت !
الم تحدثني عن رجل يدعى لورنزو ايضا ،

ويستخفى وراء لورنزو هذا الواقف امــامى؟
ألا يحب ذلك الرجل وطنه ، ويخلص لأصدقائه؟
لقد كنت تقول هذا ، وقد صدقته . تكلــم ،
تكلم ، لقد حان الوقت !

لورنــزو : فلتسقط الشمس على رأسى . اذا لم اكن كما
تريــد !

فيليــب : ياصديقى ، ان الهزوء برجل عجوز ، يائس ،
يجلب الشقاء ، فهيا الى العمل اذا كنت صادقاً
فيما تقول ! ان عندى وعــودا منك ، وقــد
استقبلتك بناء على هذه الوعود . ان الدور الذى
تلعبه كدور الوحل والجذام . وما كان الابن
الضال ليلعبه في يوم من ايام الجنون ، وقـــد
استقبلتك رغم هذا ! وعندما كانت الاحجار
تصرخ عند مرورك ، وكانت كل خطوة من
خطواتك تفجر ينابيع من الدم البشرى،ناديتك
باسم الصديق . المقدس ، واصطنعت الصمم
لكى اصدقك ، والعمى لكى احبك ! لقـــد
تركتُ ظل سمعتك الرديئة ينسحب على شرفي ،
وارتاب فيَّ ابنائي عندما وجدوا على يدى ذلك
الاثر الشنيع الناتج عن لمس يدك ! فكن شريفا
لأننى كنت هكذا ، واعمل فإنك شاب وأنــا
رجل هرم !

لورنــزو : إن بيير وتوماس مسجونان ، فهل هــذا كل
شيء ؟

فيليب : بحق السماء والأرض ! نعم ؛ هذا كل شيء ! ولا شيء ، تقريبا ، أن يجلس على دكة اللصوص فلذتان من كبدى ! رأسان قد قبلتهما مرات بعدد شعر رأسى الأبيض ، وسوف أجدهما في صباح الغد مسمرين على باب القلعة ! نعم ؛ هذا كل شيء ، ولا أكثر ، في الحقيقة !

لورنزو : لاتحدثنى بهذه اللهجة . إننى فريسة حزن ، أحلك ليلة بجانبه ضوء باهر ! (يجلس بجانب فيليب)

فيليب : أن أترك ولدىّ يموتان . فهذا هو المستحيل ، هل تفهم ولو قطعوا ذراعىّ ، وساقىّ ، لتجمعت كالثعبان هذه الأشلاء المبتورة من فيليب ، وقامت للأخذ بالثأر ! إننى أعرف هذا كله جيدا ! الثمانية ! محكمة رجال من الرخام ! غابة أشباح تمر فوقها ، من آن لآخر ، ريح الشك الموحشة التى تحركها لحظة ثم تتضاءل حتى تصير كلمة بغير استئناف ! كلمة ، كلمة ، أيها الضمير ! وأولئك الرجال يأكلون ، وينامون ولهم زوجات وبنات ! آه ! فليقتلوا ، وليذبحوا ولكن : ليس أبنائى ، ليس أبنائى !

لورنزو : إن بيير رجل ، وسوف يتكلم ، ويطلق سراحه.

فيليب : ياعزيزى بيير ، يا ولدى البكر !

لورنزو : عد إلى بيتك ، والتزم الهدوء . أو افعل خيرا

من هذا ، واترك فلورنسا . إنني أضمن لك كل شيء إذا تركت فلورنسا .

فيليب : أنا ، منفى ! أنا ، على سرير فندق ، في ساعتى الأخيرة ! يا إلهى ! وهذا كله من أجل كلمة قالها سالفياتى !

لورنزو : اعلم أن سالفياتى قد كان يريد أن يغوى ابنتك ولكن ليس لحسابه وحده . إن لألكساندر مكانا في فراش هذا الرجل . إنه يمارس فيه حق الولاية على الفجور !

فيليب : ونحن لانعمل ! لورنزو ، لورنزو ! إنك رجل قوى ، فحدثنى . إننى ضعيف ، وقلبى مشغول بأكثر مما يحتمل ! إننى منهمك ، كما ترى ! لقد فكرت هنا كثيرا ، ودرت حول نفسي كثيرا كحصان المعصرة ، ولم أعد أصلح للقتال ! قل لى ماتريده ، وسأفعله !

لورنزو : عد إلى بيتك ، ياسيدى العزيز .

فيليب : إنه لمن المؤكد أننى سأذهب إلى بيت عائلة باتسى . إن هناك خمسين شابا قد عقدوا عزمهم جميعا . لقد أقسموا على العمل ، وسوف أتحدث إليهم بشهامة ، كواحد من آل ستروتسى ، وأب ، وسيفهموننى . وسأدعو الليلة للعشاء أعضاء أسرتى الأربعين ، وأذكر لهم ما يحدث لى . سنرى ! سنرى ! إن شيئا لم يعمل بعد ، وليأخذ آل مديتشى حذرهم !

وداعا ؛ سأذهب إلى بيت عائلة باتسى ، وقد كنت في طريقى إلى هناك مع بيير عند اعتقاله .

لورنزو : توجد شياطين كثيرة ، يافيليب . وليس هذا الشيطان الذى يغويك في هذه اللحظة بالذى نخشاه أقل مما نخشاها جميعا !

فيليب : ماذا تعنى ؟

لورنزو : احترس منه ، إنه أجمل من غبريال ! الحرية ، الوطن ، سعادة البشر ؛ هذه الكلمات كلها ترن عند اقترابه كأوتار قيثارة . إنه رنين القشور الفضية في أجنحته المشتعلة ! إن دموع عينيه تخصب الأرض ، وفي يده يمسك بأكليل الشهداء ! إن كلماته تنقى الهواء حول شفتيه ، وطيرانه سريع فلا يستطيع أحد أن يقول إلى أين يمضى . احترس منه ! لقد رأيته يعبر السماء مرة واحدة في حياتى . . وكنت عاكفا على كتبى ، وجعلتْ لمسة يده شعرى يرتجف كريشة خفيفة . أما أن أكون قد أصغيت إليه أم لا ، فدعنا لانتكلم عن ذلك !

فيليب : إننى أجد صعوبة في فهمك ، ولا أدري لماذا أخاف أن أفهمك .

لورنزو : أليس في رأسك غير هذا : أن تنقذ ولديك ؟ سل ضميرك . أما من فكرة أخرى أكبر من هذا ، وأكثر إزعاجاً ، تشدك إليها كعربة تسبب الدوار ، في وسط هذا الشباب ؟

فيليب : آه ! بلى ؛ فليكن الظلم الذي أنزل بأسرتي إشارة الحرية ! إنني سأذهب من أجل نفسي ، ومن أجل الجميع .

لورنزو : إحترس ، يا فيليب ، لقد فكرت في سعادة البشرية .

فيليب : ما معنى هذا ؟ هل أنت ريح نتنة في باطنك ، كما أنت في ظاهرك ؟ أهذا ما تحتويه ، يا من حدثني عن شراب ثمين كان قنينته ؟

لورنزو : إنني ثمين عندك حقاً ، لأنني سأقتل ألكساندر !

فيليب : أنت ؟

لورنزو : أنا ؛ غداً أو بعد غد ! عد إلى بيتك ، وحاول أن تنقذ ولديك . وإذا لم تستطع ذلك فاتركهما لعقاب خفيف . إنني أعلم يقيناً أنه ما من اخطار أخرى عليهما . وأكرر لك انه ، في مدى أيام قليلة من الآن ، لن يكون في فلورنسا وجود لألسكاندر دى مديتشي ، أكثر من وجود الشمس في منتصف الليل !

فيليب : إذا كان هذا حقاً ، فلماذا أكون مخطئاً عندما أفكر في الحرية ؟ ألن تجيء الحرية بعد أن تضرب ضربتك ، إذا ضربتها ؟

لورنزو : فيليب ، فيليب ، احترس ! إنك تحمل ستين عاماً من الفضيلة فوق رأسك الأبيض ؛ وهي أغلى كثيراً من أن تقامر بها .

فيليـــــب : إذا كنت تخفي تحت هذا الكلام الغامــض شيئاً أستطيع أن أفهمـــه فتكلم . إنك تثيرني بشكل غريب !

لـــــورنزو : لقد كنت ، يا فيليب ، شريفاً كما ترانـــي . لقد آمنت بالفضيلة ، وبالعظمة البشريـــة ، كما يؤمن شهيد بربه . لقد سكبت على إيطاليـــا المسكينة دموعاً أغزر مما سكبته نيوبي عـــلى بناتها(٩) ! .

فيليـــــب : ثم ماذا ، يا لورنزو ؟

لـــــورنزو : لقد كان شبابي نقياً كالذهب . وقد تجمعت الصاعقة في صدري خلال عشرين عاماً مـــن الصمت ، ولا بد أن أكون شرارة مـــن البرق حقاً ، لأنني لا أدري لماذا نهضت فجأة في ذات ليلـــة ، وأنا جالس بـــين أطـــلال الكوليزيوم(١٠) القديم ، ورفعت نحـــو السماء ذراعي اللتين بللهما الندى ، وأقسمت على أن يموت بيدي واحد من طغاة وطني . لقد كنت تلميذاً هادئاً ، ولم أكن أشغـــل نفسي حينذاك بغير الفنون ، والعلـــوم . ويستحيل على أن أقول كيف صدر منـــي

---

(٩) فى الاساطير اليونانية ان ابوللو وديانا قد قتلا ابناء نيوبى السبعة ، وبناتها السبع لأنها سخرت من امها لاتونيا التي لم يكن لها سوى طفلين .

(١٠) ملعب الكوليزيوم فى روما . شرع فسبازيان فى بنائه ، واتمه تيطس فى عام ٨٠ ب.م وكان يتسع لثمانين الف متفرج .

هذا القسم الغريب . لعل هذا ما يشعر بـــه المرء عندما يصير عاشقاً !

فيليـــب : لقد كنت أثق بك دائماً ، ومع ذلك أعتقـد أنني أحلم !

لـــورنزو : وأنا أيضاً . لقد كنت سعيداً حينذاك . لقـد كنت ساكن القلب واليدين . وكان اسمـي يؤهلني للعرش(١١) ، ولم يكن ينبغي علي إلا أن أترك الشمس تشرق ، وتغـرب ، لكـي أرى جميع الآمال البشرية مزدهرة حولي . ولم يكن الناس قد فعلوا بي خيراً ولا شراً . ولكنني كنت رجلاً فاضلاً ، ولشقائي الأبدي أردت أن أكون رجلاً عظيماً ! ويجب أن أعترف بأنه لو كانت الأقدار قد دفعتني إلى أن أقرر قتل طاغية — أياً كان — فالكبرياء قد دفعتنـي إلى ذلك أيضـاً ! مـاذا أقـول لـك أكثر من هـذا ؟ لقـد كان قياصرة الدنيا جميعـاً يرغمونني على التفكير في بروتس (١٢) ! .

فيليـــب : إن كبرياء الفضيلة كبرياء نبيلة . لماذا تنكرها على نفسك ؟

---

(١١) لقد كان لورنزو دى مديتشى ، بحكم مولده الشرعى ، احق بالولايـة مـن الكساندر .

(١٢) ماركوس جونيوس بروتس . سليل بروتس الأول (انظر : ٢ ، ٤) وهو الذى قتل يوليوس قيصر ، وقال فيما بعد قولته الشهيرة : « أيتها الفضيلة ، ما أنت الا كلمة » (٨٦ — ٤٢ ق.م. تقريبا) .

لـــورنزو : لن تعرف أبداً – إذا لم تكن مجنوناً – طبيعة الفكــرة التى اختمرت في رأسي . ولكــي تفهم العاطفة المحمومة التى جعلت مني لورنزو الذي يكلمك ، ينبغي أن يوضع عقلي ومشاعري عاريين تحت مبضع . إن تمثالاً يهبط عــــن قاعدته ليسير بين الناس في الميدان العــــام ، قد يشبه ماكنته يوم بدأت أعيش في هذه الفكرة يجب أن أكون بروتس !

فيليــــب : إنك تدهشني أكثر فأكثر !

لـــورنزو : لقد أردت في أول الأمر أن أقتل كليمنــت السابع . ولم أستطع أن أقتله لأنني نفيت مــن روما(١٣) قبل ذلك . وبدأت مهمتي مــــن جديد مع ألكساندر . وكنت أريد أن أعمــل بمفردي . دون مساعدة مــــن أي رجل . لقد كنت أعمل من أجل الإنسانية . ولكن كبريائي ظلت وحيدة بين جميع أحلامي المتعلقة بحب الإنسانية . وكان ينبغي أن أبدأ – بالمخادعة – صراعاً فريداً مع عدوي ! لم أكن أريد أن أثير الجماهير ، أو أكتسب بالثرثرة شهرة رجل أشل مثل شيشرون(١٤) ! لقد أردت أن أصل

---

(١٣) بسبب حادثة التماثيل (انظر ١ ، ٤)

(١٤) الخطيب الروماني الاشهر والقنصل الذى استحق أن يطلقوا عليه لقب « أبى الوطن » • وقد كان يفضل اللجوء الى القانون على استخدام القوة ، الا انه لم يكن يكتفي بالكلام دون العمل كما يتهمه لورنزو عندما يصفه بانه « اشل » (١٠٦ – ٤٣ ق٠م) •

إلى الرجل ، وأن ألتصق بالطغيان الحى ، وأن أقتله ، وأحمل بعد ذلك سيفى المخضب بالدم على المنبر ، وأترك بخار دم ألكساندر يتصاعد إلى أنوف الخطباء ليدفىء أدمغتهم المتورمة !

فيليب : ما أقوى عزيمتك يا صديقى ! ما أقوى عزيمتك !

لورنزو : لقد كانت المهمة التى فرضتها على نفسي شاقة مع ألكساندر . لقد كانت فلورنسا ، كما هي اليوم ، غارقة في الخمر والدم ! كان الامبراطور والبابا قد صنعا دوقاً من صبى جزار(١٥) ! ولكي أرضى ابن عمي كان ينبغى أن أصل إليه محمولاً على دموع الأسر ! ولكى أصبح صديقه . وأنال ثقته ، فقد كان ينبغى أن أقبل على شفتيه الغليظتين بقايا قصفه ومجونه ، جميعاً ! لقد كنت نقياً كزنبقة ، ولكننى لم أتراجع أمام هذه المهمة . ودعنا لا نتحدث عما صرت إليه من جراء ذلك ! إنما يجب أن تدرك ما قاسيت . وثمة جراح لا تنكأ بلا عقاب ! لقد أصبحت شريراً ، وجباناً ، ومدعاة للخجل والخزي ! وماذا يهم ؟ ليست هذه هي المسألة .

فيليب : إنك تطاطىء الرأس ، وعيناك تدمعان !

---

(١٥) لقد كانت ملامح وجه الكساندر تشي بخسته الى درجة جعلت المصورين يعجزون عن اخفاء هذه الخسة !

لـــــورنزو : كلا ؛ إنني لست خجلاً على الاطلاق . إن أقنعة المصيص لا تتضرج بحمرة الخجــــل ! ولقد فعلت ما فعلت ، وستعرف فقط أنني قد نجحت فيما أقدمت عليه . سيجيء ألكساندر بعد قليل إلى مكان معين لن يخرج منه عــلى قدميه ! لقد أشرف جهدي على غايته . وثق ، يا فيليب ، أن الثور الوحشي عندما يذبحــه الراعي فوق العشب لا تكون حوله حبـــال ولا عقد أكثر مما نسجته حــول غريمي ابـــن ابن الحرام ! إن ذلك القلب الذي مـــا كان ليصل إليه سلاح في مدى عام ، هو الآن عار تحت يدي (١٦) ، ومـــا علي إلا أن أسقط خنجري لينفذ إليه ! سيتم كل شيء ! والآن : هل تعرف ما يحدث لي ، وما أريد أن أحذرك منـــه ؟

فيليـــــب : إنك بروتسناً ، إذا كان ما تقوله حقاً !

لـــــورنزو : لقد اعتقدتُ أنني بروتس ، يا عزيزي المسكين فيليب . لقد تذكرت العصا الذهبية المكسوة بلحاء الشجر(١٧) . والآن أعرف الرجال ، وأنصحك بألا تتدخل .

---

(١٦) اشارة الى سرقة الدرع (٢ ، ٦) .

(١٧) كان لوشيوس بروتس يصطنع البله لينجو من عدوه تاركان (انظر : ٢ ، ٤) وعندما اصطحبه أبناء تاركان الى معبد دلفي ليضحكوا منه ، اهدى ابوللو سبيكة ذهبية مخبوءة في قصبة من لحاء الشجر ، تعبيرا عن اصـالة معدنه الذى تخفيــه الظواهر . والى هذا المعنى يشير لورنزو .

فيليب : لماذا ؟

لورنزو : آه ! لقد عشتَ في عزلة تامة ، يا فيليب ، وظللتَ ساكناً على شاطىء المحيط البشري ، أشبه ما تكون بفنار ساطع ، ورأيت في المياه إنعكاس ضوئك الخاص . وكنت في أعماق وحدتك تجد المحيط عظيماً تحت قبة السماء الباهرة . ولم تكن تحصى كل موجة ، ولم تكن تلقى بالمسبار ، بل كانت تفعمك الثقة بعمل الرب . أما أنا فقد غطست في أثناء ذلك ، وأوغلت في بحر الحياة هذا المتلاطم الأمواج ، وجبت فيه — تحت ناقوسي الزجاجي — كافة الأعماق . وبينما كنت تعجب بالسطح ، زأيت أنا حطام السفن الغارقة ، وعظام الموتى ، واللوياثان(١٨) !

فيليب : إن حزنك يحطم قلبى !

لورنزو : إنني أتحدث إليك هكذا لأننى أراك مثلما كنتُ ، وأراك على وشك أن تفعل ما فعلت . إننى لا أحتقر الناس . وخطأ الكتب والمؤرخين هو أنهم يظهرونهم لنا مختلفين عن حقيقتهم . إن الحياة تشبه مدينة يمكن أن نظل فيها خمسين أو ستين عاما دون أن نرى شيئا غير المتنزهات والقصور ، فما ينبغى أن ندخل الأوكار ، أو نتوقف — في طريق عودتنا إلى بيوتنا — أمام

(١٨) ذكر هذا الحيوان البحرى الهائل فى أسفار العهد القديم .

نوافذ الأحياء الوضيعة ! إليك ما أراه ، يافيليب :
إذا كانت المسألة هي إنقاذ ولديك فإني أطلب
إليك أن تظل ساكنا . هذه خير طريقه لارجاعهما
إليك بعد شيء من التأنيب . أما إذا كانت المسألة
هي محاولة القيام بشيء من أجل الناس فإنني
أنصحك بأن تقطع ذراعيك لأنه لن يمضي وقت
طويل حتى ترى أنه لا يوجد من يملك ذراعين
ســـواك !

فيليـــب : إني أرى أن الدور الذي تلعبه قد أوحى إليك
بمثل هذه الأفكار . وإذا كنت أفهمك جيدا ،
فأنت قد اتخذت سبيلا بشعا للوصول إلى غرض
عظيم ؛ وتعتقد أن كل شيء يشبه ما رأيت .

لورنـــزو : لقد استيقظت من أحلامي ، ولا أكثر من ذلك !
إني أذكر لك ما في ذلك من خطر . إنني أعرف
الحياة . وإنها لمطبخ للشرور . فاقنع بهذا ، ولا
تضع يدك بداخله إذا كنت تحترم شيئا !

فيليـــب : كفى ! ولا تحطم عصا شيخوختي كعـــود من
البوص ! إنني أؤمن بكل ما تدعوه أحلاما ..
إنني أؤمن بالفضيلة ، والعفة ، والحرية .

لورنـــزو : وها أنذا في الطريق ، أنا لورنزاتشو ، والأطفال
لا يرمونني بالوحل ، وأسرة البنات لا يزال
يدفئها عرقي ، والآباء لا يأخذون مُدَاهم ،
ومكانسهم — عندما أمر بهم — ليقتلوني !
وسوف يتحدث الجيل السابع ، في هذه البيوت

العشرة الآلاف عن الليلة التى دخلتها فيهـــا .
وما من بيت واحد . يلفظ — عند رؤيتى —
حرّاثاً ليشقنى نصفين كعود متعفن من الحطب !
إن الهواء الذى تستنشقه . يا فيليب ، أستنشقه
أنا كذلك . ومعطفى الحريرى المزركش ينسحب
ببطء على الرمل الناعم . في المتنزهات . وما من
قطرة سم تسقط في الشكولاتة التى أشربها ! ماذا
أقول ؟ آه ، يا فيليب ! إن الأمهات الفقيرات
يرفعن خمار بناتهن في خجل . عندما أقف على
عتبات أبوابهن . إنهن يريننى جمالهن ، وهـــن
يبتسمن ابتسامة أحقر من قبلة يهوذا ، بينما
أعتصر كفى في غضب ، وأنا أمسك ذقن الطفلة
الصغيرة ، وأهـــز في جيبى أربع أو خمس
قطع ذهبية حقيرة !

فيليـــب : ينبغى على من يغوى إنسانا ضعيفا ألا يحتقـــره .
ولمـــاذا يغويه وهو يتهمه ؟

لورنـــزو : هل أنا شيطان ؟ يانور السماء ! عندما شرعت
أمثل دورى كبروتس عصرى ، كنت أخطر
في ثيابى الجديدة ، ثياب أخوّة الرذيلة العظمى ،
كما يخطر الطفل ، ابن عشرة أعوام ، في درع
مارد من مردة الأساطير ! كنت أعتقد أن
الفساد ندبة ، وأن الوحوش وحدهم يحملونهـــا
على الجبين ! وكنت قد بدأت أقول بأعلى صوتى
إن أعوام فضيلتى العشرين قد كانت قنـــاعا

خانقا ! يا فيليب ! لقد دخلت الحياة عندئذ ، ورأيت الناس كلهم يفعلون ذلك مثلى ، عند اقترابى ! لقد كانت الأقنعة كلها تسقط أمام نظرتى ! لقد خلعت البشرية ثوبها وأرتنى عريها الشنيع كما تريه لشريك يلائمها ! لقد رأيت الناس كما هم ، وقلت لنفسى : لمن أعمل ، إذن ؟ وعندما كنت أذرع شوارع فلورنسا ، وشبحى على جانبى(١٩) ، كنت أنظر حولى وأبحث عن الوجوه التى تمنحنى الشجاعة ، وأسأل نفسى : عندما أضرب ضربتى ، هل ياترى سيستفيد منها ذلك الذى هناك ؟ لقد رأيت الجمهوريين في مكاتبهم ، ودخلت المتاجر ، وسمعت ، وترقبت ، لقد جمعت أحاديث أناس من الشعب ، ورأيت الأثر الذى كان يحدثه الطغيان فيهم . لقد شربت ، في المآدب الوطنية(٢٠) الخمر التى تولد الكناية والاستعارة . وابتلعت ، بين قبلتين ، أكثر الدموع انتسابا إلى الفضيلة ! لقد كنت أنتظر دائما أن تجعلنى الانسانية أرى على وجهها شيئا شريفا . لقد كنت أنظر كما ينظر الخطيب إلى خطيبته ، وهو ينتظر يوم الزفاف ! .

---

(١٩) سبقت الاشارة الى ان موسيه نفسه كان يتوهم وجود شبحه بجانبه وهو يذرع الشوارع فى فلورنسا .

(٢٠) اشارة الى اجتماعات الجمهوريين الفرنسيين فى عهد لويس فيليب ، والتى كانت تتخذ شكل مادب فى الحقول لخداع الشرطة .

فيليب : إذا كنت لم تر غير الشر فإنني أرثى لك ،ولكنني لا أستطيع أن أصدقك . إن الشر موجود ، ولكن : ليس بدون الخير ؛ كما أن الظلام موجود ، ولكن : ليس بدون النور !

لورنزو : إنك لاتريد أن ترى فيَّ إلا رجلا يحتقر الناس ، وأنت تظلمني بذلك . إني أعلم حق العلم أن بينهم أخيارا ، ولكن : مانفعهم ؟ ماذا يفعلون؟ كيف يعملون ؟ وما قيمة أن يكون الضمير حيا ، إذا كانت الذراع ميتة ؟ ثمة جوانب معينة يصير كل شيء عند النظر إليه منها طيبا فالكلب صديق مخلص ، ويمكن أن نجد فيه أحسن الخدم ، كما يمكن أن نراه أيضا يتمرغ فوق الرمم ، ويستشعر الجيفة على بعد فرسخ ، باللسان الذى يلعق به سيده ! وكل ما أملك أن أراه هو أنني هالك ، وأن البشر لن يستفيدوا من هلاكي أكثر مما يسيئون فهمي !

فيليب : إنك تحزن قلبي ، أيها العزيز ، المسكين ! ولكن ؛ إذا كنت رجلا شريفا ، فإنك ستعود مرة أخرى ذلك الرجل الشريف ، بعد أن تكون قد أنقذت وطنك . إنه ليسعد قلبي الهرم ، يالورنزو ، أن أراك رجلا شريفا . ولسوف تطرح عنك يومئذ هذا التنكر البغيض الذى يشوهك ، وتعود رجلا معدنه نقي كتماثيل

هارموديوس وأريستوجيتون(٢١) البرونزية !

لورنـــزو : فيليب ، فيليب ؛ لقد كنت رجلا شريفا . إن اليد التى رفعت غطاء الحقيقة مرة ، لا تستطيع أن تسقطه ثانية . إنها تظل ساكنة حتى الموت ، ممسكة على الدوام بهذا الغطاء المرعب ، رافعـــة إياه أكثر فأكثر ، فوق رأس المـــرء حتى يغلق عينيه ملاك النوم الأبدى !

فيليـــب : الأمراض كلها تشفى ، والرذيلة مرض كذلك .

لورنـــزو : تأخر الوقت جدا ! لقد تعودت حرفتى ! لقـــد كانت الرذيلة بالنسبة إلىّ ثوبا ، وهى الآن ملتصقة بجلدى ! إننى رجل داعر حقا . وعندما أسخر من أمثالى أشعر بأننى جاد كالموت ، فى وسط ابتهاجى ! لقد اصطنع بروتس الجنون لكى يقتل تاركان . والشىء الذى يدهشنى فيـــه هو أنه لم يتخل عن عقله فى أثنـــاء ذلك . استفد منى ، يافيليب . هذا ما أملك أن أقوله لك .

فيليـــب : يبدو لى أن السماء خليقة بأن تظلم دائما ، وأن شيخوختى سيحكم عليها بأن تتلمس طريقها فى المسير ، إذا أنا صدقتك ! لعلك قد اتخذت طريقا خطـــرا ، فلماذا لا أستطيع أن أتخـــذ لى طريقا آخر يقودنى إلى نفس الهدف ؟ إننى أعتزم أن أدعو إليه الشعب ، وأن أعمل علانية

---

(٢١) ثائران اثينيان ، اعدما لانهما حررا شعبهما من طغيان هيبارك عندما قتلاه فى عام ٥١٤ ق٠م ٠

لورنـــزو : احترس . يافيليب ! ان من يقول لك هـــذا يعرف لماذا يقوله . اتخذ الطريق الذى تشـاء . وسوف تتعامل دائما مع الناس ،

فيليـــب : انني أؤمن بصدق الجمهوريين .

لورنـــزو : إنني اراهنك . سأقتل الكساندرو ، واذا تصرف الجمهوريون كما ينبغي عليهم ، بعد أن اضرب ضربتي ، فلسوف يسهل عليهم ان يؤسســوا جمهورية ، اجمل جمهورية اينعت يوما على وجه الارض ! يكفى ان يؤيدهم الشـعب . ولكنني اراهنك على انه لاهم ، ولا الشـعب، سيفعلون شيئا ! كل ما اطلبه منك ألا تـزج بنفسك في هـذه القضية . تكلم اذا شئت ، ولكن : كن حذرا في اقوالك ، واشد حذرا في اعمالك ! دعني اضرب ضربتي . ان يديك نقيتان ، وليس عندى ما افقــده !

فيليـــب : اضربها ، وسـترى !

لورنـــزو : فليكن . ولكن ، تذكر هذا . هل ترى في ذلك البيت الصغير ، تلك الاسرةَ المجتمعة حــول منضدة (٢٢) ؟ اليس بينهم رجال ؟ انهم جسم واحد ، ونفس واحدة في هذا الجسم ، ومــع ذلك ، فلو تملكتني الرغبة في ان ادخل بيتهــم بمفردى ، كما انا الآن ، واقتل بالخنجر اكبر

(٢٢) لنتذكر ان هذا الحوار يدور في الطـريق ، وان للبيوت الفلورنسية نوافـذ واسعة تسمح برؤية ما يدور فيها من الخارج .

ابنائهم وهو في وسطهم ، لما ارتفعت سكين واحدة في وجهى !

فيليب : انك تخيفنى ! كيف يمكن ان يظل القلب كبيرا مع يدين كيديك ؟

لورنزو : تعال ندخل الى قصرك، ونحاول ان ننقذ أولادك

فيليب : ولكن ، لماذا تقتل الدوق اذا كانت عندك افكار كهذه ؟

لورنزو : لماذا ؟ هل تسأل عن السبب ؟

فيليب : اذا كنت تعتقد ان ذلك اغتيال لا يعود بالفائدة على وطنك ، فلماذا ترتكبه ؟

لورنزو : هل تواجهنى بهذا السؤال ؟ انظر الىّ قليلا ، لقد كنت جميلا ، وهادئا ، وفاضلا !

فيليب : أية هاوية ! اية هاوية تفتحها امامى !

لورنزو : هل تسألنى لماذا اقتل الكساندر ؟ هل تريد اذن ان اقتل نفسى بالسم او اقفز في نهر الارنو ؟ هل تريد ان اكون شبحا ، والا يخرج اى صوت من هذا الهيكل ، اذا ضربته ؟ (يضرب صدره) اذا كنت ظل نفسى ، فهل تريد ان اقطع الخيط الوحيد الذى يصل اليوم قلبي ببعض اوتار قلبي الذى كان في الماضى ؟ هل تعلم ان هذا الاغتيال هو كل مابقى لى من فضيلتى ؟ هل تعلم اننى انزلق منذ عامين على حائط عمودى ، وان هذا الاغتيال هو القشة

الوحيدة التى استطعت ان انشب فيها اظافرى !
هل تعتقد اذن اننى لم تعد لى كبرياء لاننى قد تجردت من الحياء ؟ وهل تريد ان اترك لغز حياتي يموت في صمت ؟ نعم ، يقينا ، لو امكن ان اعود الى الفضيلة ، ولو امكن ان يتلاشى ماتعلمته من الرذيلة ، فلعلى كنت اترفق بسائق الثيران هذا ! ولكننى احب الخمر ، والميسر ، والنساء ، فهل تدرك ذلك ؟ لئن كنت تمجد فيّ شيئا ــ انت يامن يتحدث الىّ ــ فهذا الاغتيال هو ماتمجده . وربما كان ذلك ، بالضبط ، لانك لم تكن لترتكبه ! ها هم الجمهوريون يغطوننى منذ وقت طويل بالوحل والعار ! ومنذ وقت طويل يملأ الطنين اذني ، ويسمم نفور الناس الخبزْ الذى امضغه ! لقد سمعت ما يكفى من صراخ الثرثرة البشرية الزاعقة في اجواز الفضاء ، وينبغى ان تعرف الدنيا قليلا : من أنا ، ومن هو ! حمداً لله ! قد أقتل الكساندر غدا . وسأنجز كل شيء في خلال يومين !

سيكون في مقدور أولئك الذين يدورون حولى بعيون حولاء ، كما يدورن حول احدى العجائب المهولة ، المجلوبة من امريكا ، ان يشبعوا حناجرهم ، ويفرغوا جعبتهم من الكلام ! ولئن فهمنى الناس أو لم يفهموني ،

ولئن عملوا او لم يعملوا ، فانني سأكون قد
قلت ما كان ينبغي ان اقوله ، وسأجعلهم
يبرون اقلامهم ، اذا لم اجعلهم ينظفون حرابهم
وستحتفظ الانسانية بصفعة سيفي على خدها
خطوطا من الدم ! وليطلقوا عليّ الاسم الذى
يريدون : بروتس أو ايروسترات (٢٣)، فليس
يرضيني نسيانهم إياى ! ان حياتي كلها على
خنجرى . واذا حولت العناية رأسها ، أو لم
تحوله ، عندما تسمعني وأنا أضرب ضربتي
فانني سألقى بالطبيعة البشرية على ظهرها ،
أو على وجهها ، فوق قبر الكساندر . وفي خلال
يومين سيقف الناس أمام محكمة إرادتي . !

فيليب : ان هذا كله يدهشني ! وفي كل هذا الذى قلته لى أشياء تؤلمني ، واشياء اخرى تسرني . ولكن بيير وتوماس في السجن ، وفوق ذلك لااستطيع ان أثق بشخص غيرى . وعبثا احاول ان اكبح جماح غضبي ، فان انفعالا قويا يملأ جوانحى ! لعلك أن تكون على حق ، ولكنه ينبغى على أن اعمل . وسأجمع افراد عائلتى .

لورنزو : كما تشاء ، ولكن ، احترس ! واكتم سرى حتى عن اصدقائك . هذا كل ما اطلبه منك .

(يخرجان)

---

(٢٣) رجل كان مغمورا فاحرق معبد ديانا فى مدينة ايفيز ليتحدث الناس عنه !

المشهد الرابع

في قصر سوديريني

كاترينـــا : (تدخل وهى تقرأ رسالة) « لابد ان لورنـــزو قد حدثك عني . ولكن ، من يستطيع ان يحدثك بجدارة عن حب كحبي ؟ عسى ان يخـــبرك قلبي بما لا يستطيع فمي أن يقوله لك ، وما يود قلبي ان يوقعه بدمـــه » .

« الكساندر دى مديتشى »

اذا لم يكن اسمى فوق العنوان لاعتقـــدت ان حامل الرسالة قد اخطأ . وهـــذا الذى أقـــرأه يجعلني لا اصدق عيني (تدخل مارى) اماه ، الحبيبة ! انظرى ماذا يُكْتَبُ الىَّ ، وفسرى لى هذا اللغز ، اذا استطعت !

مـــارى : شقية ! شقية ! انه يحبك ! اين رآك ؟ ايـــن تحدثت اليه ؟

كاترينـــا : لم اتحدث إليه في اى مكان . وقد جائي رسول بهذا الخطاب ، وانا خارجة من الكنيسة !

مـــارى : انه يقول ان لورنزو قد حدثك عنه حتمـــا ؟ اواه ! كيف يكون لى ولد كهذا ، ياكاترينا ؟ نعم ، يجعل من أخت أمة عشيقة الدوق ، ياابنتى ماذا تسمى هـــذه المخلوقات ؟ لا استطيع أن أقول ! نعم ، لقد كان هذا ينقص لورنزو ! تعالى ، انني اريد ان احمل اليه هذه الرسالـــة

مفتوحة ، وان اعرف امام الله كيف تكـــون اجابته !

كاترينـــا : كنت أعتقد ان الدوق يحب . . . معـــــذرة ، يا امى ، ولكننى كنت اعتقد ان الدوق يحب الكونتيسة تشيبو . لقد كان يقال لى هذا . . .

مـــارى : هذا صحيح ؛ لقد أحبها ، إن كان يمكن أن يحب !

كاترينـــا : ألم يعد يحبها ؟ أواه ! كيف يستطيع أن يعرض حبا كهذا بلا حياء ! تعالى ، يا أمى ؛ تعـــالى نذهب إلى لورنـــزو .

مـــارى : هاتى ذراعك . لا أعرف ماذا يحدث لى منـــذ بضعة أيام . لقد كنت أعانى من الحمى كل ليلة . والحق أنها لا تتركنى إلا نادرا منذ ثلاثة أشهر . لقد عانيتُ كثيرا ، ياعزيزتى المسكينة كاترينا ، فلماذا قرأت لى هذه الرسالة ؟ إنى لم أعد أستطيع أن أحتمل شيئا ! إنى لم أعـــد صغيرة . ويبدو لى ، مع ذلك ، أننى أعـــود صغيرة في حالات معينة . ولكن هذا الذى أراه ، كله ، يقودنى إلى القبر ! هيا ؛ اسنديني ، يابنيتى المسكينة ! لن أسبب لك هذا العناء وقتـــا طويلا ! (تخرجان)

المشهد الخامس

عنـــد المـــاركيزة

المـــاركيزة : (في تمـــام زينتها ، أمام مرآة) عندما أذكـــر أن هذه هي الحقيقة ، يكون لذلك عندى تأثير نبـــأ مفاجيء ! أية حمأة هي الحياة ! كيف هذا ؟ الساعة الآن هى التاسعة . والدوق هو الذى أنتظره في هذه الزينة ! فليكن مايكون ، فإنى أريد أن أجرب قوتى (يدخل الكاردينال)

الكاردينـــال : يالها من زينة . أيتها الماركيزة ! وها هى ذى أزهار يتضوع منها العبير !

المـــاركيزة : إنى لا أستطيع أن أستقبلك ، ياسيدىالكاردينال . . إنى أنتظر صديقة لى . أرجو المعذرة .

الكاردينـــال : سأتركك ، سأتركك . إن ذلك المخدع الذى ألمح بابه مواربا ، هناك ، فردوس صغير . هل أنتظرك فيـــه ؟

المـــاركيزة : إننى متعجلة . سامحنى . كلا ؛ ليس في مخدعى . في أى مكان تشـــاء .

الكاردينـــال : سأعود في ساعة أكثر ملاءمة من هذه (يخرج)

المـــاركيزة : لمـــاذا ، دائما ، وجه هذا القس ؟ أية حلقات يرسمها حولى هذا النسر الأصلع حتى أراه ورائى عندما أستدير ، بغير انقطاع ؟ أتكون ساعة موتى قد دنت(٢٤) ؟ (يدخل خـــادم

---

(٢٤) اشارة الى تجمع النسور فوق جثث الموتى فى العراء .

ويحدثها في أذنها) حسنا ؛ سأذهب . آه ! إنك لم تألف حرفة الخادمة هذه ، أيها القلب المسكين ، المتكبر ! (تخـــرج)

المشهد السادس

مخـــدع المـــاركيزة

المـــاركيزة . الـــدوق

المـــاركيزة : هذه طريقتى في التفكير . إنى خليقة بأن أحبك هكذا !

الـــدوق : كلمات ، ولا أكثر من كلمات !

المـــاركيزة : إنه شيء قليل جدا بالنسبة إليكم ، أنتم يامعشر الرجال ! أن تضحى المرأة براحة أيامها ، وطهارة العرض المقدسة ، بل وبأبنائها أحيانا ! ولا تعيش إلا لشخص واحد في الدنيا ، وتستسلم أخيرا ! ولكن هذا كله شيء لا قيمة لـــه ! وما جدوى الانصات إلى امرأة ؟ إن المرأة التى تتحدث عن شيء آخر غير توافه الأشياء ، وغير الخلاعة والمجون ، لهى امرأة مملـــة !

الـــــدوق : إنك تحلمين وأنت في تمام يقظتك !

الماركيـــــزة : نعم ؛ وحق السماء ! نعم ؛ لقد رأيت حلماً ، وآسفاه ! إن الملوك وحدهم لا يحلمون أبداً ! إن نزواتهم الباطلة كلها تتحول إلى حقائق . وكوابيسهم ذاتها تتحول إلى رخام ! ألكساندر

الكساندر ! ما معنى هذه الكلمة : أستطيع
إذا أردت ! . . آه ! إن أيدي الشعوب تتماسك
أمام هذه الكلمة في صلاة خاشعة ، ويمسك
القطيع البشرى أنفاسه ليسمع !

الـــــدوق : دعينا ، يا عزيزتي ، لانتحدث عن ذلك أكثر
مما تحدثنا . إنه شيء مرهق !

الماركيـــزة : هـــل تعرف معنى أن يكون المرء ملكاً ! أن
يكون عند طرف ذراعه مائة ألف من الأيدي !
أن يكون شعاع الشمس الذي يجفف دموع
البشر ! أن يكون السعادة والشقاء ! آه ! أية
رجفة قاتلة يسببها ذلك ! إن عجوز الفاتيكان
حرى بأن يرتعد عندما تنشر جناحيك ، يا نسري
الصغير ! إن قيصر بعيد ! والحرس مخلص
لك ! ثم إنهم يذبحون جيشاً ولا يذبحـــون
شعباً . ويوم يكون الوطن كله في صفك ،
وتكون الرأس لجسد حر ، وتقول : « كما
يقترن دوج فينتسيا بالأدرياتيك ، هكـــذا
أضـــع خاتمي الذهبى في إصبع جميلتى فلورنسا
فلورنسا(٢٥) ، ويكون أبناؤها أبنائي . . » آه !
هل تعرف معنى أن يأخـــذ شعب بين ذراعـــه

---

(٢٥) اشارة الى تقليد كان متبعا فى فينتسيا ، اذ يحتفل حاكمها ـ الدوج ـ كل عام ، أمام الشعب ، بزواجه الرمزى من نهر الادرياتيك بان يلقى فيه بخاتم ذهبى . وكان البابا الكساندر الثالث هو الذى بدأ هذا التقليد فى القرن الثانى عشر اعترافا بفضل الدوج الذى ساعده فى حربه ضد فريدريك بارباروس .

ذلك الذي يحسن إليه ؟ هل تعرف معنى أن يشير إليك أب لولده ؟

السدوق : إن ما يهمني هو الضريبة . وماذا وماداموا يدفعونها لي ، فلا أبالي بشيء آخر .

الماركيزة : ولكنهم سيغتالونك في النهاية . . وستخرج الأحجار من الأرض وتسحقك ! آه ! الأجيال القادمة ! ألم تر ذلك الشبح على وسادتك قط ؟ ألم تسل نفسك يوماً عما سيراه فيك أولئك الذين في بطون الأحياء ؟ وها أنت حي ، ولم يزل هناك وقت ! وما عليك إلا أن تقول كلمة واحدة . هل تذكر أبا الوطن(٢٦) ؟ هيا ؛ إنه ليسهل على المرء أن يكون ملكاً عظيماً ، وهو ملك ! أعلن فلورنسا دولة مستقلة ، واطلب إلغاء المعاهدة مع الامبراطورية . جرد سيفك واظهره . وسيطلبون منك أن تعيده إلى غمده لأن بريقه يؤذى عيونهم ! اذكر أنك شاب صغير(٢٧) . إن شيئاً لا يحسب عليك . . إن في قلب الشعوب تسامحاً كبيراً لأمرائها . والعرفان العام نهر عميق تنسى فيه أخطاؤهم الماضية (٢٨) . لقد أساؤا نصحك . لقد خدعوك . . ولكن هناك وقتاً لا يزال ؛ وما

---

(٢٦) كوزمو دى مديتشى (١٣٨٩ ـ ١٤٦٤) .

(٢٧) كان الكساندر فى السابعة والعشرين من عمره ، ولورنزو فى الثالثة والعشرين

(٢٨) فى أساطير اليونان ان بالجحيم نهرا للنسيان يدعى « ليثيه » .

عليك إلا أن تتكلم ، وما دمت حياً فإن الصفحة لم تطو في كتاب الله !

الـــــدوق : كفى ، يا عزيزتي ، كفى !

الماركيـــــزة : آه ، عندما تطوى ! عندما يجيء بستاني مسكين أجير يومه ، فيروي متكرها بعض أزهـــار اللؤلؤ الهزيلة ، حول قبر ألكساندر ! عنـــدما يستنشق البؤساء الهواء الطلق في فرح ، ولايرون بعـــد ، شهاب سلطانك الأســود منتشراً في الفضاء ! . . عندما يتحدثون عنك وهم يهزون رؤسهم ! . . عندما يحصون قبور آبائهـــم حول قبرك ! . . هل أنت واثق بأنك ستنام هادئاً في رقادك الأخـــير ؟ . . أنت ، يا من لا يذهب للصلاة ، ولا يحرص على غـــير الضريبة ، هل أنت واثق بأن الأبدية صماء ، وأنه ليس للحيـــاة صدى في مستقر الأموات الرهيب ؟ هل تعرف أين تمضي دموع الشعوب، عندما يحملها الهواء ؟

الـــــدوق : إن لك ساقاً جميلة !

الماركيـــــزة : أنصت إلي . إني أعرف أنك طائش ، ولكنك لست شريراً ، كلا ، إنك لست شريراً ، ولا يمكن أن تكون شريراً . هيا ، قاوم نفسك . فكر لحظة ، لحظة واحدة ، فيما أقوله لك ! يوجد شيء في كل هذا ؟ هل أنا مجنونة حقاً ؟

الـــدوق : إن هذا كله يدخل رأسي جيداً . ولكـــن ؛
أى شيء بهذا القدر من السوء ترينني أفعله ؟
إنني وجيراني سواء(٢٩) . وأنا خير من البابا
نفسه ، في الحقيقة . وأنت إنما تذكرينني بآل
ستروتسي ، بكل هذا الذي تقولينه ، وأنت
تعلمين أنني أحتقرهم ! إنك تريدين أن أتمرد
على قيصر . وقيصر أبو زوجتى(٣٠) . أيتها
الصديقة العزيزة ! إنك تتصورين أن الفلورنسيين
لا يحبونني . . وأنا على يقين من أنهم يحبونني .
أوه ! قولي بربك ! إذا كنت محقة ، فممن
تريدين أن أخاف ؟

الماركيـــزة : إنك لا تخاف شعبك . . ولكنك تخـــاف
الامبراطور ! لقد قتلتَ أودنستَ شرف المئات
من المواطنين ، وتعتقد أنك قد فعلت كل شيء
عندما ترتدى درعك تحت ثوبك !

الـــدوق : أسكتى ! لا تتكلمي عن ذلك مطلقاً !

الماركيـــزة : أوه ! انني أستسلم للغضب ، وأقول مالا أريد
أن أقول ! يا صديقي ، من لا يعلم أنك شجاع ؟
إنك شجاع مثلما أنت عظيم . والشيء الذي
أساء إليك إنما هو شبابك ، وما يدور فـــى
رأسك . . ماذا أعرف ، أنا ؟ إنه الدم الـــذي

---

(٢٩) لقد كانوا جميعا ـ وبيير فارنيز ، حاكم بارم ، على الخصوص ـ يدينـــون بمراكزهم لما يسبغه عليهم البابا ، والامبراطور شارل الخامس ، من حماية .

(٣٠) كان الكساندر متزوجا من مرجريت دوتريش ، ابنة شارل الخامس .

يجري عنيفاً ، في هذه العروق الملتهبة ! إنها
الشمس الخانقة التي تثقل علينـــا . ! أتوسل
إليك ، لا تجعل سقوطي بلا جدوى ؛ ولا
تجعل اسمي ، وحبي الشقي لك ، يكتبـــان
في قائمة سوداء ! إنني امرأة ، هذا صحيح .
وإذا كان الجمال كل شيء للنساء ، فـإن
كثيرات غيري أجمل مني ! ولكن ؛ ألا تملك
أنت شيئاً . . خبرني . خبرني ! ألا تملك شيئاً ،
أى شيء ، هنا ؟ (تضرب قلبه)

الـــــدوق : يا للشيطان ! تربعي فيه ، إذن ، يا عزيزتي !

الماركيـــزة : نعم ؛ أريد أن أعترف بذلك . . نعم ؛ إنني
طموحة ، وطموحي ليس إلى شيء أريـــده
لنفسي ، وإنما أريده لك ! أنت ، وفلورنسا
الحبيبة ! يا إلهي ! أنت الشهيد على أوجاعي !

الـــــدوق : أنت تتوجعين ! ماذا بك ؟

الماركيـــزة : كلا ؛ إنني لا أتوجع . اسمع ! اسمع ! إني
أراك تشعر بالملل وأنت بجانبي . إنك تعـــد
الدقائق ، وتدير رأسك . فلا تنصرف أيضاً ،
ولعلها أن تكون المرة الأخيرة التي أراك فيها .
اسمـــع ! إني أقـــول لك إن فلورنسا تدعوك
طاعونها الجديد(٣١) ! وإنه ما من كـــوخ
لا توجد فيه صورتك ملصقة على الجدران ،

---

(٣١) كانت المدينة قد اصيبت عام ١٣٤٨ بوباء الطاعون الذى عرف باسم طاعون فلورنسا .

وفي موضع القلب منها طعنة سكين (٣٢)
فلأكن مجنونة ، ولتكرهني غداً ، ماذا
يهمني ؟ إنك ستعرف ذلك !

الدوق : الويل لك إذا لعبت بغضبي !

الماركيزة : نعم ؛ الويل لي ! الويل لي !

الدوق : في مرة أخرى . . في صباح الغد ، إذا شئت . .
نستطيع أن نلتقي ثانية ، ونتكلم عن هذا !
لا تغضبي إذا تركتك الآن . يجب أن أذهب
للصيد .

الماركيزة : نعم ؛ الويل لي ! الويل لي !

الدوق : لماذا ؟ إنك تلوحين مكفهرة كالجحيم ! لماذا
تزجين بنفسك في السياسة ؟ هيا ، هيا ؛ إن
دورك الصغير كامرأة ، وامرأة حقيقية ،
يلائمك تماماً ! إنك تتعصبين كثيراً لرأيك ،
وسوف يعالج هذا من تلقاء نفسه ! ساعديني
على ارتداء ثوبي إذن . إن هندامي سيء للغاية !

الماركيزة : وداعاً ، يا ألكساندر (يقبلها الدوق ، يدخل
الكاردينال تشييو)

الكاردينال : آه ! . . عفواً ، يا صاحب السمو ! كنت
أعتقد أن أختي وحدها ! إنني رجل أخرق ،
وأنا السبب فيما حدث ! أسألك المعذرة ! .

الدوق : ماذا تتصور ؟ أوه ! إنك تبدو قسيساً حقاً ، يا

---

(٣٢) نوع من السحر يلجأ اليه العامة ، وهم هنا ينشدون الموت لالكساندر .

مالاسبينا ! هل ينبغي أن ترى هذه الأشيـــاء ؟ هيا بنا ، هيا بنا ؛ فيم يهمك هذا ؟ (يخرجان معاً) .

الماركيـــــزة : (وحدها ، وهي تمسك بصورة زوجها) أين أنت الآن ، يا لوران ؟ هذه ساعة الأصيل . وأنت الآن تتنسم الهواء في الشرفة ، أمـــــام أشجار القسطل الكبيرة . وأبقارك السمينـــة ترعى من حولك ، وغلمان مزرعتك يتناولون طعامهم في الظل ، والأرض الخضراء تنضو – تحت أشعة الشمس – غطاءها المائل إلـــى البياض ؛ والأشجار التي تصونها رعـــايتك تغمغم في تعبد ، فوق رأس سيدها المحـــرم ، بينما يردد الصدى في أروقتنا الطويلة ، باحترام صوت خطواتك الهادئة ! يا عزيزي لوران ! لقد ضيعتُ كنز كرامتك ، وكرستُ للسخرية ، والشك ، آخر سني حياتك الشريفة ؛ ولـــن تضم إلى درعك بعد الآن قلباً جديراً بقـــلبك ، فإن اليد التي ستحمل إليك عشاءك ، عنـــــد عودتك من الصيد ، ستكون يداً مرتعشة ! .

المشهد السابع

عند آل ستروتســـــي

أفراد عائلة ستروتسي الأربعـــــون ، على العشاء

فيليـــــب : لنجلس إلى المائدة يا أولادي .

المدعـــــوون : لماذا يخلو مقعـــــدان ؟

فيليـــب : إن بيير وتوماس في السجن .

المدعـــوون : لمـــاذا ؟

فيليـــب : لأن سالفياتى قد أهان ابنتى في سوق مونتوليفية، علانية أمام أخيها ليون ! وعمد بيير وتوماس إلى قتل سالفياتى(٣٣) ، فاعتقلهما ألكساندر دى مديتشى ليثأر لموت قواده !

المدعـــوون : الموت لعائلة مديتشى !

فيليـــب : لقد جمعت عائلتى لكى أفضى إليها بأحزانى ، وأرجوها أن تساعدنى ! فلنتناول عشاءنا ، ونخرج وسيوفنا في أيدينا ، لكى نطلب الافراج عن ولدى ، مرة أخرى ، إذا أردتم .

المدعـــوون : فليكن ! هذه إرادتنـــا !

فيليـــب : لقد حان الوقت الذى ينتهى فيه ذلك ! إنهـــم يقتلون أبناءنا ، ويغتصبون بناتنا ! وقد حـــان الوقت الذى تُعَلِّمُ فيه فلورنسا أولئك الأنغال ماذا يكون حق الحياة والموت ! إن « الثمانية » لا يحق لهم أن يدينوا ولدىَّ ، وماكنت لأعيش بعدهما . !

المدعـــوون : لا تخف يافيليب ، نحن معك .

فيليـــب : إننى كبير العائلة ، فكيف أسمح لهم بإهانتى ؟

---

(٣٣) الحقيقة انهما قد اصاباه بجرح خطير (٣ : ٢ ، ٤ : ١) .

إننا أنداد لآل مديتشى . وآل روتشيلاى أنداد
لهم ، وآل ألدوبرانديني . وعشرون غيرهم !
لماذا يستطيع أولئك أن يذبحوا أبناءنا ولانستطيع
نحن أن نذبح أبناءهم ؟ إنه ما أن يُشْعَلَ برميل
من البارود في كهوف القلعة حتّى تلوذ الحامية
الألمانية بالفرار . فماذا يبقى لآل مديتشى
هؤلاء ؟ هذه هي قوتّهم . وليسوا بدونها شيئا !
هل نحن رجال ؟ هل يقال إنهم قد أفنوا بضربة
فأس ٍ عائلات فلورنسا النبيلةَ . وإنهم قد
اقتلعوا من أرض الوطن جذورا عتيقة مثلها ؟
إنهم يبدءون بنا . ويجب أن نصمد ! إن
صيحة إنذارنا الأولى . كصفير مربى الطيور ،
ستجعل جيشا بأكمله من النسور المطرودة من
أعشاشها يهبط على فلورنسا ! إنها ليست بعيدة !
إنها تحوم حول المدينة . وعيونها مسمرة على
أبراجها ! وسنغرس فوقها ألوية الطاعون
السوداء ! وستأتى(٣٤) مسرعة عند إشارة
الموت هذه ! تلك ألوان الغضب الالهى ! فلنمض
الليلة أولاً لانقاذ ولدينا . وغدا نمضى جميعا ،
وسيوفنا مسلولة ، إلى أبواب الأسر الكبيرة
كلها ! إن في فلورنسا ثمانين قصرا ؛ وستخرج
من كل قصر جماعة كجماعتنا ، عندما تدق
الحرية بابه . !

(٣٤) النسور ، ويعنى بها جموع المنفيين من المدينة .

المدعــوون : تحيـا الحـرية !

فيليـب : إنى أشهد الله على أن العنف هو الذى يرغمنى على امتشاق الحسام ؛ وأننى قد ظللت مواطنـا صالحا ، ومسالمـا ، في مدى ستين عاما ؛ وأننى لم أسىء قط إلى أى كائن في هذه الدنيا ؛ وأن نصف ثروتى قد استخدم في إغاثةالمساكين.

المدعـوون : هـذا صحيح .

فيليـب : إنه انتقام عادل ، هذا الذى يدفعنى إلى الثورة ! وإنى لألجـأ إلى العصيان لأن الله قد جعلنى أبا ! إننى غير مدفوع بأى دافع من الطموح أو المصلحة أو الكبرياء ؛ ولكن دعواى صادقة ، وشريفة ، ومقدسـة ! املئوا أقداحكم ! وانهضوا ! ان ثأرنا قربان نستطيع أن نكسره بلا خوف ، ونقتسمه أمام الله ! إننى أشرب نخب الموت لآل مديتشى !

المدعـوون : (ينهضون ويشربون) نخب الموت لآل مديتشى !

لويـزة : (تضع كأسها) آه ! سأموت !

فيليـب : ماذا بك ، يا ابنتى ، ياطفلتى الحبيبة ؟ ماذا بك؟ يا إلهى ! ماذا أصابك ! رباه ، رباه ! لشـد ما يشحب وجهك ! تكلمى ؛ ماذا بك ؟ كلمى أباك ! النجدة ! النجدة ! طبيب ! اسرعوا ، اسرعوا ؛ ليس في الوقت متسع !

لويـزه : سأموت ! سأموت ! (تموت)

فيليب : إنها تموت يا أصدقائى ، إنها تموت ! طبيب ! ابنتى مسمومة ! (يسقط على ركبتيه بجوار لويزه)

مدعو : مزقوا صدارها . اسقوها ماء فاترا . إذا كان هذا سما ، فلا بد من الماء الفاتر (يهرع الخدم)

مدعو آخر : اضربوا كفيها ! افتحوا النوافذ ، واضربوا كفيها !

آخر : قد لا يكون إلا أغماء ، وتكون قد شربت بسرعة أكثر مما ينبغى .

آخر : الطفلة المسكينة ! ياالهدوء ملامحها ! إنها لا يمكن أن تموت فجأة هكذا !

فيليب : ياطفلتى ! هل أنت ميتة ؟ هل أنت ميتة ، يالويزه ، يابنيتى الحبيبة ؟

المدعو الأول : ها هو الطبيب يأتى مسرعا (يدخل طبيب)

المدعو الثانى : اسرع ياسيدى ! قل لنا إن كان هذا سما !

فيليب : إنه إغماء ، أليس كذلك ؟

الطبيب : الصغيرة المسكينة ! إنها ميتة ! (صمت عميق يسود القاعة . يظل فيليب جاثيا بجوار لويزه وهو ممسك بيديها)

أحد المدعوين : إنه سم آل مديتشى ! لانتركن فيليب في الحالة التى هو فيها ! إن سكونه مخيف !

آخـــر : إنى واثق بأننى غير مخطىء . لقد كان يـــدور حول المائدة خادم ينتمى إلى زوجة سالفياتى (٣٥).

آخـــر : إنه هو الذى فعلها دون أى شك ! فلنخرج ونقبض عليه (يخرجون)

المدعو الأول : لا يريد فيليب أن يرد على مايقال له . لقد صعق !

آخـــر : شىء فظيع ! هذه ميتة لم يسمع بها من قبل !

آخـــر : إنها تصرخ إلى السماء مطالبة بالانتقام ! فلنخرج ونذبح ألكســـاندر !

آخـــر : نعم ؛ فلنخرج ! الموت لألكساندر ! إنه هو الذى أمـــر بكل شىء . يالنا من أغبياء ! إن ما يضمره لنا من الكراهية لا يرجع إلى الأمس ! إننا نعمل متأخرين للغاية .

آخـــر : إن سالفياتى لم يكن يحقد لسبب شخصى على لويزة المسكينة ! لقد كان يعمل لحساب الدوق . هيا ؛ فلنرحل مادام ينبغى أن يقتلونا حتى آخر واحد منـــا !

فيليـــب : (ينهض) ستدفنون ابنتى المسكينة يا أصدقائى ؛ أليس كذلك ؟ (يرتدى معطفه) في حديقتى ، خلف أشجار التين . وداعا ، يا أصدقائي الطيبين ؛ ولتكونوا بخـــير .

مدعـــو : إلى أين تذهب ، يا فيليب ؟

---

(٣٥) يقول المؤرخ فاركى ان زوجة سالفياتى هى التى قتلت لويزه ستروتسى بالسم ، بدافع من الغيرة .

فيليب : لقد عانيت مافيه الكفاية . لقد عانيت بقدر ما أستطيع أن أحتمل . إن ولدىَّ في السجن ، وها هى ابنتى قد ماتت ! لقد عانيت ما فيه الكفاية ، وسأرحل من هنا !

مدعو : ترحل ؟ ترحل دون أن تنتقم ؟

فيليب : نعم ، نعم . كفنوا ابنتى المسكينة فقط ، ولكن لاتدفنوها . فعلىَّ أنا دفنها . وسأفعل هذا بطريقتى . عند رهبان فقراء أعرفهم . وسوف يجيئون للسؤال عنها غدا . ما الفائدة من النظر إليها ؟ إنها ميتة ، فلا فائدة من ذلك ! وداعا ، يا أصدقائى ! عودوا إلى منازلكم ؛ ولتكونوا بخير !

مدعو : لا تتركوه يخرج ! لقد فقد الصواب !

آخر : ياله من شيء فظيع ! أشعر بأننى على وشك الاغماء في هذه القاعة ! (يخرج)

فيليب : لاترغمونى على شيء ، ولا تحبسونى في غرفة بها جثة ابنتى ! دعونى أرحل !

مدعو : اثأر لنفسك ، يا فيليب ، ودعنا نثأر لك ! فلتكن ابنتك لويزة عندنا بمثابة لوكريس(٣٦) ! إننا سنرغم ألكساندر على أن يشرب بقية كأسها !

---

(٣٦) عن لوكريس ، انظر : ٢ ، ٣ .

آخـــر : لوكريس الجديدة ! سنقسم فوق جثمانها على الموت في سبيل الحرية ! عد إلى بيتك يا فيليب ، وفكر في وطنك ! لا ترجع فيما قلت .

فيليـــب : الحرية . الانتقام . كل هذا جميل ، ولكن ولدىَّ في السجن ، وها هى ابنتى ميتة ! وإذا بقيت هنا سيموت كل شىء حولى ! المهم أن أرحل وأن تلتزموا الهدوء . ولن يفكر أحد ، بعد ، في آل ستروتسى عندما يغلق بابـــى ونوافذى ! ولكننى سأراكم تسقطون جميعا ، بعضكم وراء البعض الآخر ، إن هى ظلت مفتوحة ! إننى طاعن في السن ، وقد حـــان الوقت لكى أغلق دكانى ! وداعا ، يا أصدقائى ولتظلوا هادئين ، ولن يفعلوا بكم شيئا إذا لم أعد موجودا هنا بعد ! سأرحل توا إلى فينتسيا !

مدعـــو : ثمـــة عاصفة مخيفة ، فابق هنا الليلـــة .

فيليـــب : لا تدفنوا ابنتى المسكينة . سيأتى الرهبـــان ، أصدقائى القدامى ، ويأخذونها . يارب العدالة ! يارب العدالة ! أية اساءة أســـأتها إليك ؟ !

(يخـــرج مسرعا)

الفصل الرابع

المشهد الأول

في قصر الدوق

يدخل الدوق ولورنزو

الدوق : ليتني كنت هناك . لا بد أن أكثر من وجه غاضب قد كان عنده ! ولكنني لا أعرف من استطاع أن يقتل بالسم لويزه هذه .

لورنزو : ولا أنا أعرف أكثر منك . . إلا أن يكون إياك !

الدوق : لا بد أن فيليب يتميز غيظاً ! يقال إنه قد رحل إلى فينتسيا . حمداً لله ! فها أنا قد تخلصت من ذلك الشيخ الذي لا يطاق . أما أسرته الكريمة فسوف تتفضل بالتزام الهدوء ! هل تعلم أنهم أوشكوا على القيام بثورة صغيرة في حيهم ؟ لقد قتلوا لي ألمانيين .

لورنزو : إن أكثر ما يثير غضبي هو أن سالفياتي ، ذلك الرجل الأمين ، قد قُطعت إحدى ساقيه . هل وجدت درعك ؟

الدوق : كلا ؛ في الحقيقة . وأنا متكدر لهذا السبب أكثر مما أستطيع أن أقول .

لـــــورنزو : احترس من جومو . إنه هو الذي سرقه منك . ماذا ترتدي بدلاً منه ؟

الـــــدوق : لا شيء . إنني لا أحتمل غيره . ولا يوجـــد درع خفيف مثله .

لـــــورنزو : شيء مكدر بالنسبة إليك !

الـــــدوق : إنك لا تحدثني عن خالتك !

ـــورنزو : لقد نسيت . إنها تعبدك ، وقد هجر النـــوم عينيها منذ أن علا نجم حبك في قلبهـــا المسكين ارحمها قليلاً ، يا سيدي ، إذا سمحت ؛ وقل متى تريد أن تستقبلها ؟

الـــدوق : هل أنت جاد فيما تقول ؟

لـــورنزو : إنني جاد كالموت ذاته !

الـــدوق : أين أستطيع لقاءها ؟

لـــورنزو : في غرفة نومي ، يا سيدي . لسوف أضـــع الستائر البيضاء على سريري ، وإصيصاً من الخزامى على منضدتي ثم أنام بعد أن أسجـــل في مفكرتك أن خالتي ستكون في طريقها إليك عند منتصف الليل تماماً ، حتى لا تنساها بعـــد العشاء !

الـــدوق : إنني أبعد ما أكون عن ذلك ! آه ! إن كاترينا وجبة ملكية ! ولكن خبرني ، أيها الولـــــد البارع ؛ هل أنت متأكد من أنها ستجيء ؟ كيف عرفت ذلك ؟

لـورنزو : سأقول لك .

الـدوق : سأمضى لأرى جواداً قد اشتريته أخيراً .. وداعاً ، وإلى هذا المساء . تعال لتأخذني بعد العشاء ، وسنمضى سوياً إلى بيتك . أما تشيبو فإنها تطن فوق أذني ، وبالأمس أيضاً كان لزاماً علي أن أحملها فوق ظهري طيلة الصيد(١) .

مساء الخير ، يا نديمي (يخرج)

لـورنزو : (وحده) اتفقنا ، إذن ! أقوده الليلة إلى بيتى ، وغداً يرى الجمهوريون ما ينبغى عليهم أن يفعلوا ، لأن دوق فلورنسا سيكون قد مات ! يجب أن أخطر سكورونكونكولو . اسرعي أيتها الشمس إذا كنت مشوقة إلى الأنباء التى ستقولها لك هذه الليلةُ غداً ! (يخرج)

المشهد الثانى

طـريق

بيير وتومـاس ستروتسي « خارجين من السجن »

بيـير : لقد كنت واثقاً بأن « الثمانيـة » سيبرئوننى وإياك أيضاً . هيا بنا ، نقرع بـابنا ، ونعانق أبانا . إن هذا غريب ! النوافذ مغلقة !

---

(١) هنة طفيفة يبدو ان المؤلف لم يتلفت اليها ، فقد فاته ان الكساندر كان قد ترك الماركيزة تشيبو (٣ : ٦) ليخرج للصيد .

البـــواب : (يفتح) واحسرتاه ! هل تعرفان الأنبـــاء ، يا سيدي ؟

بيـــير : أية أنباء ؟ إنك تبدو كشبح خارج من قبر ، على باب هذا القصر المهجور !

البـــواب : هل يمكن ألا تعلما شيئاً ؟ (يصل راهبان)

تومـــاس : وماذا كنا نستطيع أن نعلم ؟ إننا خارجان من السجن . تكلم ، ماذا حدث ؟

البـــواب : واحسرتاه ! يا سيديَّ المسكينين ؛ إنه شيء قوله فظيع !

الرهبـــان : (يقتربان) أهذا قصر آل سترّوتسي ؟

البـــواب : نعم . ماذا تطلبان ؟

الراهبـــان : لقد جئنا لنأخذ جثة لويزة سترّوتسي . هـــذا تفويض من فيليب لكى تسمح لنا بأن نحملها .

بيـــير : ماذا تقولان ؟ أية جثة تطلبان ؟

الراهبـــان : ابتعد يا بنى . إنك تحمل على وجهك ملامح فيليب ، وليس هنا شيء يطيب لك أن تعرفه !

تومـــاس : كيف ؟ هل ماتت ! ماتت ! يا رب السماء ! (يجلس على حدة)

بيـــير : إننى أثبت جناناً مما تظن ! من قتل أختى ؟ إن من كانت في سنها لا تموت في ليلة واحدة ، دون سبب غير مألوف من قتلها حتى أقتله ؟ أجبنى وإلا فالموت لك أنت نفسك !

البــواب : واحسرتاه ! واحسرتاه ! من يستطيع أن يقول؟ ما من أحد يعرف شيئاً .

بيـــير : أين أبي ؟ تعال . يا توماس ؛ لا دموع ! يا للسماء ! إن قلبي ينقبض كما لو كان يوشك أن يتجمد في صدري . ويظل صخراً إلـــى الأبــد !

الراهبـــان : إذا كنت ابن فيليب فتعال معنا . سنقودك إليه . إنه في ديرنا منذ الأمس .

بيـــير : ولن أعرف من قتل أختي ! أنصتا إلي أيهـــا القسيسان . إذا كنتما صورة الله فإنكمـــــا تستطيعان أن تتلقيا قسماً : بكل ما هنالك من أدوات للعقاب تحت السماء ؛ وبألوان العذاب التي في جهنم . . كلا : لا أريد أن أقـــول كلمة واحدة ! فلنسرع لأرى أبي . يا إلهي ! يا إلهي ! فليكن ما أظينه هـــو الحقيقة حتى أسحقهم تحت قدمي كحبات الرمال ! هيا ، هيا ، قبل أن أفقد قوتي ؛ ولا تقولوا لي كلمة واحدة ، فإنه ثأر لم يحلم بمثله الغضب المقدس (يخرجون)

المشهد الثالث

طـــــريق

لورنـــــزو . سكورونكونكولـــو

لـــورنزو : عد إلى بيتك ، ولا يفتك أن تحضر في منتصف

الليل ؛ وستبقى وحدك في مكتبي حتى أجيء وأخطرك .

سكورونكونكولو : نعم ؛ يا سيدي (يخرج)

لورنزو : (وحده) بأي نمر حلمت بي أمي ، وهي بي حبلى ! عندما أذكر أنني أحببت الأزهار والمراعي وأغاني بترارك(٢) ! إن طيف الشباب ينهض أمامي مرتعداً ! يا إلهي ! لماذا تجعل هذه الجملةُ الواحدةُ : « في هذا المساء » هذه الغبطةَ المشتعلةَ تخترق عظامي كحديد أحمر ؟ من باطن أي وحش ، ومن حضن أى حيوان كثيف الشعر خرجتُ إذن ؟ أي شيء كان يفعله بي هذا الرجل ؟ عندما أضع يدي هنا ، على قلبي ، وأفكر . . . من سيسمعني أقول غدا : « لقد قتلته » دون أن يجيبني بقوله « لماذا قتلته ؟ » . . إن هذا لغريب ! لقد أساء إلى الآخرين ولكنه قد أحسن إلي بطريقته على الأقل ! ولو أنني ظللت ساكناً — في أعماق وحدتي ، في كافادجيولو(٣) — لما جاء يبحث عني هناك ، وقد جئت أنا أبحث عنه في فلورنسا ! لماذا ؟ هل كان شبح أبي يقودني — كأوريست — نحو ايجست

---

(٢) شاعر ايطالى من كبار فنانى عصر النهضة • وقد اشتهر باشعاره العامية .. وقصائده التى كتبها فى حبيبته لورا (١٣٠٤ ـ ١٣٧٤) والى براءة هذا الحب يشير لورنزو •

(٣) قرية قريبة من فلورنسا ، وفيها قضى لورنزو اغلب ايام طفولته •

جديد(٤) ؟ هل كان يسيىء إلي حينذاك ؟ شيء غريب ! ولكنني تركت كل شيء لإتمـــام هذا العمل . وأسقطَتْ فكــرةُ الاغتيـال الوحيدةُ هذه أحلامَ حياتي في التراب ! وما كنت إلا حطاماً منــذ أن وقف هذا الاغتيال في طريقي كغراب شؤم . ودعاني إليه ! ما معنى هذا ؟ لقد سمعت منذ قليل . وأنا أعبر الطريق . رجلين يتحدثان عن نجم مذنب(٥) ! أهي دقات قلب بشري . هذه التى أحس بها تحت عظام صدرى ؟ أواه ! لماذا تراودني هذه لفكرة كثيراً منذ بعض الوقت ؟ هل أنـــا ذراع الرب ؟ هل توجد سحابة فوق رأسي ؟ أخشى — عندما أدخل تلك الغرفة . وأريد أن أجرد سيفى من غمده — أن أجرد سيف رئيس الملائكة المشتعلَ . وأن أسْقُطَ فوق ضحيتى رماداً ! (يخرج)

---

(٤) فى الاساطير اليونانية ان كلوتمنسترا زوجة اجامنون ، ملك آرجوس ، قد قتلته بالاشتراك مع عشيقها ايجست ، فقتلها ابنها اوريست انتقاما لابيه ،بالاشتراك مع اخته الكترا •

ولكن شبح الاب هنا يذكرنا بهاملت ـ فى مسرحية شكسبير ـ أكثر مما يذكرنـا باوريست •

(٥) يعتبر ظهور النجم المذنب نذيرا بحدث خطير •

المشهد الرابع

عنـــد الماركيزة تشيبـــو

يدخـــل الكاردينـــال والماركيـــزة

الماركيـــزة : كما تشاء ، يا مالاسبينا .

الكاردينـــال : نعم ، كما أشاء . فكري مـــرتين ، أيتهـــا الماركيزة ، قبل أن تلعبى بي ؟ هل أنت امرأة كالأخريات ؟ وهل ينبغى أن أحمـــل سلسلة ذهبية حول عنقى(٦) ، وتفويضاً في يدي ، لتعرفي من أكون ؟ هل تنتظرين أن يهتف خادم بأعلى صوته ، وهو يفتح باباً أمامي ، لتعرفي قدرتي ؟ اعلمى هذا : ليست الألقاب هـــى التى تصنع الرجل . وما أنا بمبعوث من البابا ، ولا بقائد لجيش شارلكـــان . إننى أكثر من هـــذا !

الماركيـــزة : نعم ، أعرف هذا . لقد باع قيصر ظلـــه للشيطان . وهذا الظل الامبراطوري يتجـــول في رداء أحمر ، تحت اسم تشيبو ! ؟

الكاردينـــال : اذكرى أنك عشيقة ألكساندر ، وسرك بين يدىّ !

المـــاركيزة : افعل به ماتشاء ، وسوف نرى ما يستطيع كاهن اعتراف أن يجعل من ضميره !

الكاردينـــال : أنت مخطئة ، فإننى لم أعرفه من اعترافك . لقد

---

(٦) كما يفعل رسل الملك او الامير .

رأيته بعيني . لقد رأيتك تعانقين الدوق ! ولو كنت أقررت لى به في الاعتراف ، لكان في مقدورى أن أعلنه أيضا بلا وزر ، مادمت قد رأيته خارج الاعتراف !

المـــاركيزة : حسنا ! وبعد ؟

الكاردينـــال : لمـــاذا كان الدوق يتركك في خطو متثاقـــل ، وهو يتنفس الصعداء كتلميذ عند دق الجرس ؟ لقد أتخمته بوطنيتك التى تمتزج ، كالشراب المـــاسخ ، بجميع الأطعمة على مائدتك ! أىّ كتب قرأتِ ، وأية عجوز نكدة كانت مربيتك حتّى أنك لاتعرفين أن عشيقة الملك تتحدث عادة في شيء آخـــر غير الوطنية ؟

المـــاركيزة : أعترف بأنهم لم يوضحوا لى قط ما ينبغى أن تتحدث فيه عشيقة الملك ! ولقد أهملت تعلم هذه النقطة كما لعلنى قد أهملت أكل الأرز لكى أسمن على الطريقة التركية !

الكاردينـــال : إن الاحتفاظ بعشيق ، أكثر قليلا من ثلاثة أيام ، لايحتاج إلى علم واسع !

المـــاركيزة : لو أن قسيسا لقن امرأة هذا العلم لكان شـــيئا بسيطا للغاية ! أى شيء لم تنصحنى به ؟

الكاردينـــال : هل تريد أن أنصحك ؟ خذى معطفك ، وادلفى إلى مخدع الدوق . وإذا توقع منك كلاما كثيرا ، عندما يراك ، فأثبتى له أنك لا تفعلين هـــذا في

كل وقت ! وكونى أشبه بمن تسير وهى نائمة ..
وإن غفا على هذا القلب الجمهورى ، فاعملى
على ألا يكون هذا بسبب الملل ! هل أنت
عذراء ؟ ألم يعد ثمــة نبيذ قبرصى ؟ أما من
حكاية مفرحة في أعماق ذاكرتك ؟ ألم تقــرئى
لاريتـــان (٧) ؟

المـــاركيزة : ياللسماء ! لقد سمعت كلمات كهذه توسوس
بها عجائز قبيحات ، يرتعدن من البرد ، في
« السوق الجـــديد » . هل أنت رجل ، إذا لم
تكن قسيسا ؟ هل أنت واثق بأن السماء خالية ،
حتى تجعل حمرة الخجل تسرى في ردائك
الأرجوانى ذاته ؟

الكاردينـــال : مامن شيء يعدل في عفته أذن امرأة ســـاقطة !
تظاهرى أولا تتظاهرى بأنك تفهمينى ، ولكن ،
تذكرى أن أخى هو زوجك !

المـــاركيزة : إننى لا أستطيع أن أدرك في غير غموض أى
مصلحة لك في تعذيبى هكذا ! إننى أبغضـــك
بغضا شديدا ! ماذا تريد منى ؟

الكاردينـــال : هنالك أسرار لا ينبغى أن تعرفها المرأة ، ولكنها
تستطيع أن تنجح عندما تعرف جوهرها .

المـــاركيزة : أى خيط خفى من أفكارك المظلمة تريد أن
تجعلنى أمسك به ؟ إذا كانت رغباتك مخيفـــة

---

(٧) شاعر ايطالى هجاء ، وكاتب اباحى، ولد فى مدينة اريتزو (١٤٩٢ - ١٥٥٦).

كتهديداتك فتكلم ! أرني على الأقل تلك الشعرة التي تعلق السيف فوق رأسي (٨) !

الكاردينال : إنني لا أستطيع أن أتكلم إلا بعبارات مبهمة لأنني غير واثق بك ! وحسبك أن تعرفي أنك لو كنت امرأة أخرى لكنت ملكة في هذه الساعة ! وما دمت تسميني ظل قيصر ، فقد رأيتِ أنه ظل كبير بالقدر الذي يكفي لأن يحجب شمس فلورنسا ! هل تعرفين إلى أين يمكن أن تقود ابتسامة امرأة ؟ إن ألكساندر ابنٌ لبابا . وعندما كان هذا البابا في بولونيا . . . ولكنني أترك نفسي تنساق إلى بعيد !

الماركيزة : حاذر أن تعترف بدورك ! لئن كنتَ أخا زوجي فأنا عشيقة ألكساندر !

الكاردينال : لقد كنتها أيتها الماركيزة ، وكثيرات غيرك أيضا

الماركيزة : لقد كنتها ، نعم ؛ أشكر الله ! لقد كنتها(٩) !

الكاردينال : لقد كنت واثقا بأنك ستبدئين بأحلامك ، ولكنك لابد أن تعودي ذات يوم إلى أحلامي . انصتي إليّ ؛ إننا نتشاجر بغير مناسبة . ولكنك تأخذين كل شيء مأخذ الجد ، في الحقيقة !

---

(٨) اشارة الى « سيف داموكليس » . وكان داموكليس هذا نديما لحاكم سيرا قوسه — الرابع قبل الميلاد — وكان يزهو بمكانته لديه ، فدعاه الحاكم الى وليمة واجلسه في مكانه ، ثم وضع فوق راسه سيفا معلقا بشعرة من ذيل حصان ، حتى اذا رفع راسه ، وراى ذلك السيف ، تبين مدى غروره وعبث اطمئنانه !

(٩) اى ان ذلك شيء قد اصبح في ذمة الماضي .

تصالحي مع ألكساندر . ومادمت قد جرحت مشاعرك الآن ، عندما ذكرت لك كيف تفعلين ذلك ، فلا أرى فائدة من تكراره . كوني سهلة القياد . وفي خلال عام ، أو في خلال عامين ، ستشكرينني ! لقد عملتُ وقتا طويلا لكي أكون ما أنا . وإني لأعرف إلى أين أستطيع أن أمضي . ولو كنت واثقا بك لقلت لك أشياء لن يعرفها كائن ابدا . .

المـــاركيزة : لا تأمل في شيء ، وثق بأنني أحتقرك ! (تريد أن تخرج)

الكاردينـــال : لحظة واحدة ! ليس بهذه السرعة ! ألا تسمعين صوت جواد ؟ ألا ينبغي أن يجيء أخي اليوم أو غدا ؟ هل تعرفينني رجلا ذا كلمتين ؟ اذهبي إلى القصر وإلا هلكتِ !

المـــاركيزة : إنني أفهم أن تكون طموحا ، وأن تكون الوسائل كلها صالحة لديك ، ولكن : هلا كان حديثك أوضح من هذا ؟ هيا ، ياماالاسبينا ؛ إنني لا أريد أن أيأس من فسادي كل اليأس . اذا كنت تستطيع أن تقنعني فافعل ، وحدثني بصراحة . ماغرضك ؟

الكاردينـــال : إنك لن تيئسي من إقناع نفسك . أليس هـــذا صحيحا ؟ هل تعتبرينني طفلا ، وهل تعتقدين أنه يكفي لفتح شفتيّ أن تدعكيهما بالعسل ؟ اعملي أولا ، وبعدها أتكلم ! ويوم يكون لك

السلطان الضرورى كامرأة . لا على عقل ألكساندر دوق فلورنسا . ولكن على قلب ألكساندر عشيقك ، سأخبرك بالباقي ،وستعرفين ما أنتظره !

المـــاركيزة : وهكذا سيكون لزاما علىّ بعد أن أقرأ لاريتان ليعطيني خبرةً أولى ، أن أقرأ كتاب أفكارك السرىّ لأكتسب خبرة ثانية ؟ هل تريد أن أقول لك ، أنا ، مالا تجرؤ على أن تقوله لى ؟ إنك تخدم البـــابا إلى أن يجد فيك الامبراطور خادما أحسن من البـــابا نفسه ! إنك تأمل أن يدين لك قيصر ذات يوم — حقيقةً . وكليةً — بعبودية إيطاليا ، ويومئذ . . . . أوه ! يومئذ ، أليس كذلك ؟ يومئذ يستطيع ذلك الذى هو ملك نصف الدنيا أن يمنحك ميراث السموات الهزيل مكافأة لك (١٠) ! إنك لكى تحكم فلورنسا ، إذ تحكم الدوق ، حرى بأن تجعل من نفســـك امرأة على التو ، إذا استطعت ! وعندماتُحْدِثُ ريتشياردا تشيبو ، المسكينة ، انقلابين أو ثلاثة ريتشياردا تشيبو ، المسكينة ، انقلابين أو ثلاثة في تفكير ألكساندر ، يضيف الناس على التـــو أن ريتشياردا تشيبو تقود الدوق ، ولكن أخا زوجها يقودها ! وكما تقول : من يدرى إلى أى مدى ستدفع دموع الشعوب بسفينتك بعد أن

(١٠) تقصد التاج البابوى .

تصير بحـــرا ؟ أهو شيء قريب من هذا ؟ إن خيالى لا يستطيع أن يذهب إلى الحد البعيد الذى يذهب إليه خيالك ، من غير شك ، ولكننى أعتقد أنه شيء قريب من هذا . !

الكاردينــال : اذهبي الليلة إلى قصر الدوق وإلا هلكتِ !

المـاركيزة : هلكت ؟ وكيف يكون ذلك ؟

الكاردينــال : سيعرف زوجك كل شيء !

المـاركيزة : افعلها ! افعلها ، وسأقتل نفسى !

الكاردينــال : تهديد امرأة ! انصتى إلىّ . ســواء أكنت قــد أحسنت فهمى أو أسأته ، فاذهبي الليلة إلى قصر الدوق !

المـاركيزة : كلا !

الكاردينــال : هاهو زوجك يدخل الفناء . قسما بكل مقدس في الدنيا ، سأروى له كل شيء ، إذا قلت « كلا » مرة أخرى !

المـاركيزة : كلا ، كلا ، كلا ! (يدخل الماركيز) لوران ، لقد استسلمت للدوق وأنت في ماسا . لقــد استسلمت وأنا أعرف من هو ، وأى دور حقير سألعبه ! ولكن ؛ هاهو ذا قسيس يريد أن يرغمنى على أن ألعب دورا أحقر منه أيضا ! إنه يعرض علىّ أشياء فظيعة ليضمن لى لقب عشيقة الدوق ، ويحوله لمصلحته ! (تسقط على ركبتيها) .

المـــاركيز : هـــل أنت مجنونة ؟ ماذا تعنى بقولهـــا هذا ، ياماالاسبينا ؟ تكلم ! إنك جامد كتمثال ! أتكون هذه لعبة ، ياكاردينال ؟ تكلم ! ماذا ينبغي عليّ أن أعتقد ؟

الكاردينـــال : آه ! يا إلهى ! (يخـــرج)

المـــاركيز : لقد أغمى عليها ! أنتم ، هناك ! هاتوا خلاً !

المشهد الخامس

غـــرفة نـــوم لورنـــزو

لورنـــزو . خادمـــان

لورنـــزو : بعد أن تضعا هذه الأزهار على المنضدة . وهذه بجانب الفراش ، ستوقدان نارا كافية ، ولكن بطريقة تجعل لهيبها لا يرتفع الليلة ، وتجعل الفحم يسخن دون أن يتوهج ، ثم تعطياني المفتاح ، وتذهبان للنوم (تدخل كاترينا)

كاترينـــا : إن أمنا مريضة . ألا تجيء لتراها ، يالورنزو ؟

لورنـــزو : أمى مريضـــة ؟ !

كاترينـــا : وا أسفاه ! إننى لا أستطيع أن أخفى عنك الحقيقة ! لقد تسلمتُ بالأمس رسالة من الدوق ، يقول لى فيها إنك حدثتنى عن حبه إياى ، حتما ! وقد آلمت قراءة هذه الرسالة مارى كثيرا !

لورنـــزو : ولكننى لم أحدثك عن ذلك ! ألم تستطيعى أن تقولى لها إننى لم تكن لى علاقة بشيء ؟

كاترينـــا : لقد قلت لها . مابال غرفتك اليوم جميلة ، وفي هذه الحالة الحسنة ؟ لم أكن أعتقد أن روح النظام قد أصبحت مديرة بيتك !

لورنـــزو : لقد كتب إليك الدوق ، إذن ؟ انه لشيء غريب انى لم اعرف هذا قط ! و . . . ما رأيـــك في رسالته ؟

كاتريـــنا : ما رأيي ؟

لورنـــزو : نعم ، في تصريح الكساندر ! كيف يراه هذا القلب الصغير ، البريء ؟

كاترينـــا : ماذا تريد ان ارى ؟

لورنـــزو : ألم تداعبك الاماني ؟ غرام يثير حسد الكثيرات ! ولقب جميل تكتسبينه : عشيقة الـ . . . اذهبي ، ياكاترينا ، اذهبي ، وقولي لامي انى قـــادم وراءك . اخرجى من هنا ! اتركيني ! (تخرج كاترينا) يا الهي ! اى رجل من الشمع انـــا ! هل تغلغلت الرذيلة في اعماقي ، واتحدت بألياف جسدى كثوب ديجانيرا (١١) ، فلم اعـــد استطيع ان احكم لساني ، واصبح الصـــوت الذى يخرج من شفتيّ داعراً برغمى ؟ لقـــد كنت بسبيل إفساد كاترينا ! واعتقد بأنـــي

---

(١١) فى الاساطير اليونانية ان نيسوس كان قد اغوى ديجانيرا ، زوجة هرقل فحكم عليه هذا بالموت ، فارسل نيسوس اليها رداء مسموما ، واوهمها بان به سحرا يبعث الحب فى قلب من يرتديه ، فلما اهدته الى زوجها وارتداه ، سرت فى جسده نار فظيعة ، ولم يحتملها فقتل نفسه !

خليق بإفساد أمي إذا خامرتني هذه الفكـــرة !
ويعلم الله أي وتر ، وأي قوس شده الأرباب
في رأسي ، واية قوة في الاسهم التي تخـــــرج
منه ! ولو كان البشر كلهم شرارات صغيرة من
موقد كبير ، فلابد ان المجهول الذي جبلني قد
اسقط جذوة من النار بدلامن شرارة ، في هذا
الجسد الواهن ، المترنح ! انني استطيـــع ان
اتروى ، واختار ، ولكنني لا استطيع أن أرتد
على اعقابي بعد ان اكون قد اخترت . يا الهي !
ألا يزهو الشباب المحدثون بكونهم أشرارا ؟
وهل يجد الصغار الخارجون من الكلية شـيئا
اكثر إلحاحا من الفساد (١٢) ؟ فأى سيل مـــن
الوحل هو الجنس البشرى الذى يتدافع هكذا في
المواخير بشفاه جائعة الى الفجور ، في حين انني
ــ أنا الذى لم يشأ أن يتخذ الا قناعا شبيهـــا
بوجوههم ــ لا أستطيع أن استرد ذاتي ، ولا أن
اغسل يدى حتى بالدم ! ايتها المسكينة كاترينا !
لقد كنت خليقة بأن تموتي كما ماتت لويـــزه
ستروتسى ، او تسقطى كما سقطت الكثيرات
في الهوة الابدية ، إذا لم اكن هنا ! ايـــــه ،
يا الكساندر ! ما أنا بالتقى ،ولكنني أريد حقا ن
تصلى قبل مجيئك الليلة إلى هذه الغرفة (١٣)

---

(١٢) هذه لمحة من حياة موسية سجلها في روايتــه : « اعتراف فتى مـن فتيـان العصر » .

(١٣) لمحة من شكسبير ، حيث يطلب عطيل من ديد مونة ان تصلي قبل ان يقتلها بينما يرفض هاملت ان يقتل عمه وهو يصلي حتى لا تشمله رحمة الله .

ولو ان كاترينا لم تكن فاضلة ولا عيب فيها ،
فكم من قول كان ينبغي مع ذلك أن يقال حتى
أجعل من هذه الحمامة العزيزة فريسة لهـــذا
الجلاد ذي الشعر الاحمر ! عندما أذكر انـــني
كدت أتكلم ! وكم من فتيات ملعونات من
آبائهن يتجولن الآن حـــول الحدود أو ينظرن
لى رؤوسهن الحليقة (١٤) في مرآة مهشمـــة
بزنزانة ، وقد كن مثل كاترينا في كل شيء ،
ثم اصغين الى قواد أقل براعة مني ! حســـنا !
لقد اقترفتُ الكثير من الجـــرائم . واذا وضعت
حياتي ذات يوم في ميزان قاض ، أيـــا كان ،
فسوف يكون جبل من النحيب في أحـــــــد
الجانبين ، إلا انه قد يكون في الجانب الآخـــر
قطرة واحدة من اللبن الطاهر ، منسكبة مـــن
صدر كاترينا ، وتكون قد غذت اطفالا اشرفاء !
(يخـــرج)

المشهد السادس

واد . دير في صدر المكان

يدخل فيليب ستروتسي وراهبان . رهبـــــان
مبتدئون يحملون نعش لويزه ويضعونه في قبر .

فيليـــب : دعوني اقبلها قبل ان تضعوها في مثواها الأخير ،
لقد كانت تنام فأنحني فوقها هكذا لأمنحهـــا

(١٤) كانت الفتيات المنحرفات يعاقبن بحلق رؤوسهن في السجون .

قبلة المساء ! وكانت عيناها الساجيتان تنطبقان هكذا ، في نصف اغماضة ، ولكنهما كانتا تنفتحان ثانية ،مع أول شعاع من اشعةالشمس، كزهرتين بلون السماء ! وكانت تنهض في هدوء ، والبسمة على شفتيها ، فترد الى ابيها الشيخ قبلة الامس ! لقد كان وجهها الملائكى يجعل لحظة سعيدة من لحظة بالغة الشقاء : تلك التي يستقيظ فيها رجل قد سئم الحياة ! لقد كنت أرى الفجر فأقول : يوم آخر ، وخط آخر للمحراث في حقلي ! ولكنني كنت ألمح ابنتي عندئذ فتبدو لى الحياة صورة من جمالها ، وأرحب بضوء النهار !

(يغلقون القبر)

بييرستروتسى : (وراء الكواليس) من هنا . تعال من هنا .

فيليب : لن تنهضى من نومك بعد الآن ، ولن تضعى قدميك العاريتين فوق هذا العشب مرة أخرى لتبحثي عن ابيك ! ياعزيزتي لويزه ! لم يعرف غير الله من كنت ، وغيرى ، أنا ، أنا ، أنا !

بيير : (داخلا) إنهم في سستينو(١٥) مائة رجل قادمون من بييمون (١٦) .تعال يافيليب، لقد مضى وقت الدموع !

فيليب : يابنى ، هل تعرف ماوقت الدموع ؟

---

(١٥) مدينة صغيرة بالقرب من اريتزو .

(١٦) اقليم فى شمال ايطاليا ، بين جبال الالب والابنين .

بيير : لقد اجتمع المنفيون في سستينو ، وهذا وقت التفكير في الانتقام ! فلنتقدم بلا تردد نحو فلورنسا بجيشنا الصغير . ولو استطعنا ان نصل في اللحظة المناسبة ليلا ، ونفاجىء نقط الحراسة في القلعة ، لا ننتهى كل شيء . وحق السماء ! لأشيدن قبرا فاخرا لأختي غير هذا !

فيليب : لن أذهب ، أنا . اذهبوا بدوني ، أيها الأصدقاء

بيير : إننا لا نستطيع ان نستغنى عنك . ولتعلم ان الحلفاء يعتمدون على اسمك ، وفرنسوا(١٧) الأول نفسه ينتظر منك حركة في سبيل الحرية ! انه يكتب اليك كما يكتب الى قادة الجمهوريين الفلورنسيين ، وهذه رسالته .

فيليب : (يفتح الرسالة) قل لمن حمل اليك هذه الرسالة أن ينقل الى ملك فرنسا هذا الجواب : « يوم ان يحمل فيليب السلاح في وجه وطنه يكون قد أصبح مجنونا » !

بيير : ما هذا القرار الجديد ؟

فيليب : انه هو الذى يليق بي !

بيير : وهكذا تخسر قضية المنفيين لكى تستمتع بانشاء جملة خطابية ؟ احترس يا ابي . إنها ليست مسألة فقرة من بلينى(١٨) ! فكر قبل ان تقول : لا !

---

(١٧) ملك فرنسا ، والخصم العنيد لشارل الخامس (١٤٩٤ ـ ١٥٤٧) وهو هنا يمهد لاجتياح اقليم توسكانى ، وعاصمته فلورنسا ، فيما بعد .

(١٨) كان فيليب يدرس اعمال بلينى الكبير (الذى قتله بركان فيزوف عام ٧٩ ب . م) . وقد حقق كتابه فى التاريخ الطبيعى .

فيليب : إننى أعرف ، منذ ستين عاما ، ماينبغى أن أرد به على رسالة ملك فرنسا !

بيير : هذا شىء يفوق كل تصور ! إنك سترغمنى على أن أقول لك أشياء معينة . . . تعال معنا ، يا أبى ، أتوسل إليك ! ألم تقل لى : « خذنى معك » عندما كنت ذاهبا إلى بيت عائلة باتسى ؟ هل كان الموقف مختلفا حينذاك ؟

فيليب : مختلفا جدا ! إن أبا مهانا ، يخرج من بيته شاهرا سيفه مع أصدقائه لكى يطالب بالعدالة ، جد مختلف عن رجل متمرد . يحمل السلاح ضد وطنه في الخلاء . ودون اعتبار للقوانين !

بيير : لقد كنا نطالب بالعدالة . وكنا نعمل في سبيل القضاء على ألكساندر . فماذا تغير اليوم ؟ إما أنك لاتحب وطنك . وإما أنك ستستفيد من فرصة كهذه !

فيليب : فرصة ! يا إلهى ! هذه فرصة ؟ ! (يضرب القبر)

بيير : كن لينا ، واستجب !

فيليب : ليس حزنى بالمغرض أو الطموح ! اتركنى وحدى ؛ لقد قلت ما يكفى !

بيير : أيها الشيخ العنيد ! أيها القوال القاسى للحكم والأمثال ! ستكون سببا في هلاكنا !

فيليب : اسكت ، أيها الوقح ! اخرج من هنا !

بيير : إننى لا أستطيع أن أذكر مايعتمل في صدرى !

اذهب إلى حيث تشاء ، وسنعمل بدونك هذه المرة . نعم ! وحق الله ! لن يقال إن كل شيء قد ضاع نتيجة لغياب مترجم عن اللاتينية !
(يخــرج)

فيليــب : لقد جاء يومك ، يا فيليب ! هذا كله يدل على أن يومك قد جاء !

المشهد السابع

شاطىء الآرنو . رصيف . يشاهد صف طويل من القصور

لورنــزو : (داخلا) هاهي الشمس تغرب ، وليس عندى وقت أضيعه ، بينما يبدو أن الكل هنا وقتــه ضائع ! (يقرع بابا) ياهو ! ياسيد ألامانو ! ياهــو !

ألامانــو : (في شرفته) من هناك ؟ ماذا تريد منى ؟

لورنــزو : جئت أخطرك بأن الدوق سيقتل حتما هــذه الليلة ! فلتأخذ أهبتك مع أصدقائك ، إذا كنتم تحبون الحــرية !

ألامانــو : ومن الذى سيقتل ألكساندر ؟

لورنــزو : لورنــزو دى مديتشى !

ألامانــو : أهذا أنت يارنزيناتشو ؟ آه ! ادخل إذن ، وتناول عشاءك مع قوم أفاضل في قاعتى !

لورنــزو : لا وقت عندى . تأهب للعمل غدا .

ألامانـــو : هل تريد — أنت — أن تقتل الدوق ؟ قل شـــيئا آخر ! لقد أسرفت في الشراب . وأدارت الخمر رأسك ! (يدخل)

لورنـــزو : (وحده) لعلى أخطىء عندما أقول لهم إنه أنا من سيقتل ألكساندر ، فإن العالم كله يرفض أن يصدقني (يقرع بابا آخر) ياهو ! ياسيد باتسى ! ياهـــو !

باتســـى : من ينـــاديني ؟

لورنـــزو : جئت أقول لك إن الدوق سيقتل الليلة ! حاول ان تعمل غدا من اجل حرية فلورنسا

باتسي : ومن ياترى سيقتل الدوق ؟

لورنــزو : لايهم ! اعمل دائما . أنت وأصدقاؤك . لا استطيع أن اذكر لك اسم الرجل !

باتســـى : إنك مجنون وغريب الأطوار ! اذهب الى الشيطان ! (يدخـــل)

لورنـــزو : (وحده) واضح أن تصديقهم إياى سيقل أيضا إذا لم أقل إنه أنا (يقرع بابا) ياهو ! ياســـيد كورسيني !

حاكم القعلـــة : من هـــذا ؟

لورنـــزو : سيقتل الدوق ألكساندر هذه الليلة !

حاكم القلعـــة : حقا ، يالورنزو ؟ ! إذا كنت مخمورا فامزح في مكان آخر ! لقد جرحت لى جوادا . بغير مناسبة ؛ في حفل عائلة نازى ، عليك اللعنة ! (يدخل)

حاكم القلعـــة : حقا ، يالورنزو ؟ ! إذا كنت مخمورا فامـــزح في مكان آخر ! لقد جرحت لى جوادا ، بغير

مناسبة ، في حفل عائلة نازى ، عليك اللعنـــة !
(يدخل)

لورنـــزو : فلورنسا المسكينة ! فلورنسا المسكينة ! (يخرج)

المشهد الثامن

سـهل

يدخل بيـــير ستروتسى ومنفيـــان

بيـــير : لا يريد أبى أن يجىء . وكان مستحيلا علىّ أن أجعله يصغى إلى صوت العقل !

المنفى الأول : لن أقول هذا لزملائى . إنه يدفعهم إلى الفرار !

بيـــير : لمـــاذا ؟ اركبوا جيادكم هذا المساء ، واذهبوا بأقصى سرعة إلى سستينو . وسأكون هناك في صباح الغـــد . قولوا إن فيليب قد رفض ، ولكن بيـــير لا يرفض !

المنفى الأول : إن الحلفاء يريدون اسم فيليب ، ولن نفعل بدونه شـــيئا !

بيـــير : إن اسم عائلة فيليب هو اسمى نفسه . قولوا إن ستروتسى سيجىء ، وهذا يكفى .

المنفى الأول : سيسألوننى عمن يكون من آل ستروتسى ، وما من شىء سيتم إذا لم أقل إنه فيليب .

بيـــير : أيها الغبى ! افعل مايقال لك ، ولا تجب إلا عن نفسك ! كيف تعرف مقدما أن شيئا لن يتم ؟

المنفى الأول : لا ينبغى ، أيها السيد ، أن تساء معاملة الناس !

بيـــير : هيا ! اركب جوادك ، واذهب إلى سستينو !

المنفى الأول : الحق ياسيدى أن جوادى متعب . لقد قطعت اثنى عشر فرسخا في الليل ، ولا أريد أن أسرجه في هذه الســاعة .

بيـــير : ما أنت إلا أحمق ! (إلى المنفى الآخر) اذهب أنت ! ستتصرف خيرا منه !

المنفى الثـــانى : ليس الزميل مخطئا فيما يتعلق بفيليب . ولا شك في أن اسمه سيخدم القضية .

بيـــير : جبناء ! سفهاء قد فقدوا عزائمهم ! إن من يخدمون القضية هم نساؤكم وأطفالكم الذين يموتون جوعا ! هل تسمعان ؟ إن اسم فيليب سيملأ أفواههم ولكنه لن يملأ بطونهم ! يالكم من خنــازير !

المنفى الثـــاني : يستحيل التفاهم مع رجل فظ كهذا ! فلنرحل أيها الزميل !

بيـــير : غر أيها الوغد ! وقل لحلفائك إن ملك فرنسا يريدني ، إذا لم يكونوا يريدونني ، وأن يحذروا أن يجعل لي سلطاناً عليكم جيمعاً !

المنفي الثـــاني : (إلى الآخر) فلنذهب للعشاء يا زميلي . لقــد أعياني التعب مثلك (يخرجان) .

المشهد التاسع

ميـــــدان . في الليـــــل

لـورنزو : (يدخل) سأقول له إن الدافع إلى ذلك هـو الحياء ، وآخذ المصباح . . . إن هذا يحدث دائماً . . . إن المتزوجة حديثاً ، على سبيل المثال ، تطلب ذلك من زوجها لتدخل مخدع الزوجية . وكاترينا مفروض أنها فاضلة للغاية . . البنت المسكينة ! من الفاضلة تحت الشمس إذا لم تكن هي ! لقد كان يمكن أن تموت أمـــي بسبب هذا كله !

هكذا تتم كل شيء . صبراً ! إن ساعة من الزمان إنما هي ساعة لا تزيد ؛ وقد دقت الساعة الآن . وإذا أصررتَ رغم ذلك(١٩) ؟. كلا ؛ لماذا ؟ أبعد المصباح إذا شئت . إنـــه شيء بسيط للغاية عندما تبيح امرأة نفسها أول مرة . . . أدخل إذن . وتدفأ قليلاً إذن . . . أوه ! نعم ؛ نزوة فتاة صغيرة لا غير ! . . وأي دافع إلى هذا الاغتيال يمكن تصديقه ؟ إنه يمكن أن يدهشهم ؛ حتى فيليب !

هذا أنت ، أيها الوجه الشاحب ! (يظهر القمر) لو كان الجمهوريون رجالاً ، فأي ثورة كانت خليقة بأن تقوم غداً في المدينـــة !

---

(١٩) في هذا الجزء الاول من المنولوج يتخيل لورنزو مجيء الدوق ، وخطته لاظلام الغرفة ، وما سيقوله الدوق ردا عليه ، الى جانب افكاره هو وتاملاته .

ولكن بيير ذو مطامع ، وآل روتشيلاي وحدهم يساوون شيئاً . . . آه ! الكلمات ، الكلمات والأقوال الأبدية ! شيء مضحك جـداً في الحقيقة ! . . أيتها الثرثرة البشرية ! أيهـا القاتل الكبير للأجساد الميتة ! والمحطم الكبير للأبواب المفتوحة ! أيها الإنسان العاجز !

كلا ، كلا ؛ لن آخذ المصباح . . سأتجه إلى القاب مباشرة . وسيرى نفسه مقتولاً . وسيقف الناس غداً في النوافذ !

إلا أن يكون قد اتخذ لنفسه زردا جديداً أو درعاً ! اختراع ملعون ! لأهون على المرء أن يصارع إلهاً أو شيطاناً . ولا يصارع خيوطاً من حديد منسوجة بيد صانع الأسلحة القذرة ! سأدخل بعده . وسيضع سيفه هنا . . أو هنا . . نعم ؛ فوق الأريكة . . أما حمالة السيف التي تلتف حول المقبض فأمرها يسير . وإذا خطر له أن يرقد في الفراش لكانت تلك هي الفرصة الحقيقية ! راقداً أم جالساً أم واقفاً ؟ جالسـاً بالحرى ! سأبدأ بالخروج. إن سكورونكونكولو محبوس في غرفة المكتب . ثم نأتي بعد ذلك . . نأتي ! ولكنني لا أريـد أن يـدير ظهـره . وسأذهب إليه مباشرة . آه ! اسكت ، اسكت ! توشك الساعـة أن تحين . . . يجب أن أذهب إلى حانة ما . إنني لا أدرك أن البرد يشملني ،

وسأفرغ قنينة من الخمر . كلا ؛ لا أريد أن أشرب ! إلى أين أمضى ، إذن ؟ الحانات مغلقة !

أهي فتاة فاضلة ؟ . . نعم ؛ في الحقيقة . . في قميص نومها ؟ أوه ! كلا ، كلا ؛ لا أظن ذلك ! أيتها المسكينة كاترينا ! لو ماتت أمي من جراء هذا كله لكان شيئاً يدعو إلى الأسى ! ولو كنت ذكرت لها خطتى فماذا كنت أستطيع أن أفعل ؟ لم يكن ذلك ليجعلها تستريح بل كان حرياً بأن يجعلها تقول : « جريمة ! جريمة ! » حتى تلفظ النفس الأخير ! لا أدرى لماذا أسير ؟ إننى أسقط إعياء (يجلس على مقعد) مسكين أنت ، يا فيليب ! ابنة جميلة كالنهار . جلست بالقرب منها مرة واحدة ، تحت شجرة الكستناء ، وكنت أرى يديها الصغيرتين البيضاوين ولشد ما كان ذلك يؤثر في نفس الإنسان ! كم من أيام قضيتها ، أنا نفسي ، جالساً تحت الأشجار ! أواه ! يا له من هدوء ! ويا له من أفق في كافادجيولو ! لقد كانت جانيت — ابنة البواب ، الصغيرة — جميلة ، وهي تجفف غسيلها ! كيف كانت تطرد الأغنام التى أخذت تسير فوق ثيابها المنشورة على الحشائش ، وكانت العنزة البيضاء ترجع دائماً بقوائمها الطويلة ، الرفيعة (تدق الساعة)

آه ! آه ! يجب أن أذهب إلى هناك . مساء الخير ،

يا حبيبي ! هيا . إذن . . اشرب نخبك مع جومو . . هنيئاً ! لسوف يكون شيئاً طريفاً أن يخطر له فيسألني : هل غرفتك منعزلة ؟ هل يسمع الجيران شيئاً ؟ لسوف يكون شيئاً طريفاً ! آه ! لقد أعددنا لذلك عدته ! نعم ؛ إذا خطرت له هذه الفكرة لكانت شيئاً يدعو إلى الضحك !

إنني أخطىء تقدير الوقت ، فما هو إلا نصف الساعة ، ما هذا الضوء إذن ، تحت ظلة الكنيسة ؟ إنهم ينحتون ، ويحركون الأحجار . يبدو أن أولئك الرجال شجعان مع الأحجار ! كيف يقطعون ، وكيف يدقون ! إنهم يصنعون تمثالاً للمسيح المصلوب . فبأية شجاعة يسمرونه ! وددت أن يطبق جثمانهم الرخامي على أعناقهم !

أوه ! ، أوه ! ما الحكاية ؟ إن بي رغبة في الرقص لا تصدق ! وأعتقد أنني إذا تركت نفسي على سجيتها لتوثبت كعصفور دوري فوق أكوام الحجارة هذه كلها ، وفوق هذه الكتل الخشبية كلها ! هيا ، يا حبيبي ! هيا ، يا حبيبي ! البس قفازيك الجديدين وحلة أجمل من هذه تمرالالا ! تجمل ، فالعروس جميلة ! ولكنني أقولها لك في أذنك : احترس من مدينتها الصغيرة !

المشهد العاشر

في قصـــر الـــــدوق

الدوق « يتناول عشاءه » . جومو . يدخل الكاردينال تشيبو

الكاردينـــال : احترس من لورنزو ، يا صاحب السمو !

الـــــدوق : هذا أنت ، يا كاردينال !؟ اجلس إذن ، وخذ كأساً .

الكاردينـــال : احترس من لورنزو ، أيها الدوق ! لقد طلب مساء اليوم من الأسقف دى مارتسي أن يصرح له بالحصول على خيول للسفر هذه الليلة .

الـــــدوق : هذا غير ممكن !

الكاردينـــال : لقد عرفته من الأسقف ذاته .

الـــــدوق : أوه ! أقول لك إن عندي أسباباً تجعلنى أعرف أن هذا غير ممكن .

الكاردينـــال : قد يكون إقناعي مستحيلاً . إننى أؤدي واجبى عندما أحذرك !

الـــــدوق : ولو كان هذا صحيحاً ، فأي شيء مخيف تجده فيه ؟ لعله ذاهب إلى كافاد جيولو .

الكاردينـــال : إن ما يدعو إلى الخوف يـــا مولاي ، هو أننى قد رأيته بعينى ، في طريقى إلى هنا ، وهـــو يتوثب فوق الأخشاب والأحجار كرجل مجنون ! لقد ناديته . وأنا مضطر إلى الاعتراف

بأن نظراته قد أخافتنى ! ثق أنه ينضج في رأسه خطة لهذه الليلة !

الـــدوق :ولماذا يكون في هذه الخطط خطر علي ؟

الكاردينـال : هل ينبغي أن أقول كل شيء ، حتى ولو كنت أتكلم عن شخص أثير ؟ أعلم أنه قد قال هذا المساء علانية لشخصين من معارفي ، وهما في شرفتيهما ، إنه سيقتلك الليلة !

الـــدوق : اشرب كأساً من الخمر إذن ، أيها الكاردينال . ألا تعلم أن رنزو يكون ثملاً عند غروب الشمس ؟ (يدخل سير موريتشه)

سير موريتشه : احترس من لورنزو ، يا صاحب السمو ! لقد قال لثلاثة من أصدقائي أنه يعتزم أن يقتلك الليلة !

الـــدوق : وأنت أيضاً ، يا موريتشه الشجاع ، تؤمن بالخرافات ! لقد كنت أعتقد أنك أكثر رجولة من هذا !

سير موريتشه : إن صاحب السمو يعرف إذا كنت أخاف بلا مبرر ! إنني أستطيع أن أبرهن على صدق ما أقول .

الـــدوق : إجلس إذن . واشرب نخبنا مع الكاردينال . . ولن يسوءك أن أمضي إلى شئوني (يدخل لورنزو) حسناً ! هل حان الوقت يا نديمي !؟

لورنـزو : سينتصف الليل بعد لحظة .

الـــــدوق : فليعطني أحد صداري المصنوع من جلد السمور

لورنـــزو : فلنسرع . ربما كانت جميلتك الآن في مكـــان اللقـــــاء !

الـــــدوق : أي قفازين ينبغي أن آخذ ؟ قفازَيْ الحرب ، أم قفازي الحب ؟

لورنـــزو : قفازي الحب ، يا صاحب السمو !

الـــــدوق : فليكن ! إنني أريد أن أكون عاشقاً مليحاً ! (يخرجان)

سير موريتشه : ما قولك في هذا ، أيها الكاردينال ؟

الكاردينـــال : فلتكن مشيئة الرب ، رغما عن البشر (يخرجان) .

المشهد الحادى عشر

غرفـــة نـــــوم لورنـــــزو

يدخـــــل الـــــدوق ولورنـــــزو

الـــــدوق : إنني أرتعد . . الجو بارد حقاً ! (يخلع سيفه) أوه ! ماذا تفعل يا نديمي ؟

لورنـــزو : إنني ألف حمالتك حول سيفك ، وأضعه تحت وسادتك . يحسن أن يكون سلاح المرء تحت يده دائماً (يلف الحمالة بطريقة تمنع خروج السيف من غمده)

الـــــدوق : إنك تعلم أنني لا أحب النساء اللواتي يثرثرن .

وقد بلغني أن كاترينا تجيد الكلام . سألجأ إلى الفراش حتى أتجنب الأحاديث . . بالمناسبة لماذا طلبت خيولاً للسفر ، من الأسقف دى مارتسي ؟

لورنـــزو : لكي أرى أخى ، فهو مريض جداً ، كما كتب إليّ .

الـــــدوق : امض إذن ، واحضر خالتك .

لورنـــزو : في لحظة واحدة ! (يخرج)

الـــــدوق : (وحده) إن مغازلة امرأة تجيبك بقولها : « نعم » عندما تسألها الأيجابَ أو النفى ، قد كانت تلوح لي على الدوام حمقاً ، وشيئاً يليق برجل فرنسي ، في الحقيقة ! واليوم بخاصة ، وقد أكلتُ في العشاء كثلاثة من الرهبان ، لا أستطيع أن أقول فقط « يا قلبى » أو « يـــا مهجتى » للطفلة الأسبانية(٢٠) ! إننى أريد أن أتظاهر بالنوم . قد يكون ذلك استعلاء ، ولكنه سيكون مناسباً (يرقد . يعود لورنزو والسيف في يده)

لورنـــزو : أنائم أنت ، يا سيدي ؟ (يطعنه)

الـــــدوق : هذا أنت ، يا لورنزو ؟

---

(٢٠) تزوج الكساندر ابنة شارل الخامس عام ١٥٣٦ بعد تاجيل دام سنوات لصغر سنها.وكان يحترمها ويدللها تقديرا لاسرتها فقد كان الطموح دافعه الى ذلك الزواج.

لورنـــزو : لا يراودك الشك في ذلك ، يا سيدي . (يطعنه من جديد يدخل سكورونكونكولو)

سكورونكونكولو : هل انتهى ؟

لورنـــزو : أنظر ، لقد قضم إصبعي ! سأحتفظ حتـــى الموت بهذا الخاتم الدامي . . بهذه المأساة التى لا تقدر !

سكورونكونكولو : آه ! يا إلهي ! إنه دوق فلورنسا !

لورنـــزو : (يجلس على حافة النافذة) ما أجمل الليلة ! وما أنقى الهواء ! تنفس ، تنفس أيهـــــــا القلب الذي مزقه الفرح !

سكورونكونكولو : تعال ، يا سيدي ؛ إن ما فعلناه كثير جداً ! فلنهرب !

لورنـــزو : ما أرق نسيم الليل ، وما أجمل عطره ! كيف تتفتح أزهار المروج ! يا للطبيعة الرائعـــة ! يا للراحة الأبدية !

سكورونكونكولو : سيجمد الهواء على وجهك العرق الذي ينضح به ! تعال يا سيدي !

لورنـــزو : آه ! يا إله الرحمة ! يا لها من لحظة !

سكورونكونكولو : (جانباً) إنه منشرح الصدر بشكل غريب ! أما أنا فأبادر بالرحيل ! (يريد أن يخرج)

لورنـــزو : انتظر ، واجذب هذه الستائر . أعطنى الآن مفتاح هذه الغرفـــــة .

سكورونكونكولو : عسى ألا يكون الجيران قد سمعوا شيئاً !

لورنـــزو : ألا تذكر أنهم قد تعودوا ضجيجنا ؟ هيا بنا . فلنرحل !

(يخرجان)

* * *

الفصل الخامس

المشهد الأول

في قصر الدوق

يدخل فالورى وسير موريتشه وجويتشياردينى (١) . جمهور من الحاشية يدور في أنحاء القاعة وما يجاورها .

سير موريتشه : لم يعد جومو من مهمته ، وهذا يبعث على القلق أكثر فأكثر !

جويتشياردينى : ها هو يدخل القاعة (يدخل جومـو)

سير موريتشه : حسنا ! ماذا علمت ؟

جومـو : لاشيء على الأطلاق ! (يخرج)

جويتشياردينى : إنه لا يريد أن يجيب . والكاردينال تشيبو يغلق على نفسه مكتب الدوق ، وإليه وحده تصل الأخبار (يدخل رسول آخر) حسنا ! هل وجد الدوق ؟ هل يعرف أحد مصيره ؟

الرسـول : لا أدرى (يدخل غرفة المكتب)

فالـورى : إن اختفاءه هذا حدث رهيب ، أيها السادة !

---

(١) فرنسوا جويتشياردينى (١٤٨٣ ـ ١٥٤٠) مؤرخ وسياسى ، كان مستشارا للبابا كليمنت السابع ، وقام بدور كبير فى انتخاب الكساندر ، وكان له نفوذ كبير فى عهده ، كما كان له فضل فى انتخاب خلفه كوم دى مديتشى الا انه فقد مكانته عنده ومات مغضوبا عليه .

ما من أخبار عن الدوق ! ألم تقل ، ياسير موريتشه ، إنك قد رأيته مساء الأمس ؟ ألم يكن يبدو مريضا ؟ (يعود جومو)

جومو : (إلى سير موريتشه) أستطيع أن أقول لك الخبر في أذنك . . . لقد قتل الدوق !

سير موريتشه : قتل ! من قتله ؟ أين وجدتموه ؟

جومو : حيث قلت لنا . في غرفة لورنزو .

سير موريتشه : آه ! هل يعرف الكاردينال ذلك ؟

جومو : نعم ؛ يا صاحب السعادة .

سير موريتشه : ماذا يعتزم أن يفعل ؟ ما العمل ؟ إن أفواج الشعب تتجمع الآن أمام القصر ، ولقد ذاعت هذه الحكاية البغيضة كلها . . والموت لنا إذا تأكدت ! إنهم سيذبحوننا ! (خدم يحملون براميل مملوءة بالخمر ، وأطعمة ، ويعبرون مؤخرة المسرح)

جويتشيارديني : مامعنى هذا ؟ هل سيوزعون أطعمة على الشعب(٢) ؟

(يدخل رجل من البلاط)

الرجل : هل ظهر الدوق ، أيها السادة ؟ هذا قريب قد جاء من ألمانيا أخيرا ، وأريد أن أقدمه

---

(٢) الحقيقة مايقوله المؤرخ فاركي انهم لم يوزعوا على الناس اطعمة بل نظموا لهم مباريات فى لعبة الأطواق Jeux de Bague وفيها يتناول الفرسان باطراف سيوفهم اطواقا معلقة ، وهم يرمحون على ظهور الجياد !

إلى سموه . أرجو أن تنظروا إليه بعين الرضا !

جويتشيارديني : أجبه ، ياسيد فالوري ! إنني لا أعرف ماذا أقول له !

فالوري : إن القاعة تمتلىء كل لحظة بهؤلاء القادمين للتحية ، منذ الصباح ! إنهم ينتظرون ، في هدوء ، أن يؤذن لهم في الدخول !

سير موريتشه : (إلى جومو) هل دفن هناك ؟

جومو : نعم ؛ يقينا . في قاعة الصلاة . ماذا نملك غير هذا ؟ لو علم الشعب بهذه الميتة لأدى ذلك إلى ميتات أخرى كثيرة ! ستعمل له جنازة عامة عندما يكون هناك وقت لذلك . وقد حملناه في ملاءة حتى ذلك الحين .

فالوري : أى شيء سيحدث لنا ؟

رجال كثيرون : (يقتربون) هل سيسمح لنا بأن نقدم فروض الولاء إلى صاحب السمو عما قريب ؟ مارأيكم أيها السادة ؟ (يدخل الكاردينال (تشيبو)

دينال : نعم ، أيها السادة ، يمكنكم أن تدخلوا بعد في ساعة أو ساعتين . لقد أمضى الدوق الليل حفل تنكرى ، وهو يستريح الآن (خدم يعلقون ملابس تنكرية في النوافذ)

رجال الحاشية : فلننصرف . لا يزال الدوق نائما . لقد أمضى الليلة في الحفل الراقص (ينسحب رجال الحاشية . يدخل « الثمانية »)

نيكوليـــنى : حسنا ! هل تقرر شيء ، أيها الكاردينال ؟

الكاردينـــال : (٣) Primo avulso, non de ficit alter
Aureus, et simili frondescit viraga metallo

(يخـــرج)

نيكوليـــنى : شيء بديع ؛ ولكن ، من الموجود فعلا ؟ لقـــد مات الدوق ، ولابد من انتخاب غيره ، وبأسرع ما نستطيع ! وإذا لم يكن لنا دوق هذه الليلة — أو غدا — كانت هذه نهايتنا ! إن الشعب ، في هذه اللحظة ، كالمـــاء الذى يوشك على الغليان !

فيتـــورى : إننى أقترح أوكتافيان دى مديتشى .

كابونـــى : لمـــاذا ؟ إنه ليس قريبا من الدرجة الأولى .

أتشـــيايولى : ولو أخذنا الكاردينـــال ؟

سير موريتشه : هل تمـــزح ؟

روتشـــيلاى : لمـــاذا لا تأخذون الكاردينال حقا ، وأنتم تتيحون له أن يجعل من نفسه قاضيا أوحد في هذه المسألة ، رغم جميع القوانين ؟

فيتـــورى : إنه رجل قادر على أن يحسن علاجها .

روتشـــيلاى : فليحصل على أمـــر بذلك من البـــابا .

---

(٣) بيت لاتينى من الشعر قاله فرجيل فى الإنياده ، وترجمته : « عندما يقطع غصن لايلبث أن ينبت غصن ذهبى آخر تكسوه أوراق من نفس المعدن » ويعنى المتكلم انهم لن يجدوا صعوبة فى اختيار دوق جديد من نفس العائلة أو من اسرة مالكة اخرى كالبوربون مثلا .

فيتـــورى : لقد فعل هذا . وقد أرسل البابا موافقته بواسطة رسول كان الكاردينال قد بعث به إليه ليلا .

روتشـــيلاى : تعنى مع طائر ، من غير شك ؛ فالرسول ينبغى أن يأخذ وقتا في الذهاب ، قبل أن يجد وقتـــا للأياب ! هل تعتبرنا أطفالا ؟

كانيجيـــاتى : (يقترب) إليكم مانفعله ، إذا وثقتم بى ، أيها السادة : ننتخب جوليان ، ابنه (٤) غير الشرعى دوقا لفلورنســا .

روتشـــيلاى : مرحى ! طفل في الخامسة ! أليس في الخامسة من عمره ياكانيجيانى ؟

جويتشياردينى : (بصوت خفيض) ألا ترون من يقف وراء ذلك ؟ إنه الكاردينال الذى يضع في رأســه هذا الاقتراح السخيف ! وسوف يكون تشيبو وصيا أما الطفل فيأكل كعكا !

روتشـــيلاى : شيء مخجل ! سأخرج من هذه القاعة إذا أصررتم على مثل هذه الأقوال ! (يدخل كورسى)

كـــورسى : لقد كتب الكاردينال الآن إلى كوم دى مديتشى أيهـــا الســـادة .

الثمانيـــة : دون أن يســـتشيرنا ؟

كـــورسى : لقد كتب الكاردينال أيضا إلى بيزا (٥) ،

---

(٤) ابن الكساندرو •

(٥) مدينة ايطالية على نهر الارنو ، مشهورة بكنيستها وبرجها المائل ومقابـــر عظمائها ـ الكامبو سانتو ـ وهي موطن العالم جاليلو •

وأريدزو (٦) ، وبستوا (٧) ، وإلى القـــادة العسكريين . وسيكون جاك دى مديتشى هنـــا غـــدا ، مع أكـــبر عدد ممـــكن من الناس . وألكساندر فيتيللى (٨) في القلعة الآن مع الحرس كله . أما لورنزو فقد رحل للحاق به ثلاثة من الرســـل .

روتشـــيلاى : فليجعل كاردينالك من نفسه دوقا على التـــو ، وسوف يتم ذلك في أسرع وقت ممكن !

كـــورسى : لقد طلب إلىّ أن أرجوكم أن ترشحوا كـــوم دى مديتشى كحاكم مؤقت للجمهورية الفلورنسية.

جـــومو : (إلى خدم يعبرون القاعة) افرشـــوا رملا حول الباب ، ولا تدخروا من الخمر أكثر من بقيـــة الأشياء !

روتشـــيلاى : أيها الشعب المسكين ! أى غر ، أبله ، يجعلون منك !

فيتـــورى : إن كوم في الواقع هو صاحب الحق الأول بعد ألكساندر . إنه أقرب الناس إليه .

أتشـــيايولى : أى رجل هذا ؟ إن معرفتى به قليلة للغاية .

كـــورسى : إنه خير أمير في الدنيـــا !

جويتشياردينى : مهلا ، مهلا ؛ ليس هكذا تمـــاما ! ولو قلت

---

(٦) مدينة ايطالية على نهر الارنو ، وهى موطن القائد ميسينا والشاعر بترارك .

(٧) مدينة ايطالية هزم فيها الثائر كاتيلينا واعدم فى عام ٦٣ ق.م .

(٨) كان فيتيللى قائدا للجنود الماجورين لعائلة مديتشى .

إنه أكثر الأمراء إسهابا في الكلام(٩)، وأكثرهم أدبا ، لكنت أقرب إلى الصواب .

سير موريتشه : أصواتكم يا سـادة !

روتشـيلاى : إننى أعترض على هذا الانتخاب رسميا ، وباسم جميع المواطنين !

فيتـورى : لمـاذا ؟

روتشـيلاى : لم تعد الجمهورية في حاجة إلى أمراء أو دوقات أو سادة ! هذا رأيى ! (يشير إلى بطاقتـه البيضاء)

فيتـورى : ليس لك إلا صوت واحد . سنستغنى عنك !

روتشـيلاى : وداعا ، إذن ! إننى أغسل يدى من هـذه المسـألة !

جويتشياردينى : (يجرى وراءه) أوه ! يا إلهى ! إنك يا باللا عنيف للغاية !

روتشـيلاى : دعنى ! إن اثنين وستين عاما قد مضت من عمرى ، ولا تستطيعون أن تلحقوا بى أذى كبيرا بعد الآن ! (يخرج)

نيكوليـنى : أصواتكم ياسادة (يفرز البطاقات التى ألقيت في قبعة) هنالك إجماع في الرأى . هل رحـل الرسول إلى تريبيـو ؟

كـورسى : نعم ، ياصاحب السعادة . سيكون كوم هنـا في صبيحة الغـد ، إذا لم يرفض ؟

(٩) انظر ايضا حديث الصائغ فى المشهد الرابع من هذا الفصل .

فيتتــورى : ولمـــاذا يرفض ؟

نيكوليـــنى : آه ! يا الهى ! ماذا يكون مصيرنا اذا رفض ؟ ان يوما كاملا يضيع من قطع خمسة عشرفرسخا من هنا الى تريبيو ، حيث يوجد كوم ، ومثلها في العودة ! لقد كان ينبغى أن نختار واحدا أقرب الينـــا من ذلك !

فيتيـورى : ماذا تريد ؟ لقد أدلينا بأصواتنا ، ويحتمل أن يصل ، ان هذا كله يسبب الدوار ! (يخرجون)

المشهد الثانى

في فينتســـيا

فيليب ستروتسى : (في مكتبه) لقد كنت متأكدا من ذلك . إن بيير متصل بملك فرنسا . وها هو ذا يقف على رأس جيش ، متأهبا لاحراق المدينة ، وإغراقها في بحـــر من الدماء ! وهذا إذن ماسيفعله اسم ستروتسى ، هذا الاسم المنكود الذى كانموضعا للاحترام أمدا طويلا ! ويكون قد أنجب رجلا متمردا ، وتسبب في مذبحة أو مذبحتين ! ياعزيزتى لويزه ! إنك ترقدين في سلام تحت العشب ، ونسيان العالم كله حولك ، وفيك ؛ هنالك حيث تركتك في أعماق الوادى الحزين ! (طرق على الباب) ادخل (يدخل لورنزو)

لورنـــزو : فيليب ! إنى أحمل إليك أجمل جوهـــرة لتاجك !

فيليب : ما هذا الشيء الذى تلقى به عندك ؟ مفتاح ؟ ...

لورنزو : هذا المفتاح يفتح غرفتى . وفي غرفتى ألكساندر دى مديتشى مقتولا بهذه اليد !

فيليب : حقا ! حقا ! إنه شيء لايصدق !

لورنزو : صدقه إذا سمحت . ستعرفه من آخرين غيرى .

فيليب : (يأخذ المفتاح) ألكساندر قد مات ! أهذا ممكن ؟

لورنزو : ماذا تقول إذا عرض عليك الجمهوريون أن تكون دوقا في مكانه ؟

فيليب : سأرفض ياصديقى .

لورنزو : حقا ! حقا ! إنه شيء لايصدق !

فيليب : لماذا ؟ إنه شيء بسيط جدا بالقياس إلىّ .

لورنزو : كما أنه شيء بسيط جدا بالقياس إلىّ أن أقتل ألكساندر ! لماذا لاتريد أن تصدقنى ؟

فيليب : يابروتسنا الجديد ! إننى أصدقك ، وأقبلك ! لقد كتبت النجاة للحرية إذن ! نعم ؛ إننى أصدقك . وأنت كما قلت لى . اعطنى يدك . لقد مات الدوق ! آه ! مامن كراهية فيغبطتى ؛ مامن شيء غير الحب الأطهر ، والأقدس ، للوطن ؛ والله شهيدى على ذلك !

لورنزو : اهدأ ! لم تكتب النجاة لأحد غيرى ، أنا الذى قصمت ظهره خيول الأسقف دى مارتسى !

فيليـــب : ألم تخبر أصدقاءنا ؟ أليست سيوفهم في أيديهم ، في هذه الســـاعة ؟

لورنـــزو : لقد أخبرتهم ! لقد قرعت جميع أبـــواب الجمهورين بإلحاح أخ من يجمعون الصدقات ! لقد طلبت اليهم أن يصقلوا سيوفهم ؛ وقلت لهم إن ألكساندر سيكون قد مات عندما يستيقظون من نومهم ! وأعتقد أنهم — حتى هذه الساعة — قد استيقظوا أكثر من مرة ، وعادوا إلى النوم بنفس المقدار ! ولكنني في الحقيقة لا أنتظـــر شـــيئاآخـــر !

فيليـــب : هل أخبرت عائلة باتسي ؟ هل قلت هــــذا لكورسيني ؟

لـــورنزو : للخلق كافة . وأعتقد أنني كنت أقوله للقمر ، فقد كنت واثقاً بأن أحداً لا يصغي إليّ !

فيليـــب : ماذا تعني ؟

لـــورنزو : أعني أنهم قـــد هزوا أكتفاهم ، وأنهم قـــد عـــادوا إلى موائدهم ، وأقمـــاع نردهم ، ونسائهم !

فيليـــب : ألم توضح لهم المسألة إذن ؟

لـــورنزو : ماذا تريدني أن أوضح ؟ هـــل تعتقد أننـــي كنت أملك ساعة واحدة أستطيع أن أضيعهـــا مـــع كل واحد منهم ؟ لقـــــد قلت لهم : « استعدوا » وضربت ضربتي !

فيليب : وهل تعتقد أن آلى باتسي لا يفعلون شيئاً ؟ ماذا تعرف عن ذلك ؟ إنك لم تتلق أنباء منذ رحيلك ، وقد قضيت أياماً كثيرة في الطريق .

لورنزو : أعتقد أن آل باتسي يفعلون شيئاً . أعتقد أنهم يلعبون بالسيف في غرفتهم الجانبية وهم يشربون خمر الجنوب من آن لآخر عندما تجف حلوقهم

فيليب : إنك تحافظ على رهانك . ألم ترد أن تراهننى على هذا الذي تقوله لي ؟ كن مطمئناً . إن عندي أملا أقوى من ذلك .

لورنزو : إننى أكثر اطمئناناً مما أستطيع أن أقول .

فيليب : لماذا لم تخرج ورأس الدوق في يدك ؟ لقد كان الشعب حرياً بأن يتبعك باعتبارك منقذه ، وقائده .

لورنزو : لقد تركت الوعل للكلاب ! فليصنعوا الوليمة بأنفسهم !

فيليب : لقد كنت خليقاً بأن تمجد الناس إذا لم تكن تحتقرهم .

لورنزو : إننى لا أحتقرهم على الأطلاق . إننى أعرفهم . إننى جد مقتنع بأن هناك القليلين جداً ممن يوغلون في الشر ، والكثيرين من الجبناء ، وعدداً كبيراً من غير المكترثين . وهناك أيضاً متوحشون ، كسكان بستوا(١٠) ، لد

(١٠)لقد كانت بستوا تحت حكم الفلورنسيين الا أن السيطرة عليها كانت عسيرة .

وجدوا في هـــذه المسألة فرصة صغيرة لذبح قضاتهم جميعاً في وضح النهار ، وفي منتصف الشوارع ! لقد عرفت هذا منذ أقل من ساعة واحدة !

فيليـــب : إنني مفعم بالسرور والأمل . وإن قلبي ليخفق رغماً عني .

لـــورنزو : هذا خير لك !

فيليـــب : ما دمت لا تعرف شيئاً ، فلماذا تتكلم بهذه الطريقة ؟ ليس جميع البشر بقادرين عـــــلى الأشياء الكبيرة ، بالتأكيد . ولكنهم جميعا يشعرون بالأشياء الكبيرة . هل تنكر تاريخ العالم كله ؟ إن احراق غابة يحتاج إلى شرارة من غير شاك . ولكن الشرارة يمكن أن تخرج من حصاة فتشتعل النـــار في الغابة ! وهكذا يستطيع لمعان سيف واحد أن يضيىء جيـــلاً بأسره ! .

لورنـــزو : إنني لا أنكر التاريخ ، ولكنني لم أكن فيه .

فيليـــب : فلتسمح لي بأن أدعوك بروتس ! وإذا كنت أحلم فدع لي هـــذا الحلم ! يـــا أصدقائي ، ومواطني ! هل تستطيعون أن تجهزوا فراش موت جميلا لستروتسي العجوز ، إذا سمحتم؟

لورنـــزو : لماذا تفتح النافذة ؟

فيليـــب : ألا ترى رسولاً مقبلاً ؟ يا عزيزي بروتس !

يا عزيزي لورنزو العظيم ! إن الحرية أشرقت في السماء ! إنني أحس بها ، وأستنشقها !

لورنـزو : فيليب ! فيليب ! ليس هناك شيء من ذلك ، فاغلق النافذة ، إن هذا الكلام كله يؤلمني !

فيليب : يلوح لي أن جمهرة من الناس في الطريق . إن منادياً يقرأ إعلاناً (ينادى) جان ! اذهب واشتر الصحيفة من هذا المنادى .

لورنـزو : رباه ! رباه !

فيليب : لقد صرت شاحب الوجه كرجل ميت ! ماذا بك ؟

لورنـزو : ألم تفهم شيئاً ؟ (يدخل خادم وهو يحمل الاعلان)

فيليب : نعم ؛ اقرأ إذن هذه الصحيفة التى ينادون عليها في الطريق .

لورنـزو : (يقرأ) « يتعهد مجلس الثمانية في فلورنسا لأي رجل من النبلاء أم من عامة الشعب ، يقتل لورنزو دى مديتشى — خائن الوطن ، وقاتل سيده — في أي مكان ، وبأي طريقة كانت ، على أرض إيطاليا كلها ، بما يأتي : » — أربعة آلاف فلورين ذهبى كل عام ؛ له في حياته ، ولوارثيه الشرعيين بعد موته ؛ ٢— إيراد ثابت قدره مائة فلورين ذهبى كل عام ؛ له في حياته ولوارثيه الشرعيين بعد موته ؛ ٣— التصريح

بممارسة جميع الأعمال الإدارية ، والتمتـــع
بجميع الفوائد والامتيازات التى تتيحها له الدولة
رغم مولده إذا كان من العامة ؛ ٤ـ عفو دائم
عن جميع أخطائه الماضية والمستقبلة ؛ العادية ،
وغير العادية »(١١) .
« موقع بأيدي الثمانية »

ما رأيك يا فيليب ؟ ! إنك لم تكن تريد أن
تصدق منذ قليل أنني قد قتلت ألكساندر ؟
هأنت ترى جيداً أنني قد قتلته !

فيليـــب : اسكت ! إن أحداً يصعد الدرج ! اختبىء في
هذه الغرفة !

(يخرجـــان)

المشهد الثالث

فلورنســـا . طريـــــق

يدخـــــل رجـــــلان

الرجل الأول : أليس هذا هو الماركيز تشيبو ، الذي يســير
هناك ؟ يلوح لي أنه يقدم ذراعه إلى زوجته (يمر
الماركيز والماركيزة)

الرجل الثاني : يبدو أن هذا الماركيز الطيب ليس ذا طبـــع
حقود ! من لا يعرف في فلورنسا أن زوجتـــه
قد كانت عشيقة الدوق الراحل ؟

---

(١١) هذا ملخص النص الأصلى الطويل الذى اعلن فى ٢٤ ابريل عام ١٥٣٧ .

الرجل الأول : يبدو أنهما قد تصالحا ! أعتقد أنني قد رأيتهما يتصافحان .

الرجل الثاني :إنه جوهرة الأزواج ، في الحقيقة ! عندما يبتلع الرجل هكذا حية بطول نهر الآرنو ، يقال إن له معدة جيدة !

الرجل الأول : أعرف أنه شيء يرغم على الكلام . . ولكنني لا أنصحك بأن توجه إليه الحديث ! إنـــه مقاتل من الدرجة الأولى ، بجميع الأسلحـــة ، وصناع الأهاجي يخشون رائحة بستانه !

الرجل الثاني : إذا كان رجلاً شاذاً ، فليس هنالك ما يقال .

(يخرجان)

المشهد الرابع

فنـــــدق

يدخل بيير ستروتسي ورســـول

بيـــير : أهذه كلماته هـــو ؟

الرســـول : نعم ؛ يا صاحب السعادة . إنها كلمات الملك نفسه .

بيـــير : حسناً (يخرج الرسول) أن يحمى ملك فرنسا حرية إيطاليا ، فهذا بالضبط كان يحمى أحد اللصوص امرأة جميلة ، في سفر ، من لص آخر ! إنه يذوذ عنها حتى يغتصبها ! مهما يكن من أمر ، فإن طريقاً ينفتح أمامي ، وفيه

من حبات القمح الطيبة أكثر مما فيه من التراب ! اللعنة على لورنزو ، هذا الذي يريد أن يصبح شيئاً ! إن انتقامي قد جعلني أنسل بين الأصابع كطير شارد ، ولم أعد أستطيع أن أتخيل هنا شيئاً يليق بي ! فلنقم بهجمة قوية على المدينة ، ثم نترك هناك أولئك الضعاف الذين لا يفكرون إلا في اسم أبي ، والذين يقيسونني طول النهار ليعرفوا من أي جانب أشبهه ! لقد ولدت لشيء آخر غير أن أكون زعيماً للصوص ! (يخرج)

المشهد الخامس

ميدان . فلورنسا

الصائغ ، وتاجر الحرير « جالسين »

التاجر : الحظ ما أقوله جيداً ، وانتبه إلى كلامي . لقد قتل الدوق الراحل في عام ١٥٣٦(١٢) وهو العام الذي نحن فيه . تابعني باستمرار . لقد قتل إذن في عام ١٥٣٦ . انتهينا من ذلك . وكان عمره ستة وعشرين عاماً — هل تلحظ هذا ؟ ولكن هذا لا يهم أيضاً . لقد كان عمره ستة وعشرين عاماً إذن . وقد مات في اليوم السادس

(١٢) كان مقتل الكساندر في السادس من يناير عام ١٥٣٧ ولكن السنة كانت تنتهي — حتى عام ١٥٦٤ — في عيد الفصح (بين ٢٢ مارس ، و ١٥ ابريل) ومن ثم كانت الأشهر الاولى من عام ١٥٣٧ تعتبر داخلة في عام ١٥٣٦ .

من الشهر(١٣) . نعم ! نعم ! هل كنت تعرف هذا ؟ ألم يكن موته في اليوم السادس بالضبط ؟ اسمع الآن : لقد مات في الساعة السادسة من الليل (١٤) ! ما رأيك في هذا أيها الأب مونديللا ؟ إنه شيء غريب ، وإلا كنت لا أعرف شيئاً . لقد مات إذن في الساعة السادسة من الليل . انتظر ! لا تقل شيئاً . لقد كانت به جروح ستة ! ما رأيك ؟ هل يدهشك ذلك الآن ؟ لقد أصيب بستة جروح ، في الساعة السادسة ليلاً ، في اليوم السادس من الشهر ، في السادسة والعشرين من العمر ، في عام ١٥٣٦ ! بقيت الآن كلمة واحدة : لقد حكم ستة أعوام !

الصائغ : ما هذا الهراء الذي تقوله لي يا عزيزي ؟

التاجر : كيف ! كيف ! هل أنت عاجز عن الحساب عجزا مطلقا ؟ ألا ترى ما يترتب على هذه الاتفاقات الخارقة التي تشرفت بتوضيحها لك ؟

الصائغ : نعم ؛ في الحقيقة . إني لا أرى ما يترتب على ذلك !

التاجر : أنت لاتراه ؟ أيمكن ياعزيزى ألا تراه ؟

---

(١٣) اورد فاركى هذه الملحوظة فى «تاريخ فلورنسا» وسبقه الى مثلها تاسيت فى « الحوليات » عند حديثه عن حرق روما بيد الطاغية نيرون ، فقد ذكر اعتقاد العامة بان ٤١٨ سنة و ٤١٨ شهرا و ٤١٨ يوما تفصل بين هذا الحريق والحريق الذى سبقه • وكانوا يريدون ان يبرهنوا بذلك على تدخل الآلهة فى مثل هذه الحوادث •

(١٤) اى فى منتصف الليل •

الصائغ : لست أرى أن أقل شيء يترتب عليه ! في أى شيء يمكن أن يفيدنا ذلك ؟

التاجر : يترتب على ذلك أن ست « ستات » قد أسهمت في موت ألكساندر ! شش ! لاتردد ذلك منسوبا إلىّ . أنت تعلم أننى أعد رجلا عاقلا وحذرا ، فلا تسيء إلىّ ، بحق جميع القديسين ! المسألة أخطر مما نظن ، وأنا أقول لك هذا باعتبارك صديقا .

الصائغ : إليك عنى ! إننى رجل هرم ولكننى لست امرأة هرمة أيضا ! إن كوم سيصل اليوم ، وهذا أوضح شيء يترتب على الحادث الذى نحن بصدده ! لقد دُفِعَ إلينا بمنمق جيد للكلام ، في ليلتك ذات الست « ستات » ! أواه ! ياللدمار ! ألا يدعو ذلك إلى الخجل ؟ عمالى ، ياعزيزى ، آخر عمالى ، كانوا يدقون بأدواتهم على المناضد عندما يرون « الثمانية » مارين ، ويصرخون فيهم قائلين : « إذا كنتم لاتعرفون ولا تستطيعون أن تعملوا فاطلبونا ونحن نعمل » !

التاجر : لم يصرخ غير عمالك . وفي المدينة طنين لم أسمع مثله يوما حتى عن طريق الأشاعة !

الصائغ : البعض يجرى وراء الجنود . والبعض الآخر يجرى وراء الخمر التى توزع . إنهم يملئون بها أفواههم ، ورءوسهم ، حتى يفقدوا الشيء

القليل من الادراك الحسن ، والقول السديد الذى يمكن أن يبقى لهم !

التاجر : إن هناك من كانوا يريدون أن يعيدوا تأسيس المجلس ، ويختاروا مديرا للبلدية بالانتخاب الحر ، كما كان يحدث في الماضى .

الصائغ : هناك من كانوا يريدون ، كما تقول . ولكن ، ليس هناك من كانوا يعملون ! لقد كنت — أنا ، الشيخ الهرم — في « السوق الجديد » وتلقيت ضربة رمح قوية في ساقي ، ولم يأت أحد لنجدتى ! التلاميذ وحدهم هم الذين ظهروا .

التاجر : أصدق هذا تماما . هل تعرف ما يقال ، ياعزيزى ؟ يقال إن حاكم القلعة ، روبرتو كورسينى ، قد ذهب مساء الأمس إلى اجتماع الجمهوريين في قصر سالفياتى .

الصائغ : ليس هناك أصدق من هذا القول . لقد عرض أن يسلم القلعة إلى أصدقاء الحرية ، مع المثونة والمفاتيح والباقى جميعه .

التاجر : وهل فعلها ياعزيزى ؟ هل فعلها ؟ إنها خيانة عظمى !

الصائغ : نعم ! لقد تصايحوا ، وشربوا النبيذ الحلو ، وهشموا زجاج النوافذ . ولكن اقتراح هذا الرجل الشجاع لم يحظ بمجرد السماع ! ولأنهم لم يجدوا الجرأة على أن يفعلوا ماكان يريده ،

فقد قالوا إنهم يرتابون فيه ، وإنهم يخشـــون.
ألا يكون صادقا فيما يعرضه عليهم ! ألف مليون.
لعنة ! إنني أحتدم غيظا ! انظر ؛ ها هم رسل
تريبيو قد جاءوا ، وليس كوم ببعيد من هنا .
طابت ليلتك ياعزيزى ؛ إن دمى يغلى ! يجب
أن أذهب إلى القصر !

(يخـــرج)

التاجـــر : انتظر إذن ، ياعزيزى ؛ ســأذهب معــك

(يخــرج)

(يدخل معلم مع سالفياتى الصغير ، ومعلم
آخر مع ستروتسى الصغير)

المعلم الأول : (١٥) Sapientissime doctor ؛ كيف حال
سيادتك ؟ وكنز صحتك الغالية ، هــل تراه
بخـــير ؛ وهل تحتفظ باتزان مناسب في هــذه
العواصف التى نحن فيها ؟

المعلم الثـــانى : إن لقاء حافلا بالعلم ، وثمرات المعرفة ، كلقائك
على هذه الأرض المضطربة ، المتصدعة ، لهــو
شيء خطير ياسيدى الدكتور ! اسمح لى بأن
أشـــد على هذه اليد الهائلة التى خرجت منهـــا
روائع لغتنا ! ولتعترف بأنك قد كتبت قصيدة
منذ وقت قريب .

سالفياتى الصغير : أيها الوغـــد ستروتسى !

---

(١٥) جملة ايطالية معناها : أيها الدكتور العلامة .

ستروتسى الصغير : لقد ضرب أبوك ياسالفياتى !

المعلم الأول : هل تطاولتْ حتى وصلتْ إليك هذه النتفة الصغيرة التى عابثتنى بها ربتنا ، وأنت الفنان المدقق ، الكبير ، الصارم في أحكامه ؟ هل قبلت عينان كعينيك ، تجوبان آفاقا موشاة ، ومتألقة ، أن تلتفتا إلى أبخرة قد تكون غريبة . وجريئة ، من صنع خيال متعدد الألوان ؟

المعلم الثانى : أوه ! إذا كنت تحب الفن ، وإذا كنت تحبنا ، فاتل علينا قصيدتك ، من فضلك ! إن المدينة لاهم لها سوى قصيدتك !

المعلم الأول : لعلك ستدهش ، إذ يبدو لك أننى ، وقد كنت أتغنى بالملكية في أول الأمر ، على نحو ما ، أتغنى بالجمهورية هذه المرة !

سالفياتى الصغير : لاتركلنى بقدمك ، ياستروتسى !

ستروتسى الصغير : خذ أيها السالفياتى الكلب ؛ خذ ركلتين أيضا !

المعلم الأول : هذه أبيات القصيدة :
فلنحتفل بالحرية التى عادت تترعرع أشد اقتدارا . . . .

سالفياتى الصغير : دع هذا الولد الشقى يسكت ، ياسيدى . إنه سفاح . وآل ستروتسى جميعهم سفاحون !

المعلم الثانى : أنت ، أيها الصغير ! التزم الهدوء !

ستروتسى الصغير : هل تعود إلى ذلك خفية ! خذ ! احمل هذه إلى أبيك أيها الوغد ، وقل له أن يضعها مع الجرح

البليغ الذى أصابه من بيير ستروتسى ، أيها القاتل بالسم ! إنكم قاتلون بالسم جميعا !

المعلم الأول : اسكت ياعديم الحيـــاء ! (يضربه)

ستروتسى الصغير : أى ! آى ! لقد ضربنى !

المعلم الأول : فلنحتفل بالحرية التى عادت تترعرع أشـــد اقتـــدارا تحت شمس أشـــد حرارة ، وسماء أشـــد احمـــرارا

ستروتسى الصغير : آى ! آى ! لقد سلخ أذنى !

المعلم الثـــانى : لقد ضربته بشـــدة ياصديقى (ستروتسى الصغير يضرب سا لفياتى الصغـــير)

المعلم الأول : وبعد ؟ ما معنى ذلك ؟

المعلم الثـــانى : أرجوك أن تســـتمر .

المعلم الأول : بسرور . ولكن هذين الطفلين لايكفان عن العراك . (يخرج الطفلان وهما يتعاركان . يتبعانهما)

المشهد السادس (١٦)

فينتسيا . غـــرفة مكتب ستروتسى

فيليب . لورنزو « ممســـكا برســـالة »

لورنـــزو : هذه رسالة تخبرنى بأن أمى قد ماتت ! تعـــال إذن نقم بجولة يا فيليب .

---

(١٦) فى هذا المشهد لايلتزم موسيه الدقة التاريخية التى التزمها قبل ذلك . فلقد قتل لورنزو بعد خروجه من القداس فى يوم الاحد ٢٦ فبراير ١٥٤٨ . وقد عاشت امه زمنا بعد وفاته . وكان تشييد جسر الريالتو بعد وفاته أيضا بثمانية واربعين عاما . أى فى عام ١٥٩٢ .

فيليب : أرجوك ياصديقى ، لا تجرب القدر ! إنك تروح وتغدو باستمرار كأن إعلان الموت هذا ليس له وجود !

اورنزو : في اللحظة التي كنت ذاهبا فيها لأقتل كليمنت السابع ، كان قد وضع لرأسى ثمن في روما . وطبيعى أن يكون له ثمن في إيطاليا كلها اليوم ، بعد أن قتلت ألكساندر ، فإذا خرجت من إيطاليا تردد اسمى على صوت النفير في أوربا كلها . وعند موتى لن يفوت الاله الطيب أن يأمر بإعلان لعنتى الأبدية في جميع مشارق اللانهاية !

فيليب : إن مزاحك حزين كالليل ! إنك لم تتغير يالورنزو !

اورنزو : نعم ؛ في الحقيقة . إننى أرتدى نفس الثياب ، وأسير دائما على ساقىّ وأتثاءب بفمى . ولم يتغير فيّ إلا شيء تافه ، وهو أننى قد صرت أجوف ، خاويا ، أكثر من تمثال من الصفيح !

فيليب : فلنبدأ معا . ولتعد رجلا من جديد . لقد فعلت الشيء الكثير ولكنك شاب صغير .

لورنزو : إننى أكبر من أبى جد ساتورن(١٧) ! أرجوك : تعال نقم بجولة .

فيليب : إن روحك تتعذب في حالة السكون ؛ ومن هنا

---

(١٧) هو كرونوس ، رب الزمان ، وابو جوبيتر كبير الآلهة .

كانت تعاستك . إن لك أخطاء ياصديقى .

لورنـــزو : أوافق على ذلك . وإذا كان الجمهوريون لم يفعلوا شيئا من أجل فلورنسا ، فهذا خطأ كبير من جانبي . إن مائة طالب صغير ، ذوى شجاعة وعزم ، قد قتلوا بغير طائل ! وكوم ، زارع الكرنب ، ينتخب بالأجماع ! نعم ! إننى أعترف ، إننى أعترف بأنها أخطاء لا تغتفر ، وأنها تسيىء إلى أســـاءة كبرى !

فيليـــب : دعنا لا نناقش حادثا لم يتم . المهم أن تخـــرج من إيطاليا . إن دورك لم ينته بعد على الأرض .

لورنـــزو : لقد كنت آلة للاغتيال ، ولكن ؛ لاغتيـــال واحد فحسب .

فيليـــب : ألم يكن يسعدك هذا الاغتيال ؟ وحيث أنك لن تكون منذ الآن إلا رجلا شريفا ، فلماذا تريد أن تموت ؟

لورنـــزو : لا أستطيع إلا أن أكرر ماقلته : لقد كنت رجلا شريفا ، يا فيليب ! وقد أعود رجلا شريفا ، وأخلو من السأم الذى يتملكنى ! إننى لا زلت أحب الخمر والنساء . وهذا يكفى حقيقة ليجعل منى رجلا فاسقا ، ولكنه لا يكفى ليجعلنى أرغب في أن أكونه . لنخرج ، أرجوك !

فيليـــب : ستقضى على نفسك بالقتل ، في جولاتك هذه كلهـــا ؟

لورنـــزو : إن رؤيتهم تسليني . إن الجائزة كبيرة إلى الحد الذى يجعلهم أشبه بالشجعان ! ولقد تعقبنى بالأمس وغد ضخم الجثة ، عارى الساقين ، ربع ساعة بأكمله ، على حافة النهر دون أن يستطيع أن يحسم أمره ويقتلنى ! لقد كان المسكين يحمل سكينا طويلة كالسفود . وكان ينظر إليها في ذلة جعلتنى أشفق عليه ، فلعله قد كان أبـــا لعائلة تموت جوعا !

فيليـــب : لورنزو ! لورنزو ! إن قلبك مريض جدا ! لقد كان شريفا من غير شك . لمـــاذا تعـــزو إلى جبن الناس احترامهم لمن ساءت حظوظهم ؟

لورنـــزو : تستطيع أن تعزو ذلك إلى ماشثت . ســأقوم بجولة فوق الريالتو (يخـــرج)

فيليـــب : (وحده) يجب أن أجعل واحدا من خـــدمى يتبعه . أنتم ، هناك ! جان ! بيبُّو ! ياهؤلاء ! (يدخل خادم) خذ سيفا ، أنت وواحد آخـــر من زملائك ، وابقيا على مسافة مناسبة من السيد لورنزو بحيث تستطيعان إغاثته إذا هاجمه أحد .

جـــون : نعم ، ياسيدى (يدخل بيبُّو)

بيبـــو : لقد مات لورنزو ، ياسيدى ! لقد كان رجل مختبئا وراء الباب وطعنه من الخلف وهو خارج.

فيليـــب : انطلقوا سريعا ! لعلـــه جريح لاغير !

بيبـــو : ألا ترى كل هذا الزحام ؟ لقد انقض عليـــه

الناس ! يا إلـه الرحمة ! إنهم يلقون به في البحيرة !

فيليب : يا للفظاعة ! يا للفظاعة ! ماهذا ! ما من قبر أيضا ؟ !

المشهد السابع

فلورنسا . الميدان الكبير . شرفات عامة غاصة بالناس

أناس من الشعب : (يقبلون جريا من كل جانب) عاش مديتشى ! إنه دوق ، دوق ! إنه دوق !

الجنود : ابتعد ، أيها الوغد !

الكاردينال تشيبو : (فوق منصة ، إلى كوم دى مديتشى) سيدى : إنك دوق فلورنسا . وقبل أن تتلقى من يدى التاج الذى كلفنى البابا وقيصر بتقديمه إليك ، أقول إننى قد أمرت بأن أجعلك تقسم على أربعة أشياء .

كوم : ما هى أيها الكاردينال ؟

الكاردينال : أن تحقق العدالة بلا قيد أو شرط . وألا تحاول البتة أن تعمل شيئا تناهض به سلطة شارل الخامس . وأن تثأر لموت ألكساندر . وأن تحسن معاملة السيد جول ، والسيدة جوليا ولديه غير الشرعيين .

كوم : كيف ينبغى أن أؤدى هذا القسم ؟

الكاردينـــال : على الأنجيل (يقدم إليه الأنجيل)

كـــوم : أقسم على ذلك أمام الله وأمامك ، أيها الكاردينال ! والآن ، اعطني يدك (يتقدمان نحو الشعب . يسمع كوم وهو يتكلم من بعيد) : « أيهـا السادة النبلاء جدا ، والمقتدرون جدا . إن ما أريد أن أتقدم به إلى معاليكم أيها الأماجد ، المحترمون جدا ، من شكر على هذا الصنيع العظيم الذى أدين لكم به ، ليس سوى ما أقطعه على نفسى من عهد هيِّن بالقياس إلىَّ ، فأنا صغير السن(١٨) ، بأن أجعل نصب عيني دائما ، مع خشية الرب : الأمانةَ والعدلَ والتصميمَ على عدم إيذاء إنسان ؛ لا في ممتلكاته ولا في كرامته ؛ وألا أحيد البتة في تصريف الأمور عن نصيحة ورأى السادة الحكماء جدا ، ذوى الرأى الســديد جدا ، الذين أتقدم لخـدمتهم بكل جوارحى ، وأقدم اليهم مشورتى بإخلاص تام » (١٩) .

(١٨) كان كوم دى مديتشى فى الثامنة عشرة من عمره .

(١٩) اورد فاركى فى « تاريخ فلورنسا » هذا الخطاب المنمق جدا ! ـ انظر حديث جويتشياردينى (٥، ١) وحديث الصائغ (٥ ، ٥) .

فهرست

ماصدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١	مانويل جاليتش	سمك عسير الهضم
٢	جان انوى	القبرة (جان دارك)
٣	هال بورتر	البرج
٤	تساو يو	عاصفة الرعد
٥	هارولد بنتر	١ ـ الخادم الاخرس ٢ ـ التشكيلة او عرض الازياء
٦	جون وبستر	الشيطانة البيضاء
٧	تيرانس راتيجان	الاسكندر المقدونى او قصة مغامرة
٨	تييرى مونييه	سباق الملوك
٩	جون مورتيمر	استعدوا لركوب الطائرة وغيرها
١٠	فريدريش دورنيمات	النيـــزك
١١	يونسكو ـ اداموف ـ ارابال البى	دراما اللامعقول
١/١٢	اوجست ستردنبرج	(من الاعمال المختارة) ستردنبرج ـ ١ ١ ـ مس جوليـــا ٢ ـ الاب
١٣	نيقوس كازندزاكى	عطيل يعــود
١٤	بيتر فايس	انشودة انجولا
١٥	اوليفر جولد سميث	تواضعت فظفرت
١/١٦	موليير	(من الاعمال المختارة) موليير ـ ١ ● مدرسة الزوجات ● نقد مدرسة الزوجات ● ارتجاليــة فرساى
١٧	دوجلاس ستيوارت	عسكر ولصوص اونيد كيللى
١٨	وليم شكسبير	العين بالعين
١/١٩	اوجست ستردنبرج	(من الاعمال المختارة) ستردنبرج ـ ٢ الطريق الى دمشق ـ ثلاثية

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٢٠	رومان رولان	١٤ يوليو
٢١	انجس ويلسون	شجرة التوت
٢٢	تيرانيس زانتخان	روس او لورانس العرب
٢٣	كارون دى بومارشيه	حلاق اشبيلية
٢٤	وليم شكسبير	هاملت
٢٥	نويل كوارد	الحياة الشخصية
١/٢٦	سوفول	(من الاعمال المختارة) سوفوكل ـ ١ نساء تراخيس
١/٢٧	جبريل مارس	من الأعمال المختارة) جبرييل مارسل ب ١ ١ ـ رجل الله ٢ ـ القلوب النهمة
٢٨	انريكي خارديل بونثلا	ليلة ساهرة من ليالى الربيع
٣/٢٩	اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ٣ ١ ـ الاقوى ٢ ـ الرباط ٣ ـ الجرائم ٤ ـ موسيقى الشبح
٣٠	بيتز شافر	اصطياد الشمس
١/٣١	جورج شحادة	(من الاعمال المختارة) جورج شحادة ـ ١ ١ ـ حكاية فاسكو ٢ ـ السيد بوبل
٣٢	هـ . و . فيرمان	انتصار حوزس
١/٣٣	جورج برناردشو	(من الاعمال المختارة) جورج برناردشو ـ ١ ١ ـ بيوت الارامل ٢ ـ العابث
٣٤	فرناندو ارابال	ثلاث مسرحيات طليعية ١ ـ قرافة السيارات ٢ ـ فاندو وليز ٣ ـ الشجرة المقدسة

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٢/٣٥	سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل ـ ٢
		١ ـ اوديب الملك
		٢ ـ أوديب فى كولون
		٣ ـ اليكترا
١/٣٦	جان جيرودو	(من الاعمال المختارة) جان جيرودو ـ ١
		١ ـ اليكترا
		٢ ـ لن تقع حرب طروادة
١/٣٧	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ـ ١
		١ ـ المغنية الصلعاء
		٢ ـ الدرس
		٣ ـ جاك أو الامتثال
		٤ ـ المستقبل فى البيض
		٥ ـ الكراسى
٣٨	كوبر ـ تشيرشل ـ شارب ـ مانج	مسرحيات اذاعية
٢/٣٩	جبرييل مارسل	(من الاعمال المختارة) جبرييل مارسل ـ ٢
		١ ـ روما لم تعد فى روما
		٢ ـ المحراب المضىء أو (مصباح النعش)
٤٠	انطون تشيخوف	١ ـ شـيطان الغابة
		٢ ـ الخال فانيـا
٢/٤١	جورج شحادة	(من الاعمال المختارة) جورج شحادة ـ ٢
		١ ـ مهاجر بريسبان
		٢ ـ البنفسـج
١/٤٢	لويجى بيرندلو	(من الاعمال المختارة) لويجي بيرندلو ـ ١
		١ ـ ديانا والمشـال
		٢ ـ الحياة عطاء
		٣ ـ لذة الامانة
٤٣	جيمس جويس	١ ـ ستيفن ((د))
		٢ ـ منفيون

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٤/٤٤	ـ أوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ٤
		١ ـ الغرماء
		٢ ـ الاميرة البيضاء
		٣ ـ عيد الفصح
٣/٤٥	ـ سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل ـ ٣
		١ ـ انتيجونة
		٢ ـ اجاكس
		٣ ـ فيلوكتيت
٢/٤٦	ـ جان جيرودو	(من الاعمال المختارة) جان جيرودو ـ ٢
		١ ـ سدوم وعمورة
		٢ ـ مجنونة شايو
٣/٤٧	ـ يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ـ ٢
		١ ـ ضحايا الواجب
		٢ ـ مرتجلة ألما
		٣ ـ سفاح بلا كراء
٢/٤٨	ـ جبرييل مارسل	(من الاعمال المختارة) جبرييل مارسل ـ ٢
		١ ـ طريق القمة
		٢ ـ العالم المكسور
٤٩	ـ البى شيزجال	١ ـ الحلم الامريكى
		٢ ـ الطابعان على الالة
٥٠	ـ ارمان سالاكرو	الارض كروية
٢/٥١	ـ جورج برناردشو	(من الاعمال المختارة) جورج برناردشو ـ ٢
		١ ـ السلاح والانسان
		٢ ـ كانديدا
		٣ ـ رجل المقادير
٥٢	ـ هارولد بنتر	الحارس
٥٣	ـ مارتنيس دى لاروزا	ابن أمية او ثورة الموريسكيين

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٥٤	وليم شكسبير	ماساة كريولانس
٥٥	انطونيو بويرو بايبخو	القصة المزدوجة للدكتور بالى
٥٦	يوربيديس	● الكتــرا ● اورستيس
٥٧	فيكتور هيجو	هرنانى
٥٨	ليو تولستوى	المستنيرون
٣/٥٩	موليير	(من الاعمال المختارة) موليير ـ ٢ ١ ـ سجاناريل ٢ ـ المتحذلقات المضحكات ٣ ـ مدرسة الازواج ٤ ـ الطبيب الطائر ٥ ـ غيرة الباربوزييه
٦٠	روبرت شيروود	الطريق الى روما
٦١	فيليب بارى	● المهرجون ● قصة فيلادلفيا
٦٢	ماكس فريش	● قصة حياة
٦٣	جون جى	● أوبرا الصعلوك
٦٤	دنيس ديدرو	● الابن الطبيعى
٥/٦٥	أوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ٥ ١ ـ رقصة الموت ٢ ـ الطريق الكبير
٦٦	وليم ساروريان	١ ـ أيــام العمر ٢ ـ سكان الكهف
٦٧	اندريه شديد	١ ـ العارض ٢ ـ بيرينيس المصرية
٢/٦٨	لويجي بيرندلو	(من الاعمال المختارة) بيرندلو ـ ٢ ١ ـ المعصرة ٢ ـ اداء الادوار ٣ ـ أبو زهرة بفمه

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٦٩	البير كامي	حالة طوارىء
١/٧٠	برتولت برشت	(من الاعمال المختارة) برتولت برشت ــ ١ ١ ــ حياة جالليو ٢ ــ طبول فى الليل
٧١	جراهام جرين	غرفة المعيشة
٣/٧٢	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ــ ٣ ١ ــ المستأجر الجديد ٢ ــ اللوحة ٣ ــ الخرتيت
٢/٧٣	جورج شحادة	(من الاعمال المختارة) جورج شحادة ــ ٢ ١ ــ السفر ٢ ــ سهرة الامثال
٧٤	ثورنتون وايلدر	نجونا باعجوبة
٣/٧٥	جورج برناردشو	(من الاعمال المختارة) جورج برناردشو ــ ٣ ١ ــ تلميذ الشيطان ٢ ــ هداية القبطان براسباوند
٧٦	وليم شكسبير	● الملك لير
٧٧	وول شوينكا	● الطريق
٧٨	الكسى اربوزف	● عزيزى مارات المسكين
٧٩	هوجو فون هوفمانزتال	زفاف زبيدة
١/٨٠	جون آردن	(من الاعمال المختارة) جون آردن ــ ١ ١ ــ مياه بابل ٢ ــ رقصة العريف
٨١	رومان رولان	روبسبيير
٨٢	سنكا	● آوديب

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١/٨٣	ـ يوجين اونيل	(من الاعمال المختارة) يوجين اونيل ـ ١ ١ ـ ظمـا ٢ ـ عبودية ٣ ـ ضـباب ٤ ـ مبحرون شرقا الى كارديف ٥ ـ فى المنطقة ٦ ـ بدر على البحر الكاريبى
٨٤	ـ جان كوكتو	١ ـ فرسان المائدة المستديرة ٢ ـ الآبـاء الأشقياء
٨٥	ـ تيرانس راتيجان	١ ـ تعلم الفرنسية بلا دموع ٢ ـ الممر المضىء
٨٦	ـ فديريكو غرسيا لوركا	● العرس الدموى
٨٧	ـ كالدرون دى لاباركا	● الحياة حلم
٨٨	ـ وليم شكسبير	● يوليوس قيصر
٨٩	ـ يوربيديس	١ ـ الفينيقيات ٢ ـ المستجيرات
٩٠	ـ الكسندر استروفسكى	● لكل عالم هفوة
١/٩١	ـ جون مليمنجتون سنج	(من الاعمال المختارة) جون ميلنجتون سنج ـ١ ١ ـ ظل الوادى ٢ ـ الراكبون الى البحر ٣ ـ زفاف السمكرى ٤ ـ بئر القديسين
٢/٩٢	ـ جون ميلنجتون سنج	(من الاعمال المختارة) جون ميلنجتون سنج ـ ٢ ١ ـ فتى الغرب المدلل ٢ ـ ديردرا فتاة الاحزان ٣ ـ عندما غاب القمر
٩٣	ـ آرثر ميللر	١ ـ كلهم ابنائى ٢ ـ الثمن

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٢/٩٤	برتولت برشت	(من الاعمال المختارة) برتولت برشت ـ ٢ ١ ـ أوبرا القروش الثلاثة ٢ ـ لوكلوس ٣ ـ بعــل
٩٥	وليم شكسبير	تيمون الاثينى
٩٦	كارلو جولدونى	خادم سيدين
٩٧	اوجين لابيش	رحلة السيد بريشون
٤/٩٨	لويجى بيرندلو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ـ ٤ ● فتاة فى سن الزواج ● مشاجرة رباعية ● تحريف ثنائي ● الشفــرة ● لعبة الموت
٣/٩٩	لويجى بيرندلو	(من الاعمال المختارة) لويجى بيرندلو ـ ٣ ١ ـ ست شخصيات تبحث عن مؤلف ٢ ـ كل شيخ له طريقة ٣ ـ الليلة نرتجل
١/١٠٠	تشبكا ماتسو	(من الاعمال المختارة) تشيكا ماتسو ـ ١ ١ ـ انتحار الحبيبين فى سونيزاكى ٢ ـ معارك كوكسينجا
٢/١٠١	يوجين اونيل	(من الاعمال المختارة) يوجين اونيل ـ ٢ ١ ـ وراء الافق ٢ ـ انا كريستى
٢/١٠٢	جون آردن	(من الاعمال المختارة) جون آردن ـ ٢ ١ ـ الحرية المغلولة ٢ ـ صعود البطل
١٠٣	وليم شكسبير	مأساة عطيل
١٠٤	جايلز كوبر . كولين فيثيو	١ ـ الطلبة الشاغبون ٢ ـ قبل يوم الاثنين الموعود ٣ ـ الليلة يوم الجمعة

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١/١٠٥	برانيسلاف نوشيتش	١ ـ حرم سعادة الوزير ٢ ـ الدكتور
١/١٠٦	دنيس جونستون	١ ـ من المسرح الايرلندي ـ ١ القمر في النهر الاصفر
١٠٧	تيرانس راتيجان	١ ـ بينما تسطع الشمس ٢ ـ المهرجون
١٠٨	فرانسواز ساجان	● ـ الحصان المغمى عليه ● ـ الشوكة
٢/١٠٩	تشيكاماتسو	(من الاعمال المختار) تشيكاماتسو ـ ٢ ● ـ الصنوبرة المجتثة ● ـ انتحار الحبيبين فى آميجيما
٣/١١٠	برتولت برشت	(من الاعمال المختارة) برتولت برشت ـ ٣ ● الام شجاعة ● السيد بنتلا وخادمه ماتي
٥/١١١	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ـ ٥ ● الغضب ● الملك يموت ● العطش والجوع
١١٢	وليم شكسبير	● العاصفة
١١٣	وليم كونجريف	● هكذا الدنيا تسير
١١٤	الفونسو ساسترى	● الدراما الثورية الاسبانية ● فصيلة على طريق الموت ● النطحة ● الكمامة
٣/١١٥	يوجين اونيل	(من الاعمال المختارة) يوجين أونيل ـ ٣ مرحلة الواقعية الاولى رغبة تحت شجر الدردار
١١٦	جان كوكتو	الالة الجهنمية
١١٧	يوهان فلفجانج جيته	جيتس فون برلشنجن

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١١٨	جان راسين	ماساة طيبة او الشقيقان
		فيدر
١١٩	جان انوى	ليوكاديا
١/١٢٠	جاك اودبيرتي	● الشر يستطير
		● الصابرون
٢/١٢١	جاك أود بيرتي	مضيفة النزلاء
٢/١٢٢	بويرو باييخو	أسطورة دون كيشوت ١٩٦٨
٣/١٢٣	بويرو باييخو	حلم العقل
١٢٤	وليم شكسبير	مكبث
١٢٥	جوزيف اوكونر	القيثارة الحديدية
١/١٢٦	اداردو دى فيليبو	١ ـ عائلتى
		٢ ـ الاشباح
١٢٧	جيمس بروم لين	● الزملاء الثلاثة
٢/١٢٨	برانيسلاف نوشيتس	(من الاعمال المختارة) برانيسلاف شيتش ـ ٢
		● ممثل الشعب
١٢٩	آرثر ميللر	● الناشزون
١/١٣٠	ايفان سرجيييفيتش تورجينيف (من الاعمال المختارة)	
		ايفان سرجيييفيتش توجنيف ـ ١
		● العالة
		● خيال مريض
١٣١	روبرت بولت	● الكرز المزهر
١٣٢	يوهان فلفجانج جيتة	● توركوا توتاسو
١٣٣	المر رايس ٠	● مشهد فى الطريق ٠
١٣٤	وليم كونجريف	● حبا بحب
١٣٥	روبرت بولت	● تحيا الملكة
١٣٦	الفريد دى موسيه	● لورانزاتشو

من الاعـــداد القادمة

١٩٨٠/١٩٨١

المؤلف	المسرحية	المترجم
جون هاردى	القلب المحطم	د. منير صلاحي الاصبحى
تورجينيف	العالة ـ خيال مريض ـ الاعزب ـ الريفية ـ شهر فى القرية	د. سمية عفيفى
جيته	توركواتو تاسو	د. عبد الرحمن بدوى
آرثر ميللر	الناشزون	د. محمد رجاء الدرينى
فرانس جريلبارتسر	الجدة الاولى ـ سابفو	د. باهر الجوهرى
كورنى	ميليت ـ السيد	د. كوثر عبد السلام البحيرى
جيمس بروم لين	الزملاء الثلاثة	الشريف خاطر
برانيسلاف نوشتيش	ممثل الشعب ـ المرحوم ـ مستردولار	د. فوزى عطيه محمد
المر رايس	مشهد فى الطريق	محمد الحديدى
	دنيا زوال	د. محمد رجاء الدرينى
يوجين اونيل	الامبراطور جونز	د. عبد الله عبد الحافظ
	الاله الكبير براون	د. عبد الله عبد الحافظ
	الفوريللا	د . محمد اسماعيل الموافى
روبرت بولت	تحيا الملكة	محمد كامل كمالى
	الكرز المزهر	الشريف خاطر
	النمر والحصان	الشريف خاطر
جولدونى	ثلاثية الاصطياف	سعد اردش
ايسخيلوس	الفرس ـ السبعة ضد طيبه المستجيرات ـ بروميثيوس مقيدا	أمين سلامه
شون اوكيسى	المحراث والنجوم	فوزى العنتيل
	ظل مقاتل ـ نهاية البداية	حسين على اللبودى
ادواردو دى فيليبو	عائلتى ـ الاشباح	د. سلامه محمد محمد سليمان
الفريد دى موسيه	لورانزاتشو	ميخائيل بشاى

المترجم

ميخائيل بشاى بانوب ٠٠ من مواليد المحلة الكبرى ج٠م٠ع ٠٠ يكتب المقال والقصة ٠٠ ويقدم المسرحيات العالميـة منـذ الاربعينات ٠٠ ترجم العديد من المسرحيات العالميـة للبرنامج الثانى باذاعة القاهرة وسلسلة من المسرح العالمى فى الكويت ٠

المراجع

يوسف عبد الله شاهين ٠٠ من مواليد القاهرة ٠٠ أستاذ اللغة الفرنسية بمركز اللغات بجامعة الكويت ٠٠ عضو لجنة الجامعات العربية فى منظمة الاوبيلف ٠٠ يشترك فى تأليف كتب اللغـة الفرنسية بوزارة التربية فى الكويت ٠٠ له أبحاث فى المسرح الفرنسى ٠

في العدد القادم

من الأعمال المختارة :

- **الامبراطور جونز ١٩٢٠ تاليف : يوجين اونيل ـ ٤**
- **الغوريلا ١٩٢٢ المرحلة التعبيرية**

المسرحيتان أللتان نقدمهما فى هذا المجلد الرابع من أعمال يوجين اونيل تمثل المرحلة التعبيرية فى فنه الدرامى ٠

● ألامبراطور جونز :

تكشف باسلوب ملحمى رائع عن مأساة الزنجى الامريكى وهى من افضل مسرحيات اونيل وتقع فى ٨ مشاهد يختلط فيها الواقع بالخرافة والأساطير ٠ نهاية الزنجى فيها تشبه نهاية الانسان البدائى فى رواية الدوس هكسلى **عالم جديد شجاع** (١٩٣٢) الذى يشنق نفسه فى نهايتها كما يقتل الزنجى برصاص أعدائه ٠

● الغوريلا :

أو القرد الكثير الشعر هو الهوبر أو الهبار يعود بنا الى البدائية مرة أخرى فنرى هانك يتنقل من عنبر نوم الوقادين فى عابرة محيطات الى عنبر الأفران وفى النهاية الى بيت للقردة ـ وكلها أماكن توحى بالحبس والسجن ، بالأقفاص والقضبان ٠ لهذا يقول لنا أونيل فى المشهد الاول : « الأثر المطلوب هو لمكان مندس فى جوف مركب يحيط به صلب لامع من جميع الجهات كأنه قضبان سجن ، وصفوف الأسرة ولا سيما الأعمدة التي تحملها تتشابك كأنها ضلوع قفص من حديد ، والسقف مطبق على رؤوس الرجال فلا يستطيعون الوقوف منتصبين » ٠
أهى عودة الى البدائية او اننا ، كما يقول جورج اورويل ، فى بطن الحـوت !

في هذا العدد

● **لورنزاتشو ١٨٣٤** **تأليف : ألفريد دى موسيه**

كان ألفريد دى موسيه هو « الولد المزعج » عند أقطاب المذهب الرومانسى الجديد ، فقد كان يصر على أن يجمع العمل الادبى بين الطابع العالمى الذى تتسم به الاعمال الكلاسيكية ، والطرافة التى تميز الانتاج الرومانسى . كان يرفض الوصف ، والاساطير ، والرموز، وجزالة اللفظ ، ويوفق دائما بين بساطة البناء الكلاسيكى ، وحرية اختيار الشكل التى تبيحها الرومانسية لاصحابها .

المصدر الرئيسى للمسرحية هو ذلك الفصل من كتاب : **تاريخ فلورنسا** للمؤرخ الايطالى بنديتو فاركى ، الذى يتناول حياة لورنزو دى مديتشى ومقتل ألكساندر – دوق فلورنسا – بيده عام ١٥٣٧ . وقد التزم ألفريد دى موسيه الدقة التاريخية تماما فلم يبتكر من أحداث المسرحية شيئا فضلا عن أنه أفاد من ثورة يوليو ١٨٣٠ فى فرنسا ، ومن تأسيس « ايطاليا الفتاة » عام ١٨٣١ .

قد يذكرنا لورنزو وهو يفكر فى الثأر بهاملت ، وهو نفسه يذكرنا ، فى المشهد الثالث من الفصل الرابع ، بأوريست . ولكن بمن يذكرنا فى الفصل الخامس ، عندما يخرج لملاقاة الموت فى يأس واستهانة ؟ لم يكن لورنزو غير الصورة الدرامية ، والوجه الحقيقى لموسيه ، ذلك العربيد الذى يحن الى الفضيلة ، ذلك السياسى الذى يفسد ارتيابه فى الناس ايمانه بقدرتهم على تغيير مقدراتهم .